

بُثِينَةٌ

رَوَايَةٌ

أَسَامَةٌ عَلَى الصَّادِقِ

بُثينة

رواية

تأليف

أسامة علي الصادق

إهداء

أهدي هذه الرواية إلي المصريين في كل مكان وزمان .. الرواية واقعية مع تبديل أسماء الأبطال باستثناء البطلة الرئيسية "بثينة" فظل اسمها كما هو ولم أتدخل في تبديل أو تحريف سوي في الفقرة الأخيرة مع بطلة الرواية بعلاقة الرمز بينها وبين الوطن مصر ..

لقد كتب العالم الأمريكي الشهير جوزيف نيل في أحد كتبه والتي أصبحت نبراسا للكثيرين والذي ابتدعُ مسمي ومصطلح " القوة الناعمة " فقد أضاف قوة أخري للقوة السياسية والعسكرية والإقتصادية بهذا المسمي ..

إذا ما هي القوة الناعمة؟ هي كل مجالات الفنون والإبداع من أدب وموسيقى ورسم ونحت وشعر وغناء وسينما ومسرح ورقص تعبيرى ، لقد كان هذا ملموسا وواضحا في مصر في فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى .. من ينكر تأثير أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم وليلى مراد .. من ينكر تأثير فرقة رضا من ينكر تأثير السينما المصرية من ينكر المسرح وإبداعاته ثم الإذاعة ، من ينكر تأثير الصحافة والإعلام؟

تلك الأنشطة تعتبر القوة الناعمة والتي سوف يتجلى تأثيرها على أبطالنا فى تلك الرواية.

مع أجمل الأمنيات بقراءة سعيدة والاستفادة مما جاء بها.

المؤلف

الجزء الأول

براءة الأطفال

و

غرام الشباب

من القرية إلى المدينة

بإحدى قرى محافظة الغربية نشأت عائلة الحاج حسن صديق، كان رجلاً ميسور الحال نميباً مع كثرة الأبناء والبنات .. ابنه راضى كان ترتيبه الثالث بين أخوته والذي ترك مجال الزراعة ووفق فى عمل آخر فى مدينة طنطا حيث يعمل مساعداً لصاحب محل لتجارة زيت بذرة الكتان وقد لمع بريقه فى العمل حيث قربه صاحب العمل إليه ورفع راتبه الأسبوعى وأخيراً حدث تقارب بينه وبين فريدة ابنة صاحب المحل ووافق والدها على زواجهما واستقرا بشقة بنفس المدينة قريباً من المحل.

قبل مضى عام من زواج راضى وفريدة جاءت إلى الحياة مولودة جميلة أدخلت السعادة على قلب والديها إنها هاجر .. أما عن ظروف عمل راضى فقد فتح الله عليه من عنده وزاد حجم التعامل فى الوكالة وازداد عدد العملاء من موردين ومشتريين وصار التعاون وثيقاً مع الخواجة قلدس يونان تاجر البذور والمبيدات الزراعية المجاور للمحل.

على الجانب الآخر وفى حى العتبة وسط القاهرة تعيش أسرة شقيقته الكبرى .. عائشة زوجة الحاج عبدالحميد عوف صاحب محل "بُن" عوف فى شارع عبدالعزيز .. تعدت عائشة الخامسة والأربعين من عمرها وقد تزوجت كبرى بناتها أمال من مسيو نظيف تاجر المشروبات الروحية وانقطعت صلة القرى بين عائشة وعائلتها، والذتها فردوس كارهة لكل تصرفاتها وانعكس هذا على بناتها اللاتي كن يتأقفن من خالاتهن وأخوالهن بل والجدة أيضا .. أما عائشة فكانت على اتصال مع شقيقها راضى حيث تقوم بزيارته من حين لآخر مع بناتها لأنه ميسور الحال كما أن زوجته فريدة ابنة تاجر ميسور.

فى نهاية عام ١٩٤٣ شعرت عائشة بآلام فى بطنها وتكررت تلك

الآلام فتوجهت لحكيمة المستوصف التي قامت بفحصها وأخبرتها أنها حامل في شهرين .. جن جنونها لأنها ستعود لتتحمل آلام الحمل والمخاض والرضاعة والنظافة وكيف هذا وقد أنجبت ابنتها الكبرى طفلها الأول منذ عدة أشهر وقد كبر سنها على الإجاب حيث تعدت الأربعين من عمرها.

مضت عليها شهور الحمل بطيئة، منتصف العام التالي أنجبت طفلة جميلة ومنذ اليوم الأول لميلادها وهى كارهة لها حتى اسمها رفضت اختياره أو المشاركة فيه لكن شقيقها راضي وزوجته فريدة التي كانت تحمل على يدها مولودها الثانى هشام وعمره ستة أشهر اختارا لها اسم "بثينة" أسعد هذا عائشة وأخبرت راضي وفريدة بأن بثينة منذ هذا اليوم هي ابنة لهما.

نقترب قليلا من أسرة عائشة أم بثينة بطلة الرواية:

آمال: الابنة الكبرى وعمرها قارب الثلاثين ومتزوجة من مسيو نظيف، سيدة كبيرة الحجم، طويلة القامة قوية البنية، ذات رأس كبير ولها لغد أسفل فكها بطينة الكلام والفهم وقليلة الحظ أيضاً بعد ظهور مشاكل مع زوجها، كما ورثت عن أمها كل مساوئها من طمع وجشع.

ليلان: الابنة الثانية: عمرها الآن يقترب من الخامسة والعشرين عاماً تزوجت منذ عدة أعوام من الشيخ عبد الله مرشد وهو من الإخوة العرب الذين يدرسون في جامعة القاهرة، تعتبر ليلان ملكة جمال مصر، فهي رائعة وفاتنة وطويلة القامة مقارنة بالأخريات.

سحر: الابنة الثالثة والتي اقترب عمرها من السابعة عشرة، تسير على نهج شقيقتها ليلان ومعجبة بما تقوم به من تصرفات وأقوال كما إنها جميلة مثلها ولكنها أقل بياضاً وتميل إلى قص شعر رأسها مثل ممثلات السينما فى ذلك الوقت.

فاروق: الابن الرابع: في منتصف المرحلة الابتدائية وقد بلغ من العمر اثني عشر عاماً يشبه إلى حد كبير شقيقته الكبرى أمال، ذو رأس كبير ولغد أسفل الذقن وعقل فارغ قليل الاستيعاب وهو دلوعة أمه عائشة فكل ما يطلبه ينفذ فوراً و لا مجال للتردد.

بشينة: آخر العنقود؛ ذات الأعوام المبيعة، طفلة وكل معالم الجمال تبدو عليها مبشرة بفتاة جميلة .. هي الصورة المصغرة للفنانة الراحلة نعيمة عاكف لها بياض بشرة ليلان وحلاوة أسنانها ووجها المستدير، تهوى اللعب والضحك وتصبح في منتهى السعادة عند زيارة منزل جدتها بحى بولاق "أبو العلا"



استطاع أبناء السيدة فردوس الذين يعملون بالقاهرة إقناع أمهم بالانتقال إليها في بداية عام ١٩٥٢ ثم تلا ذلك قيام ثورة يوليو بعدها بعدة أشهر وغير هذا من اتجاه حركة أبنائها فأصبح الجميع يقصد منطقة بولاق "أبو العلا" حيث تقيم الأم مع ابنيها وكريميتها سندس و زينب وبدا واضحاً بعد مضي فترة أنهم قد تأقلموا على المعيشة بها حيث سهولة الحياة من ماء و كهرباء وكذلك مرور الباعة الجائلين على الأبواب كما استخدموا وابور الكيروسين للطهي.

أما عن راضي فقد اعتاد أن يتوجه لزيارة والدته وشقيقاته للاطمئنان عليهن من ناحية ومن الناحية الأخرى المساهمة المالية التي يدفعها لضمان مستوى معيشى أفضل نظراً لصغر دخل شقيقه من وظائفهما.

في صيف عام ١٩٥٤ سافر راضي إلى القاهرة لقضاء ثلاثة أيام مصطحباً معه هشام وكان يبلغ من العمر عشرة أعوام، كانت تلك هى المرة الأولى التى يسافر فيها الطفل إلى القاهرة وسعدت به الجدة والأعمام والعمات كثيراً.

في اليوم التالي كان راضي عائداً إلى طنطا مصطحباً ابنه معه ولكن والدته طلبت منه بقاء هشام معهم عدة أيام حيث إنه في إجازة من المدرسة ويستطيع الاعتماد على نفسه .. وافق راضي على ذلك عندما لاحظ رغبة الطفل في البقاء مع الجدة والأعمام والعمات الذين وعدوه بزيارة الأماكن الجميلة التي تزخر بها القاهرة .. بعد سفر راضي تمتع هشام بعض الوقت بالذهاب إلى السوق مع عمته وفي نهاية الأسبوع يصطحبه أحد الأعمام إلى نزهة وفي بعض الأيام يجلس هشام في المنزل حيث الكل مشغول عنه .. الأعمام في أعمالهم والعمات في إدارة شئون المنزل والجدة توارب الشباك تنظر إلى الشارع للفرجة والتسلية أما هشام فهو قابع على هذا السرير أو ذاك الكرسي ولم يكن جهاز التليفزيون قد اخترع وكان الراديو حديث العهد ولهذا انتابه الضيق من عدم وجود الصحبة .. فالأطفال في الشارع غرياء عنه .. في أحد الأيام قرر كسر حدة هذا المسكون والجلوس بالمنزل وأن يخرج ويلعب مع الأطفال حيث شاهدتهم يلعبون الكرة الشراة فوق على الرصيف يشاهد المباراة، بعد قليل جاءه أحدهم وصاح فيه وهو مقبل عليه تاركا اللعب وكان الفتى أكبر منه حجماً قائلاً:

. بتعمل إيه هنا ياد؟ تلثم هشام في بادئ الأمر

- بأتفرج وأشوفكم وانتم بتلعبوا "الحكشة" وهي كرة القدم عند أهل الريف .. ضحك الصبي وسخر منه وكان مممكاً بعضاً في طول مسطرة الدراسة حيث زغده بها في صدره فألمته وقال له:

. امشي ياد يا فلاح يا بتاع الحكشة .. فأضحك هذا الأطفال

غادرهم مطاطئ الرأس مما لصق به من إهانة سواء بالضحك والمسخرة منه أو طرده من مكان اللعب وشعر أنه هُزم ولم يستطع أن ينام تلك الليلة

وظل مُسهداً حتى أقبل الصباح الذي كان يستهض قدومه حتى انبج يوم جديد ومضت الدقائق وسمع صوت الأطفال يلعبون في الشارع فذهب بخطى ثابتة وهو عاقد العزم على شئء ما، شاهده كبيرهم الذي زغده بالأمس وتقدم منه ثانية صائحا في وجهه:

- أنا مش نبهت عليك ياد أنك متجيش هنا تاني، أنت مش بتفهم؟ أممك بقميص هشام من تحت الياقة ولف القميص حتى كاد الطفل أن يختنق مما دفع بعض الأطفال إلى الصراخ قائلين:

- كفاية يا زين "حيموت في إيدك" ... تركه بعد أن دفعه بيده بعيداً عنه وهو يتوعده، هندم هشام قميصه ومازال الأطفال يطالبونه بالرحيل قبل أن يفعلها زين، توجه هشام إلى زين ووقف أمامه وفي لمح البصر هوى بقلمين صفحا على وجه الذي بُهت ومن معه من زملائه ولم يستطع أحد أن ينتبه للمفاجأة بينما ترك هشام ساقيه للريح حتى وصل إلى باب العمارة؛ انتبه زين إلى فجيعته فجرى خلفه لينتقم منه، شاهد وتابع هذا الموقف "وديع" ابن المعلم حبشى جرجس المقارب في البنية إلى حجم الصبى زين وفي نفس عمره والأهم من هذا أنه ابن المعلم حبشى أكبر تاجر مخدرات ومشاعب ويلطجي بولاق اعترض طريق زين قائلاً:

- "اللي حيهوب ناحيته حاقتح غطا بلاعة المجاري وأرميه فيها .. فاهمين يا همج .. غوروا" .. فتراجعوا للخلف خشية منه.

”المعلم حبشى جرجس”

منذ ذلك اليوم الذي استطاع فيه هشام أن يدافع عن نفسه وكرامته ضد إهانة بعض الصبية واحتقارهم له لاختلاف نطق بعض الكلمات وسبابه بأنه فلاح ولقائه مع هذا الصديق الجديد الذى جمعته المصادفة به؛ حدث تغير لمنهج هشام وعلاقته مع حى بولاق والمنطقة التى تعيش فيها أسرة جنته؛ بعد مغادرة هؤلاء الأطفال وتركهم هشام خوفاً من وديع وأسرته قال له وديع محدثاً: هشام إياك أن تخشى هؤلاء الصبية أبناء الشارع، فأنا وأنت أحسن منهم، نحن أبناء عائلات وليكن أبى جرجس شنودة الشهير بحبشى جرجس مثلاً على ذلك، فقد قدم إلى القاهرة منذ أكثر من عشرين عاماً ووضع قدمه ويده بداخلها يأخذ من خيراتها ويرد من يعاديه ويهاجمه وليس هذا نفاعاً عنه .. لا لأنى لا أتفق مع ما يقوم به في أعماله وتجارته فهو يريح الكثير ولكن من تجارة غير مشروعة ومخالفة للقانون وما أكثر المخالفين للقانون في القاهرة .. سأقف معك يا هشام ولتضع يدك في يدي لنكون يداً واحدة نحن أبناء بحري وقبلي في وجه من يناصرنا العداة أو من تسول له نفسه التعرض لنا .. تصافح الصبيان الصغيران هشام ابن العشرة أعوام ووديع ابن الأربعة عشر عاماً وتفارقا على لقاء كل يوم حيث يحضر وديع إلى دكان والده الذي يقع في نفس الشارع أمام العمارة القديمة التي تسكن بها جدة هشام.

حبشى جرجس والد الصبي وديع هو مثال للشهامة والانحراف في نفس الوقت، فإذا نظرت إليه وإلى وصفه وشخصيته تجده يجمع كل المتناقضات الموجودة بالشعب المصري .. فهو متوسط القامة فليس بالطويل ولا بالقصير ممثلئ البدن نسبياً نو شارب كثيف وصوت مرتفع خشن يعلو على أصوات

ميكروفونات الأفراح .. شديد البأس فلا يخاف المشاجرات التي تحدث في تلك الأحياء الشعبية وما له حي بولاق أبو العلا من شهرة في المشاجرات التي هي مليلة معارك خاضها رجاله ضد الاحتلال الفرنسي وبعده الاحتلال الإنجليزي فهم بطبعهم لديهم دفعة وطنية.

عصر كل يوم يحضر حبشى جرجس ويفتح دكانه في منطقة تسمى بالزبع .. تحيط بها الدكاكين من كل جانب .. أى ليس بداخلها منازل بل مخصصة للأعمال التجارية والحرفية والمحلات بسيطة الحال وهذا الزبع مبنى من دور واحد .. وتوجد دكاكين متواضعة المنظر والنظافة والإمكانات فهذا لإصلاح وإبور الجاز والكلويات الضخمة .. وذلك عجلاتي وآخر علاف لبيع البنور والحبوب وآخر مزين ورابع كواء وخامس نجار طبالي وكراسي حمام ويقال رقيق الحال ودكان كوالين الأبواب ويجانبه طرشجي بلدي وقهوة صغيرة وآخرهم بائع للفحم.

إنه سوق بديع مختلف الأصناف لكي يكمل منظومة احتياجات أهل المنطقة ومن أشهر هذه الدكاكين كان دكان حبشى جرجس حيث يحضر عصرا إلى الدكان ويفتح ضلفه الخشبية الأربعة وقد ارتدي جلابيا بلدياً قديماً ثم يأتي بالمقشاة لينظف المحل من الداخل والخارج ويجمع القمامة في وعاء صفيحي قديم ويعد ذلك يحضر دلوا ويذهب إلى محل الأسطى عجور المزين المجاور لإحضار الماء فيقوم بالرش أمام المحل يميناً ويساراً .. ولا يستطيع أحد من جيرانه أن يرد له طلباً أو أمراً فهذا معناه ببساطة أن يضع الجردل في رأسه ويعطيه بعض اللكمات السريعة مع سباب من كل الأنواع بدءاً من الأب والأم ونهاية بالتشبيه بالحيوانات الضالة وإذا لم يكن معه الجردل ففرضيتين بالرأس كافية أن تطرح خصمه أرضاً ولا يقوى على النهوض حتى لو حضر

شيخ الحارة وقام بالعد حتى الرقم ١٠ مثل مباريات المصارعة .. انتهى المعلم حبشى من مهمته الأولى .. النظافة ورش المياه على أرضية الشارع .. الشارع باسم /أمير اللواء ومواز لشارع ترام السبتية .. فإذا سرت غرباً قطعت شارع الترام ثم وصلت بعد عدة أبنية قديمة إلى الكورنيش فتجد أمامك النيل الساحر وفي الجهة الأخرى يقع حي الزمالك الراقى وقاطنوه من الطبقة الأرستقراطية وإذا سرت شرقاً توغلت في حي بولاق و منه تصل إلى شارع بولاق الجديد ووكالة البلح وجنوباً تصل إلى سوق روض الفرج الشهير بتجارة الخضروات والفاكهة بالجملة وشمالاً تصل إلى كويري " أبو العلا " ومبنى الإذاعة والتليفزيون.

بعد الظهيرة بساعتين يبسط الظل على المكان زلحفا على دكان حبشى مع بعض الطقوس التي يقوم بها المعلم من كنس ورش مياه فتصبح المنطقة أمام الدكان رائعة والهواء ينطلق فيها ينعش القاطنين والسائرين .. بعد أن أنهى المعلم الكنس والرش يدخل إلى دكان الأسطى "عجور المزين" ليغتسل ويزيل عنه آثار المجهود الذى بذله فى نظافة المكان، بعدها بلحظات يحضر "قرنى" صبى المكوجى حاملاً الجلاباب الأبيض بعد أن تم كيه ليرتديه المعلم الذى يجلس على كرسي خشب فوقيه منجد ومزود بمسندين يرتدى جورياً أبيض وحذاء بنفس اللون ويجلس استعداداً للعمل فيحضر بعد قليل برعى صبى القهوة حاملاً شيشة المعسل.

هذا هو المعلم حبشى جالس فى عرض الطريق يراقب الناس ذهاباً وعودة يجلس على كرسيه واضعاً ساقاً على ساق وأسنانه الذهبية تظهر عند كل خروج نفس من أنفاس الشيشة أو حين التحدث.

بعد قليل تحضر مجموعة من النسوة فى أبهى زينتهن وهن دائماً أربعة ..

والدته فلورانس وشقيقتاه رينيه ومادلين وزوجته أم وديع أو مريم فيسرعن إلى داخل المحل بإحضار كراسى لهن ويجلسن يحطن بالمعلم اثنتان عن يمينه واثنتان عن يساره وهن دائماً كثيرات الحديث والضحك بصوت مرتفع عال كما أن أفواههن مشغولة بفزقة اللب والسودانى والحديث الذى تتخلله الضحكات العالية الصوت.

هذا هو المنظر اليومى الذى يشاهده هشام منذ استقر فى منزل جدته فردوس، يستمر هذا المهرجان العائلى إلى بعد منتصف الليل حيث فصل الصيف والناس تفضل السهر، كان هشام يشاهد حبشى مشغولاً برد التحية التى يتلقاها من الناس سواء حبا فيه أو مصلحة مشتركة من أصحاب الكيف أو ممن يخشون بطشه وبأسه وهو يرد تحيتهم حسب قيمة كل شخص، أما الشخص الوحيد الذى كان يقف المعلم ليبدأه بالتحية والترحيب والاحترام هو الحاج "فخرى" ... أما لماذا الحاج فخرى؟ لأنه صاحب المنزل الكبير الذى يقع على ناصية الشارع ثم أن جميع أبنائه يتقلدون وظائف مهمة فى الدولة خاصة ابنه الأكبر العقيد فتحى فهو من ضباط الجيش وصديق حميم لرجال الثورة .. كل مساء يحضر له الخادم كرسيا على رصيف منزله ليجلس عليه وهو رجل قليل الكلام ويستغل وقته فى الاطلاع على الصحف والمجلات.

استفاد المعلم حبشى كثيراً من الحاج فخرى دون أن يعلم الرجل بهذا فقد كان حبشى هدفاً مستمراً لرجال الشرطة .. وعرف عنه تجارته للمخدرات التى يوزعها على زبائنه فى تلك المنطقة والمناطق المجاورة كعادة سكان الأحياء الشعبية التى يقطنها الكثير من أصحاب المهن والحرف الذين يتعاطون هذا الكيف "لوزن أمغتهم" ولهذا كان المعلم حبشى ينتفض واقفاً عندما يشاهد الحاج فخرى بعد أن أسر خادمه فى أذنه ويسرع خلفه حاملاً

الكرسى فيدرك بأن الحكومة سوف تقوم بكبسة عليه ولهذا يقوم بسرعة بتنظيف محله من الصنف "المخدرات".

بعد عشر دقائق يحضر رجال البوليس ويفتشون المحل عن أى نوع من الممنوعات فلا يجدون أى شئ ويعودون كما أتوا وهكذا بنكاء أهل البلد ربط حبشى بين مغادرة الحاج فخرى المكان وكبسة الحكومة حيث علم بعد ذلك أن القسم يتصل بمنزل الحاج ليخبرهم بوجوده داخل المنزل حتى لا يحدث له مكروه أثناء مهاجمة رجال الشرطة لمحل حبشى.

وضع حبشى راديو كبير الحجم من النوع المستخدم فى هذا الوقت ليسمع منه الناس سواء فى الشارع أو الجيران أغانى والحن أحسن المطربين والملحنين وأرق كلمات الحب الرقيقة العفيفة فكانت مُتعة لمن حوله حيث يمكنهم أن يستمعوا لأغاني أم كلثوم "هجرتك يمكن أنسى هواك .. يا ظالمنى .. للصبر حدود .. سلو قلبى .." ثم المطرب المرح محمد فوزى "شحات الغرام .. وحكم الزهور زى السنتات .." ومحمد عبد المطلب "ودع هواك وأنساء .. رمضان جانا .." ثم أغانى الموسيقار عبد الوهاب "عندما يأتى المعاء .. الجنودل .. القمح الليلة .. عاشق الروح" وتفاجا بالملحن الموهوب فريد الأطرش "أول همسه والربيع .." وأخيرا المطرب الناشئ عبد الحليم حافظ "علشانك يا قمر .. صافينى مرة .. أسمر يا اسمراتى .. أبو عيون جريئة"

الشارع عبارة عن احتفال موسيقى غنائى تتخلله الأحاديث الهائئة وكان الناس دائمي الابتسامة وقليلى المشاكل ولديهم هدوء وسكينة ولا يحملون كرهاً أو حقداً لأحد كما أن رجال الثورة أسعدوا الناس بخططهم لتحقيق الرفاهية للوطن .. تضاقر كل هذا فى إنعاش الحالة النفسية للناس خاصة إن الحكومة انتهت من إنشاء كورنيش النيل الذى أسعد سكان القاهرة الفقراء الذين

يستطيعون أن يتمتعوا بالنيل ونسيمه العليل دون تكليفهم عناء الجلوس على كازينو لا يستطيعون تحمل نفقاته .. الحالة العامة هي السعادة والسرور، كان من الطبيعي أن تشاهد الناس والشباب يسيرون في الشوارع أو على كورنيش النيل يرددون أغاني هذا الوقت خاصة أغاني عبد الحليم حافظ الذي أثار مشاعر الحب والعاطفة عند الشعب وبالأخص الشباب من الجنسين .. فلا تدهش أن تسمع مجموعة من الشباب وهي تنددن بأغنية على قد الشوق الليلى فى عيونى يا جميل سلم .. أو مجموعة تصفق ثم أحدهم يغنى "قولوا الحقيقة لأبو عيون جريئة" .. كانت مقدمات تلك الأغاني هي أسلوب مغازلة الشباب للفتيات بأن ينددن الشاب أمام الفتاة التي يرغبها ويحبها بمقدمة أغنية من نوعية تلك الأغاني.

ينافس المطربون والمطربات فى أغانيهم الباعة .. وكان الباعة قد قرروا أن يختبروا أصواتهم أو قل إنهم تأثروا بالمناخ العام من الموسيقى والألحان التي كانت تغمر الشارع منبغثة من الدكاكين والمحلات والتي كانت تساعد العاملين على العمل وهم فى سعادة وبهجة .. كما كان باعة الصباح غير باعة المساء .. فالباعة يرددون النغمات للبيع وتوفير حاجات الناس .. كان الشارع لا ينام وكل شىء موجود على باب المنزل ومتوافر وبأسعار أقل من المحلات.

هذا هو أحد شوارع بولاق أبى العلا ليلاً .. المعلم حبشى ما أسعده فهو بطبعه يحب الناس والحركة والأنوار ويكره الحزن والمشاكل وكان دائم الحنق على رجال الشرطة الذين لا يتركونه ييسط الناس ويعدل مزاجهم ويجعل الرجال أسوداً فى منازلهم ؛ يردد دائماً:
. أنا زى الأجزخانة عندى الدوا الليلى مش موجود عندهم، ليه الحكومة

بتهاجمنى ومطينه عيشة أهلى؟ ومش بتهاجم الأجزخانات!! علشان هما متعلمين وإحنا لأ.. والمسيح دأ ظلم.

عندما يختقى الحاج فخرى عدة أيام تصبح مشكلة كبيرة أمام المعلم ويطانته فهذا معناه ببساطة أن كبسات المباحث ستم فى أى وقت وليس لديه إنذار، لهذا تفتق ذهنه عن فكرة لمعالجة مثل تلك الأمور الطارئة بأن يرسل لأصحاب المزاج والكيف بالحضور والجلوس قريبا من المحل وإذا حدثت كبسة يقوم الجميع بالتعارك فيما بينهم فيضطر رجال المباحث للتدخل لفض المشاجرات يكون المعلم خلالها قد استطاع إخفاء المخدرات بعيداً عن المحل والمكافأة لهؤلاء الرجال تعميرة مجاناً من صنف "الله أكبر فوق كيد المعتدى" أما الرجال من غير أصحاب التعميرة والمزاج فيبدل لهم المنحة بزجاجة بييرة أو زجاجة مياه غازية .. وكما قال أحدهم عنه:

. الرجل حقانى ويخاف ربنا ويبدى كل واحد حقه!

أما عن وجود نساء المعلم حبشى فلم يكن لغرض التسلية أو قضاء وقت .. بل أنه كان من صميم العمل .. حيث من المتعارف عليه أن أصحاب الكيف يرغبون فى الفرفشة والمتعة .. ولهذا فإن العميل الذى يذهب إلى حبشى ويشاهد تلك الكوكبة من النساء تحيط به يشعر بسعادة خاصة عندما يتبادلون أطراف الحديث .. وما هو من حديث يبدأ من مساء الخير والفل حتى يصل إلى ما يحدث فى حجرة النوم وكل هذا يدور من خلال ضحكات وغمزات النسوة حيث كان الله قد حباهن بجمال طبيعى أخاذ بالإضافة إلى استخدامهن لأدوات الزينة التى تحسن بنات الأحياء الشعبية استخدامها كما أن لهن فائدة أخرى غير هذا وهى حفظ التعميرات فى ملابسهن الداخلية خاصة عند شعور المعلم باحتمال كبسة الشرطة ليلاً حيث له عيون فى قسم بولاق ترسل له بالمراسيل.

لقد حدد لكل واحدة منهن الاحتفاظ بنوع من التعميرة مختلف حيث إن كل صنف يختلف عن الآخر .. كما أن العملاء لا يشعرون بمتعة في استخدام صنف محدد .. فيطلب من مادلين أن تتحفظ على صنف "أبو عيون جريئة" حيث كان حديثا ويحتاج إلى المغامرين .. كما كانت ربنيه مسئولة عن صنف "ودع هواك وهذا كان مخصصا لأصحاب المشاكل الذين يريدون نسيان ما ضايقهم ووترهم .. أما مريم فكانت مسئولة عن صنف "عاشق الروح" وهو المخصص للرجال الذين هجرتهم زوجاتهم أو حدث انفصال أو شاب كان معلقا بقصة حب وغدرت به الحبيبة .. لذا فهو يندن وهو متسلطن مع التعميرة قائلًا:

. ضحيت هناى معاك .. وحأعيش على ذكراك.

هذا ما كان هشام يشاهده ويسمعه يوميا فترة وجوده مع جدته وهو الطفل القادم من مدينة طنطا الصغيرة الحجم وأهلها قوم يعملون فى سكون ودون مشاكل كما توطنت العلاقة بين هشام ووديع حبشى عندما كانت تحضر أمه مريم .. فلا يجد مناصا من الحضور برقتها.

بثينة فى منزل الجدة

مساء أحد الأيام كان هشام يقف أمام العمارة التى تسكن بها الجدة كعادته اليومية يشاهد ما يجد على الشارع من أحداث والتمتع بأحاديث العامة خاصة المعلم حبشى فإذا به يلمح عن بُعد من أول الشارع القادم من جهة الترام "ليلان" ابنة عمته قادمة ممسكة بيد بثينة شقيقتها الصغرى فأسرع فرحا للقائهما مستأنسا بقدمهن حيث بادرت ليلان قائلة له:

. إيه رأيك يا هشام؟ جيت لك بثينة عشان تلعب معاها.

ظهر السرور على وجه الصبى وفرح أنه سيجد أخيراً من يلاعبه، رافق هشام ابنتي عمته إلى داخل الشقة حيث قابلتا الجدة والخاليتين ثم تحدثت ليلان إلى جدتها تبثها الشكوى من سوء معاملة شقيقها فاروق لشقيقتها الصغرى وأنه دائم الاعتداء عليها ضرباً وصفعاً والسباب دون داعى والأهم من هذا أن أمها مؤيدة لما يفعله فاروق ببثينة والتي ظلت تبكى طوال اليومين السابقين حتى حضرت واقترحت عليها بأن نحضرها هنا لتبتعد عن مشاكل فاروق التى لا تنتهى ولا نجد حلاً لها.

تساءلت الجدة عن موقف والدها .. أجابت ليلان على سؤال جدتها قائلة .. إن والدى ليس له كلمة فى المنزل وأنه حزين لما يحدث لها ولا يستطيع أن يفعل شيئاً سوى التوسل لوالدتي بأن ترحم تلك الطفلة.

جلست بثينة على حافة سرير الجدة وجوارها ومازلت تنتظر القرار إلى أين سوف تذهب؟ هل ستبقى أم ستعود مع شقيقتها إلى مكان آخر؟ .. أخبرتهما الجدة بالخبر التى كانت ليلان وبثينة يتمنيان سماعه قائلة لها: ستكونين فى أمان هنا معى ومع خالاتك وتبعدى عن هذا الأحمق فاروق ..

أذهبي والعبى مع هشام وأعطت لكل منهما عملة معدنية.

خرج الطفلان معا إلى الشارع وقاما بشراء الحلوى من البقال القريب وعادا ثانية يلعبان ويضحكان والأسرة تراقبهما؛ كانت ليلان قد غادرت المنزل بعد أن أنهت مشكلة بثينة .. وأصبح كل من فى المنزل سعيداً بأن عادت البسمة إلى وجه الطفلة والتي غابت عنها الابتسامة منذ ثلاثة أعوام.

مضى على وجود بثينة فى كنف الجدة وأحوالها حوالى الأسبوعين تحسنت حالتها النفسية وبدأت تغارقها حالات البكاء الليلي أثناء نومها من سوء معاملة أمها وشقيقها كما كان لوجود رفيق يلعبها أكبر الأثر فى ذلك فقد كانت محرومة من تلك الصحبة، لفت هذا نظر العائلة من حالة الالتصاق بينهما حيث لا يفترقان.

اعتاد كل من هشام وبثينة التوجه إلى دكان الأسطى شكل العجلاتى لاستئجار دراجة ذات الثلاث عجلات يلهوان بها حيث يقودها أحدهم والآخر يجلس على المقعد الخلفى ويتوجهان بها إلى كورنيش النيل بالمنطقة التى تحتلها الآن الهيئة العامة للكتاب، فيقوم الأطفال بقيادة الدراجة من كوبرى إمبابية حتى كوبرى أبى العلا ثم العودة، يظل هذا حالهما حتى يصيبهما الإعياء من كثرة المجهود وتأثير أشعة الشمس على أجسادهما النحيفة الرقيقة.

لم يستطع الطفلان أن يتقيدا بموعد استئجار الدراجة مما كان يعرضهما لغضبنة شنكل وشقيقه جادون ودفع هذا فى أحد المرات المعلم حبشى إلى العراك معهما وانتهت المعركة بإصابة الشقيقين إصابات دامية بفضل ضربات رأس المعلم الذي أمرهما بأن يسلما الطفلين أحسن دراجة كل يوم وهو الذي سيتولى دفع قيمة الإيجار دون التقيد بموعد محدد.

هكذا أمضى هشام شهرين فى منزل الجدة ببولاق أبى العلا وتفتح ذهنه

على الحياة وشاهد مالم يشاهده فى مدينته كما أنه خلال تلك الفترة تمتع بصداقة وديع وصداقة بثينة ابنة عمته، كما شاهد بعض المناطق الترفيهية والميادية بصحبة الأعمام والعمات بالإضافة إلى ما تمتع به من حب وعطف الجدة.

اقترب موعد عودة الطلاب إلى مدارسهم وهذا معناه أن هشام قارب على العودة إلى أسرته التى نسيها تماما لانشغاله باللعب والتمتع خلالها مع رفيقته ومؤنسته بثينة .. كما راود بثينة هذا الإحساس ولكنه إحساس مختلف عن هشام حيث الخوف بأن تعود لمنزل عائلتها وتصطدم بما كانت تقاسيه علم هشام ما تقاسيه صديقته من إهمال الأهل وسوء المعاملة وقد أثر هذا فى نفسه كثيراً وود لو سافرت بثينة معه إلى طنطا .. لم تمضِ عدة أيام إلا وحضر والده ليمكث يومين مع عائلته ثم يعود إلى طنطا مصطحباً معه ابنه التى ما فتئت أم هشام عن مطالبته بعودة ابنها إليها حيث لم تتعود على فراقه تلك المدة الطويلة.

الليلة السابقة لسفر هشام بصحبة والده عائدين إلى طنطا جلس كل من هشام ووديع وبثينة على رصيف الشارع أمام باب العمارة وحضرت بعد قليل سارة لتبتاع لأبيها زجاجة بييرة حيث انه من زبائن المعلم حبشى؛ سارع وديع مستفسراً منها:

. تأخرت النهارده ليه يا سرسوره! فضحك كل من هشام وبثينة وقد علا الضيق وجه سارة محدثة وديع بلهجة كلها وعيد:

. سرسوره اللى بتتكلم عنها تلاقىها فى البلاعة .. معننش حانعب معاك يا وديع طيبت بثينة من خاطرها قائلة لها أنتِ أحلى "سوسو" شفتها مما أسعد سارة مما دفع هشام بسؤال إلى صديقه وديع عن اسم دلج بثينة .. فكر قليلاً ثم قال:

- بسبب .. دلح بثينة يبقى بسبب وقد أسعد هذا الاسم باقى الأصدقاء وأصبحت بثينة "بسبب" وسارة "سوسو".

مضى عام دراسي على افتراق الطفلين ولم يتذكرا خلاله الصداقة واللعب واللهو الذي جمع بينهما فى منزل الجدة وحى بولاق ومجرد أن بدأت الإجازة الصيفية تذكر هشام منزل الجدة وبثينه والشارع واللعب؛ بداية الصيف توجه راضى يرافقه هشام إلى منزل والدته بالقاهرة فشعر بالسعادة بأن يشاهد أمه وإخوته الصغار خاصة الفتاتين "سندس وزينب" والذي كان والده دائما ما يوصيه بهما خيراً وهو على فراش المرض.

فى اليوم التالى قام راضى بزيارة إلى منزل شقيقته عائشة للاطمئنان على صحة زوجها الحاج عبد الحميد المريض منذ عدة أسابيع واصطحب معه هشام وحين شاهدته بثينة أصابها الفرح والسعادة وأقبلت عليهما مصافحة وتركت شئون المنزل ووقفت تتحدث معه سعيدة به.

علم راضى أن الحاج عبدالحميد مريض بالربو الشعبى ونصح الأطباء بابتعاد الأطفال الصغار عنه حتى يتمثل للشفاء فعرض راضى على شقيقته أن تعود بثينة معه إلى طنطا أو إلى منزل الجدة ولكن عائشة طلبت منه أن تبقى عند جدتها حتى إذا احتاجوا إليها أمكنها أن تعود بسهولة ووافق راضى على ذلك.

مجرد أن شاهدت الجدة حفيدتها بثينة قادمة حتى غمرها الفرح ورفعت يديها إلى السماء بالدعاء لابنها راضى الذى أحضر تلك المسكينة من يد عشاوى (عائشة) وقد أضحك هذا التشبيه أبناءها وبناتها ثم سألت راضى سوآلا مباغتاً.

راضى .. ما مصير دعوى الوقف الذى كلفتك به بعد وفاة المرحوم والدك؟

هل أكملت ما بدأه أو أنك نسيت هذا فى غمرة مشاغلِكَ؟

ابتسم راضى قائلاً: أبداً يا أمى، لم تتسنى مشاغلى ما كلفتنى به ومنذ شهر اتصل بى المحامى المسئول عن القضية وأخبرنى أن جلسة النطق بالحكم ستكون فى بداية العام القضائى القادم .. أى فى شهر أكتوبر ولقد طمأنتنى المحامى على وضعنا فى القضية.

سعدت الأم بهذه الأخبار قائلة: المهم أن يصلنى حقى قبل أن أموت وأقابل رى .. لقد استمرت تلك القضية سنوات طويلة وكيف لأى إنسان أن يستمر طوال حياته فى البحث عن حقه .. إننى أنوى أن أكتب نصف ما سأحصل عليه من ميراث جدكم إلى حفيدتى بثينة إذا حكمت لى المحكمة.

اتضح الموقف الآن فسوف تعيش بثينة هذا الصيف فى منزل الجدة وفى رعايتها ورعاية الخالين والخاليتين .. لم تعلم بثينة بما قدره لها القدر فقد كانت مشغولة بالحديث مع هشام كما أن عمرها لا يجعلها تدرك مثل تلك الأمور، أمرت الجدة جميع من كان متواجداً بالألا يخبروا احداً من الإخوة أو بثينة حتى لا تقص على أمها فى المستقبل ما تنوى فعله ووافقها الجميع على ذلك.

زاد طول بثينة هذا العام مقارنة بالعام الماضى وكانت تسير مع هشام ويعتقد البعض أنها أكبر منه عمراً .. ازدادت العلاقة بين الاثنين قوة ومتانة عن العام الماضى وبعد مرور عام وفى عمرهما هذا مما ساعد على نمو مداركهما وأفكارهما ولم تعد هناك إسرار بينهما وكل يعلم ما عند الآخر من معلومات وحكايات وقد اتسع نطاقه حتى وصل إلى إنكار الذات ..

مرت الأعوام على كل من بثينة وهشام بنفس الوتيرة السابقة باللقاء كل صيف فى منزل الجدة والتي كانت بثينة تقيم به إقامة شبه دائمة ولا تذهب

لمنزل عائلتها إلا يومين فى الشهر أو فى المناسبات وأصبح شقيقها فاروق سعيداً بأن تخلص منها وأصبح هو الوحيد والأصغر فى المنزل وهو دلوعة أمه كما كان جميع أفراد الأسرة يعرفون عنه ذلك .. بعد عدة سنوات نما فيها الشباب ولكن نمو بثينة كان أكبر ولافتاً للنظر فسارت على نهج شقيقتيها "ليان و سحر" فى قوة البنية وجمال الشكل وحلاوة الحديث والأنوثة التى بدأت تظهر على ملامحها .

أعلنت نتيجة الثانوية العامة وحصل هشام على مجموع كبير يفوق ما حصلت عليه بثينة وعمت الفرحة والبهجة الجدة وجميع الأقارب فى المنزل لما وصل إليه الحفيدان فتقدم هشام بأوراقه إلى مكتب التنسيق برغبة أولى كلية الفنون الجميلة حيث يعشق فن الرسم والنحت ولذا فهو يريد تنويع رغبته بالدراسة الأكاديمية وبعد اجتياز اختبارات القبول لمثل هذا النوع من الدراسة قبل بها والتحق بالمدينة الجامعية لأنه مغترب وله الحق فى ذلك .. أما بثينة فقد رفضت أمها أن تلتحق ابنتها بالجامعة وحاولت كل من ليلان وسحر أن تقنعا أمهما بذلك خاصة أنه لم يلتحق أحد من أسرتهم بها من قبل ولكن الأم رفضت ذلك وكان هذا بتوجيه وضغط من ابنها فاروق الذى فشل فى الحصول على الشهادة الإعدادية ويعمل حالياً كعامل فى إحدى ورش الخراطة بالعباسية.

حاولت الجدة إقناع ابنتها عائشة بأن هذه فرصة كبيرة خاصة أن التعليم الجامعى أصبح مجاناً بعد أن قرره الرئيس جمال عبدالناصر ولكنها رفضت كل هذا متعلقة بأن بثينة كبرت ونضجت وأنها تخشى عليها من شباب الجامعة ولهذا فهمُ تعدها للزواج مثل شقيقاتها الثلاث اللاتى تزوجن فى مثل عمرها . شعرت الفتاة بالقهر والظلم الذى مازال يطاردها حتى حرمها من التعليم

الذى هو حق للجميع كما تقول الدولة وكل دول العالم الراقية ولكنها فقدت هذا الحق مثل ما فقدت حنان الأسرة وبالأخص حنان والدها الذى كان دائما ما تهفو نفسه ليراها ويقبلها مثل ما كان يفعل مع شقيقاتها ولكن تحت عناد الأم وقسوتها تدمر كل شىء فى حياتها ولم يتبق أمامها من طاقة أمل وحيدة إلا منزل الجدة وهشام ابن خالها، استكانت لقدرها ونصيبتها وشعرت بحزن دفين لاعتة اليوم الذى ساقها فيه حظها العاثر لتكون ابنة لتلك السيدة.

كان أشد الحائقين على تصرف عائشة هى أمها فردوس ولذا طلبت من ابنها راضى أن يعجل فى إنهاء وصية أرض الإسكندرية التى قررت نصفه لحفيدتها بثينة منذ عدة سنوات بعد أن حكمت لها المحكمة بأحقيتها فى هذا الوقف، أخبرها راضى أنه سيعد الوصية بأقصى سرعة ويحضرها لها .. كانت الجدة تشعر أن حالتها الصحية تزداد سوءا من أثر السنين والأعوام وهى تريد إنهاء وصية الحفيدة خاصة بعد التعنت الواضح لابنتها وحرمان بثينة من التعليم الجامعى وجلوسها فى المنزل والتحاق الكثير من صديقاتها بالجامعة بالإضافة إلى هشام، كانت تشاهد الدموع فى عيون حفيدتها متحجرة وقد فارقت البسمة والسعادة وجه الفتاة.

فى أحد الأيام حضر راضى حاملا معه وصية والدته وريثة أرض الإبراهيمية وبرفته أحد موظفى الشهر العقارى الذى يمكن انتقالهم إلى المنزل لمثل تلك الحالات لكبار السن أو أصحاب الأمراض التى تعوقهم عن التوجه لمكتب الشهر العقارى، وقعت الجدة على الوثيقة ورافق راضى الموظف إلى المكتب وعاد نهاية اليوم ومعه نسخة معتمدة بوصية الجدة لحفيدتها بنصف قطعة أرض الإسكندرية والتى لم يعترض أحد من أبنائها أو بناتها عليها.

اليوم التالى جلست الجدة على سريرها وطلبت من بثينة أن تجلس

بجوارها، جلست الفتاة وقبلتها واحتضنتها جدتها وطلبت منها عدم الحزن قائلة:
إن الله موجود في السماء وهو الذي خلقنا ونحن عبيده وهو العادل فلا تحزنى
ولا تقنطى من رحمة الله.

هشام والجامعة

أثناء تقدم هشام للجامعة لم تتركه بثينة يفرح ويسعد بمفرده فقد شاركته أفراحه رغم حزنها على حرمانها من هذا الشرف الذى يتمناه كل إنسان راغب فى العلم والتعلم لكن قدرها جعل من أمها رافضة ذلك، غادر الاثنان منزل الجدة فى اتجاه مكتب تنسيق القبول بالجامعات وبعد الانتهاء من تقديم الأوراق سار الشابان متجهين إلى حديقة الأورمان ثم إلى أحد الكازينوهات المطلة على النيل فجلسا معاً يسعدان بجمال الطبيعة ويحبهما لبعضهما البعض الذى كان ينمو مع نمو أجسادهما خاصة بثينة.

كثرت الأحاديث وقلت أوقات اللعب والخروج نهاراً تجنباً لدرجات الحرارة المرتفعة ولكن الحديث بينهما ذو شجون خافت هامس غير مسموع لأى شخص يقترب منهما، ازدادت النظرات والابتسامات والإيماءات وكلها إشارات تكثر بين المحبين خاصة فى تلك الفترة والتى شجع على نموها الحالة الرومانسية السائدة فى مصر من انتشار للفن وأغاني المطربين الحاملة والرائعة بعيداً عن النظرات الجنسية الشرهة.

تحدثه بكلمات وتعبيرات لا يعرفها ولا يفهمها لأنها أشياء تصبح مرافقة للنمو البدنى والتى تدفع بصاحبها إلى النظر فيما يناسبه ونظراً لأنه لم يصل إلى تلك المرحلة التى تجعله يبحث فيما يفكر فيه الشباب الكامل النمو فهو لا يفهم تلك الإشارات بالتأكيد بينما هى كانت أكثر معرفة بكل هذا.

مازال هشام جالساً مثل التلميذ الذى التحق بالمدرسة لأول مرة فهو يستمع لإيماءات ابنة العمة أو قل لمن حاصرت قلبه وعقله ولكنه لا يعرف ماذا يفعل أو ماذا يقول.

سمعت بثينة صوت صديقتها سارة بالشارع ففتحت الشباك طالبة منها الصعود إليها وهشام مازال جالماً معها فى نفس الحجرة .. التقى هشام بسارةُ مرحباً:

. أهلا سارة تفضلى . اتجهت سارة تلبية لدعوة بثينة وحدثته:

. إزيك يا هشام ..

. أهلا سارة .. أمال وديع فىن؟

. وديع قاعد تحت مع عمى حبشى

. طيب حانزل أقعد معاه شويه .. عايزه حاجه يا بثينة.

. ايوه .. ورينى عرض كتافك مع السلامة!!

خرج هشام غير مصدق ما حدث لابنة العمه من توتر وتخطب فى حديثها. سألتها سارة:

- مالك يا بسبوسه؟ .. فيه حاجه مزعلاكى؟ شيفاكى مضايقة من هشام .. دمعت عينا بثينة وقصت على سارة ما دار بينها وبين هشام ومحاولاتها لأن تلفت نظره لها دون فائدة بل وتنبهه إلى ما بها من مفاتن دون جدوى .. كانت الفتاة تستمع بدهشة عن هذا الشاب الخام أو القفل وطيب من خاطرها.

فى الحارة صافح هشام المعلم حبشى ورحب به بينما اصطحبه وديع بعيدا عن حبشى ليتحدثا وكان حبشى مازال يتابعهما قائلاً:

- إيه ياد يا ديعه .. مافيش ذوق؟ رحب بحبيبيك هشام .. دول جيران الهنا والذوق .. يا للا ياد قوم افتطه ازازه بييرة متلجه .. آه لزوم الجدعنه والمره نفر منا لازم يكون عنده مره ويرحب بأحبابه.

أحضر وديع زجاجة مياه غازية وقدمها إلى هشام فغضب المعلم من ذلك واعتبرها عدم كرم واحترام للصديق.

با قولك بيبره تقوم تسترخص وتديله ازاره كازوزا .. اخص على ادى صحبوية
اعترض وديع:

يا ابا سيبه فى حاله .. هشام لو اخد بق بيبره مش حيعرف يرجع شقتهم.
انت شايك كده !! طيب خلاص .. إحنا نحب المصلحه .. على قولك يتوه
وتروح تجيبه من سوق روض الفرج .. هاهاها .. بعد أن أنهى فاصل
الضحك تحدث الصديقان.

متزعش من أبويا .. أصل أنت عارف عوايده حُبه للناس كبير ويحب يرحب
بالحبايب ويبدأ بالتعميرة ويعدين البيبره وآخر حاجه الكازوزه .. ضحك الاثنان
على هذا الحب والكرم.

أقبلت سارة وانتحت بوديع جانبا تحدثه ومن حين لآخر تنتظر جهة هشام
بينما هشام مشغول بمشاهدة المارة وشرب زجاجة الكازوزه .. بعد أن أنهت
حديثها تركته وعادت إلى بثينة فى شقة الجدة بينما عاد وديع إلى هشام
مبتسما مما سمعه من مسارة والتي نقلت إليه كل الحديث الذى دار بين بثينة
وهشام والتي أخبرت به وديع لينبه صديقه إلى حديث بثينة والقصد من ورائه.
أقبلت سيدة جميلة ترتدى الملاء اللف وألقت بالتحية على المعلم وبطانته
من النساء الأربع حيث ابتدرتها أم حبشى:

- قوم يا حبشى شوف المره اللى وسطها سايب عايزه إيه؟ أصلها واقفه زى
الخياله الكدابيه .. نظرت إليها السيدة باستنكار فأكملت الحديث:
- إيه يا مره مش عاجبك كلامى؟ تخلصت السيدة من الملاء اللف بأن
وضعتها على إحدى كتفيها معلقة:

- إزاي يا أم حبشى .. دا إنتى زينة الحته بس كنت عايزه تعميريتين من المعلم
"وقدمت الثمن إلى حبشى" قائلة: مش ح أوصيك يا معلم .. حاجة كده تفتح
النفس أصل الراجل جاى النهاردهم ويقاله أسبوع مسافر.

ضحكت النسوة من كلامها حيث طلب حبشى من شقيقته مادلين
تعمرتين .. دخلت مادلين إلى المحل وأخرجت التعميرتين من بين طيات
ملابعها وأحضرتهم للسيدة والتي كانت لا تكف عن الحديث وهى تتمايص
وتتقصع يميناً ويساراً وقد لفتت أنظار الناس فى الشارع حيث خرج الأسطى
عجور المزين من المحل قائلاً:
. افرجها يارب

أخذت السيدة التعميرتين ووضعتهما فى صدرها وغادرتهم محيبة النسوة وسارت
محاولة ضبط الملاءة على جسدها والناس ينظرون إليها بإعجاب فقد كانت
على درجة عالية من الجمال.
قال وديع لصديقه:

. إيه رأيك يا هشام؟ الست دى تعجبك؟ أجابه مستكراً:
- إيه اللى بقوله يا وديع؟ انا مش بابص للحاجات دى، أنا لسه صغير
ويادوب لسه ح ادخل الجامعه .. ضحك وديع من حديثه
- ياد فوق من عصير القصب البابت اللى بتأريعه كل ليله.
نفى هشام أنه يتناول عصير القصب ليلاً ولكنه يفضل بالنهاية حيث
الحرارة مرتفعة كما أنه يفضل شرب النعناع المغلى كل مساء .. ازداد وديع
ضحكا على صديقه.
. بتشرب نعناع مغلى يا هشام؟
. أيوه .. ولو ما فيش يبقى حلبه حصى .. ضحك الشاب مصفقا يداً بيد على
ما يفعله هشام.

اصطحب وديع صديقه هشام إلى كورنيش النيل ليبتعدا عن دوشة المعلم ثم
توقفا يتحدثان معاً؛ وديع يتحدث وهشام ينصت لحديثه وهو فى دهشة من

المعلومات التي أتخفه بها .. وفي بعض الأحوال يعترض هشام على ما يقوله وديع ولكن الأخير لم يترك له الفرصة لأن يقول شيئاً ولكن ما فهمه هشام أن بثينة تحبه وتعشقه وهو لا يبالي بها ويجب عليه كشاب أن يشبع غرورها الأنتوى بأن يمتدح جمالها ومحاسنها لأن البنات ترغب في المديح والثناء عليهن .. بعد عودة الشابين إلى الحارة شاهد وديع والدته متوترة وصرخت في وجهه:

- الحق أبوك .. جرب صنف جديد اسمه "أبو عيون جريئه" والصنف طلع شديد عليه وزى ما أنت شايف راسه ثقلت وبينام.

ودعهما هشام و دخل إلى منزل الجدة حيث كان الجميع نيام لا يستطيعون السهر لهذا الوقت المتأخر من الليل .. دخل هشام في ظلام الليل ولم يفتح أنوار الصالة حتى لا يزعج أحداً من نومه حيث بها قليل من الضوء الخافت المتساقط من أنوار الشارع، على هذا الضوء شاهد خيالاً جالسا في آخر الصالة على وسادة أرضاً فاعتقد أنها إحدى عمته فتوجه إليها فإذا هي بثينة جالسة صامتة حيث بادرت:

.. "كنت فين يا قفل؟"

لم يجيبها وقرر تنفيذ تعليمات وديع له، تشجع قائلاً في نفسه أنا واد مدقق ومطرق ومتفتيش التاييه وحاجرب الفتاكة والفهلوة اللي علمها لى وديع مع شوية من عندى.

أمسك يد بثينة بركة ونعومة يتحسسها بخفة كما وجهه مرشده وأستاذة في فن الغرام، جذبت يدها من يده قائلة له:

.. أنت فاكِر أن حركات العيال اللي بتعملها حتخيل على .. أكيد حد حفظك كام كلمة وحركة تعملها معايا .. أنا حاقوم أنام؛ "قبل أن تنهض" وضعت قبلة

خفيفة سريعة على خد هشام ثم تركته وأسرعت إلى حجرة خالتها لتنام تاركة هشام مسموراً ساكناً لا يستطيع أن يستوعب ما حدث وما سببه خاصة أنها أسمعته بعض الكلمات التي تدل على غضبها منه، استند بظهره على الحائط لفترة زمنية لا يعرف مقدارها.

راودته الظنون والأفكار فيما حدث .. هل هو حب أو شهوة كما قال له وديع حيث أوضح له الفارق بين الاثنين بأن الحب يكون مستمراً وفي كل الأوقات ويظل كل طرف يحب ما يفعله الطرف الآخر؛ تذكر حديث وديع له أثناء وجودهما على الكورنيش منذ ساعة ..

- اسمعها منى يا صاحبي .. شوف .. الحب يعنى زى متقول كده زى حب بتوع السيماء .. لكن الشهوة هى الرغبة؛ حاجه زى متقول كده أن الواحد جعان وعازب ياكل ولما يشبع يقوم يسبب الطبق ويمشى .. فاهم ياد؟ ضحك هشام من تفسيرات وديع .. هشام يسأل نفسه:

لكن حكاية البوسة دية معناها إيه شهوة وإلا حب؟ المهم إنها عملت حاجه جديدة .. حكاية البوسة .. آه .. ده معناه حب .. لكن هو الحب بالعافيه وبالخناق .. آه .. تغيرتى يا بثينة .. لكن وديع قال المفروض أنى أشعرها بأنوثتها وأن أمتدح جمالها وشياكتها .. يتذكر صوت صديقه.

- افهم ياد .. البنات بتحب الملاغيه .. آه معلوم .. أمال إيه؛ هو أنت مش بتشوف الديك يمشى قدام الفرخه ويأدن .. ماهو ده معناه الملاغيه .. لأنه بيغنى لها .. هوه الديك شيخ حيأدن .. لأ طبعا لكنه بيلفت نظر الفرخه علشان مش يلحفها منه ديك تانى؛ فكر هشام قليلاً محدثاً نفسه:

- الله يخرب عقلك يا وديع .. فرخه إيه وديك إيه هو إحنا عايشين فى عشة فراخ .. لكن المهم أنتى تسلمت أول رسالة حب عملى منها ..

تتبه هشام من أفكاره وتفسيره لما حدث بينه وبين بثينة منذ ساعة أو أكثر واتجه إلى حجرة نومه حيث كان يسير متثاقلاً من كثرة الأفكار التي كان يحاول إيجاد الأسباب لحدوثها .. حاول النوم لكنه ظل مسهداً إلى وقت متأخر من الليل حيث أشرف موعد الفجر وأخيراً ذهب في نوم عميق واستيقظ على صوت بثينة محاولة إيقاظه بدفعه يميناً ويساراً حيث أخبرته أن الساعة قد جاوزت الحادية عشرة وكل من في المنزل استيقظ منذ ساعتين وأنتكُ خم نوم .. كما أخبرته بأن عليه النهوض لأن بعد ساعة من الآن سيتوجه الرجال لصلاة الجمعة .. أما خالتاها فهما مشغولتان بالمطبخ وجدتها توارب الشيش لتشاهد المارة وتُتلى نفسها .. أخبرته أيضاً بأنها تجلس بمفردها وتستمع لشخير الذي أزعج الجيران .. تكمل حديثها .. قوم يا كسلان .. ساعدته بأن مدت يديها لتساعده على النهوض ولكنه أمسك يديها وقبل كل يد قبلة خفيفة جعلت بثينة تقف ساكنة لفترة ثم جلست على السرير المواجه لسريره وقد كست حمرة الخجل وجهها وبشرتها الناعمة البيضاء وهي تنتظر إليه حالمة.

قفز هشام من فوق سريره متجهاً إلى الحمام تاركاً بثينة على وضعها هذا جالسة مُخضبة البشرة بحمرة الخجل والسعادة وتحدثت نفسها:
إننى كنت أتوقع أن يحاول تقبيلي مثل ما فعلت معه أمس ولكنه فعل ما هو أكثر تأثيراً على قلبي ومشاعري .. أن تقبيله ليدي لهو أشد قوة من قبليتي إليه .. هكذا يقول خبراء الحب إن تقبيل الرجل ليد الفتاة التي يُحبها لهو أكبر علامة ودليل على قوة الحب وصدق المشاعر .. كنت أعتقد أنه كلام روايات ولكن هأنذا قد جربتتها ولا أعلم ما حدث بداخلي ولكن كل شيء بجسدى تأثر ونما وكبر وشعرت أن حبه صادق وهو لا يعبر عنه بالكلام .. إنه تعبير عملي حقيقي وهذا هو الأهم والمهم .. إنه الحب الصادق.

لن أحاول بعد اليوم دفعه إلى ما لا يريد خاصة أنني حصلت على ما أريد .. ألم أكن أرغب في أن أخبره بأننى أحبه وأنتظر منه ما يفيد حبه لى .. ها قد فعلها دون كلمة بل فعلتها قبلة خفيفة على يدى .. أمسكت بكلتا يديها تقبلهما مثل ما فعل هشام ثم ضمتهما إلى صدرها سعيدة فرحة.

حضر هشام ليستعد لصلاة الجمعة بعد أن توضأ وشاهدها مازالت جالسة فأقبل عليها بخطوات هادئة فنظرت إليه مستكينة حيث مازالت تشعر بتخدير تصرفه معها؛ اقترب منها ومال عليها قليلاً:

. بثينة..

. أيوه .. أعادها ثانية .. بثينة .. نظرت إليه بكل سعادة ورقة

- أيوه يا هشام .. بسط يديه الاثنتين إلى وجهها الناعم الرقيق مرتباً عليهما بهدوء وهى صامدة لم تتحرك ولم تقل شيئاً.

. قبل ما أروح أصلى أعرفك وأقولك .. أنا بأحبك .. اسمعنى تانى .. بأحبك موووت .. ثم حرك خصلة من شعرها الطويل سقطت على وجهها ثم قبل تلك الخصلة والفتاة مازالت مترنحة مما فعله فى تلك الدقائق؛ توجه إلى دولااب الملابس ونظر إليها:

- حبيبى الغالى يسمح لى بدقائق علشان عايز أغير هدومى وأستعد للخروج للصلاة .. حركت رأسها دليلاً على الموافقة على طلبه وغادرت الحجرة ومازالت تنتظر لأسفل و الخجل يلزمها.

بعد أن انتهى هشام من ارتداء ملابسه توجه للحجرة الأخرى حيث بثينة جالسة هادئة على غير عاداتها وهى التى كانت تملأ المنزل بحديثها وضحكها وتتغنى ببعض أغانى شادية أو لىلى مراد .. هذا هو دأبها حين تسمع غناء تتأكد أن بثينة بالمنزل .. توجه إليها هشام:

- حبيبتي .. بعد ما أرجع من المسجد تكوني جاهزة نخرج سوا .. خلاص يا
بمبوسه .. وقد أعطتها تلك الكلمة آخر جرعة من المخدر فسكنت الفتاة على
أثرها ولم تستطع أن تجيب سواء بإشارة أو بكلمة؛ غادر هشام المنزل متجها
للمسجد المجاور .

بعد أن استعادت رشدها وتبهرت من مشاعر هشام الفياضة عرضت على
خالتها التي تعتبرها صديقتها ما يدور بخلدها .

. خالتي زينب .. هشام مش مهتم بيا وأنا باحبه .. أعمل إيه؟
ضحكت الخالة وأخبرتها بأنها أكبر منه نموا رغم أنه يكبرها بعدة شهور في
العمر حيث قالت لها:

- يعني لما تشوفى جسمك وتشوفى هشام أى واحد يفكر إنك الأكبر .. على
الأقل سنتين أو ثلاثه .. ليه؟ لأن البنات بيكبروا قبل الأولاد .. علشان كده
حتلاقي هشام لما يكمل سنه العشرين حجمه سيكون أضخم منك عن
دلوقتي .. هوه لسه صغير بالنسبة لكِ وعلشان كده لسه مقدرته على فهم الحب
قليله .. يعنى شعوره نحو البنات لسه موصلشى للدرجة المطلوبه زيك ..
وعلشان كده مطلوب منك أنك تصبرى شويه عليه .. سنتين ثلاثه .. بدهشة
ده معناه إننا مش حنقدر نجوز قريب! تجيبها:

. على الأقل خمس سنين كمان علشان يكبر وتتفتح مشاعره ويبقى شعوره زيك
ساعتها حتلاقي هشام شخص تانى وهو اللي حبيدأ بعرض حبه ومشاعره
عليك ومش العكس زى ما بتعملى دلوقتي .. ساعتها حيقدر يفهم أمور
الجواز .. لأنك ببساطة لو اجوزتبه دلوقتي حتجوزى طفل كبير .. عيل ..
فهمتى؟

انتهى الحديث بين الاثنتين وتركت الخالة حبيبته بثينة وحيدة حزينة وقد

تحطمت أحلامها وخمدت عواطفها التي كانت متفجرة ودهشت من حديث الخالة التي لم تحصل على أى قسط من التعليم.

تنبهت بثينة إلى أن موعد نهاية الصلاة قد اقترب فنهضت مسرعة واتجهت إلى الحمام ثم عادت بعد ذلك وارتدت ثيابها وأعدت زينتها البسيطة التي دربتها عليها شقيقتها سحر وجلست فى انتظار الحبيب القادم هشام .. الأفكار تتزاحم على عقلها وخيالها المتوتر ولا تستطيع تجميع الأفكار بعد حديث الخالة الذى أثر عليها سلباً والتي شعرت منه بأنه عين الحقيقة .. تنامى إلى سمعها راديو الجيران ينزع أغنية شادية:

مقدش أحب اتنين .. علشان مليش قلبين

وحبيبي جوه فى قلبى .. وده أجبله قلب مين

انتعشت ثانية وهامى مطربتها الرقيقة شادية تؤكد على حُسن اختيارها وتؤكد لها أنها تسير فى طريقها السليم حيث لا بديل لهشام وأن كل إنسان له قلب واحد وإذا أرادت أن تتبع مشورة الخالة وتبدل الحبيب بحبيب آخر ناضج القلب والعقل بناء على رأيها فمن أين تأتى بقلب جديد.

مازلت جالسة هائنة مستكينة ولكن دماء الشباب تدفقت من جديد بأمل وسعادة على صوت وكلمات الأغنية .. ها قد عرف من فى المنزل بقصة الحب بينها وبين هشام وافترض المستور .. إذا وما العيب فى ذلك؟ ..

ولماذا هذا التطور الفجائى عالى القيمة رفيع الذوق شديد التأثير؟ .. سكنت قليلاً .. آه إنه نابع منه .. فعلاً نابع منه .. لأنه استيقظ على ندائى ونظر إلى وقد أسعدنى هذا حيث تنبه إلى وجود أنثى بجواره .. ولكنى أمامه كل يوم .. ولكن هذا اليوم أصبح إنساناً آخر .. إنه تطور .. وخطير .. ومن أين يأتى هذا التطور والتصرف الجديد فى الأفعال والكلمات؟ .. أعتقد أنه

يأتى من القلب .. آه .. لكن القلب رغم أهميته فى الجسم لا يفكر ولا يعقل ولا يفعل إلا بشيء يدفعه .. لايد من شيء يفكر له وينبهه .. آه إنه العقل المتنبه لكل حواس الجسم والذي يدفعنا لأن نفعل هذا ونمتنع عن ذلك .. لقد وقع هشام تحت تأثير مهم وفعال جعل عقله يتصرف هكذا .. إنه تأثيرى، فلم تفلح معه كلماتى قبل ذلك ولكن ما فعلته أمس دفعه إلى خطوة أكبر ..

شعرت بثينة بسعادة غامرة وبأنها السبب والمؤثر القوى على تصرفات حبيبها هشام، هذا يدل على مدى أنوثتها التى تتباهى وتتفاخر بها وهذا حقها .. عادت بثينة إلى أحلامها وسعادتها وهى تدندن بالأغنية التى سمعتها منذ قليل:

مقدرش أحب اتنين .. علشان مليش قلبين

وحبيبي جوه فى قلبى .. وده أجبله قلب منين

آه يا هشام يا ابن الخال، قبلة بسيطة نقلها على الشفاه مثل وزن الفراشة على الزهرة وتعمل كل هذا .. آه إنه الحب .. أمسكت بظهر يدها وقبلتها ثانية وضممتها إلى صدرها بسعادة وراحت فى أحلامها وآمالها، شعرت أن شخصاً ما يقبل يديها واعتقدت أنها مازالت فى حلمها السعيد لهذا الصباح البهيج وشعرت أن يداً تلمس على شعرها الجميل .. تنبهت فإذا هشام قد عاد فأراد أن يوقظها من أحلامها بحلم آخر وسعدت الفتاة بهذه الباقة من المشاعر الفياضة الرقيقة فأظهرت له كل أنوثتها الطبيعية: آه يا هشام .. لقد عدت .. هز رأسه دليلاً على كلامها .. ثم أمسك بيدها وساعدها على النهوض من جلستها فوق السرير واقترب الوجهان من بعض .. العين فى العين والنظرات اللامعة ووميض إحساس الشباب متبادل بينهما ووصلت أنفاسهما كل للأخر .. قطعت تلك النظرات والانفعالات قائلة:

. على فين رايعين؟ .. لم يجيبها وأمسك يدها مثلما كانا صغيرين وهما خارجان للعب وقطعا الصلاة على عمته وجدته قائلاً:

. احنا خارجين للكورنيش .. أجابته العمه سندس:

- إيه يا ولاد .. مش بتتعبوا من الحر ده .. خليكو للعصر أحسن .. الجو بيكون حلو وطراوه ولكن الجدة قالت:

- خليهم يروحوا يلعبوا بس خلوا بالكم من الشمس .. حافظ عليها يا هشام حافظ على حبيبة قلبى بثينة.

أقبل عليها الحفيدان وهى جالسة وقبلاها ثم ودعا العمتين وخرجا إلى الشارع بسعادة وفرح تحيط بهما أتواب من الحرير الأبيض تحركها نسيمات الهواء القادم من جهة النيل حيث الكورنيش.

سارا متماسكى الأيدى بيتسمان ولا يتحدثان ينظران كلٌ إلى الآخر ولا تصدر عنهما أى كلمات وعند تلاقى نظرات عيونهما ينعكس الضوء عليهما فيتوهج بريقها والسعادة تكاد تقفز من خلالها .. هكذا سارا حتى الكورنيش غير عابئين بالناس فى الطريق أو الترام الذى يسير أو حتى عربات الكارو القادمة من سوق روض الفرج .. الشارع لهما وحدهما والهواء لهما وهذا النيل مخصص لهما .. كل شىء خلقه الله فى هذه المنطقة لهما وحدهما ولذا فهما يسيران فى أملاكهما وكل هؤلاء متطلقون عليهما ولكنهما سعداء بوجودهما حيث الأحبة يرغبون فى أن يشهد الجميع على حبهما.

وصل الحبيين إلى كازينو الشجرة حيث المرتادون له فى ذلك اليوم كثر؛ أحد العاملين من الشباب شاهد الحبيين يبحثان عن مكان يسعدان فيه معا فعرض عليهما مكانا فى ركن الكازينو مطلقاً على الكورنيش.

طلبا مشروباً من عامل الكازينو .. كل ينظر إلى الآخر يريد منه أن

يتحدث فهذا يوم جديد فى حياتهما فهما يعرفان بعضهما البعض منذ ثمانية أعوام وهما أقارب وأصدقاء ولم تخرج علاقتهما عن هذا ولكن بالأمس وصباح اليوم كلُّ أرسل للأخر برسالة .. الآن كل شخص يشعر أن الآخر يحبه ويتمناه .. هى تريد منه الإفصاح والتعبير والبده حيث إنه الرجل وهى الأنثى الخجول وهو لا يعرف كيف يبدأ فما زال لم يتعلم فن الغزل .. وكيف وأين سيتعلمه؟ .. فإما من التجربة وهذه هى الأولى فى حياته أو من صديق يخبره وجميع أصدقائه لم يحصلوا على تلك التجربة الفريدة فى حياة أى شاب .. صمنا .. تحدث إليها معرباً عن إعجابه بما ترتديه من ملابس جميلة متناسقة.

حضر بائع الترمس يدفع بعريته أمامه وسار بجوارهما من خارج السياج الشجرى للكازينو راغباً فى تقديم السعادة للأخرين وهم كمشتريين يقدمون له الرزق لكى ينفق على أسرته .. المعادلة متساوية والتي لها فائدة للطرفين .. أسعد حضوره الشابين خاصة ما قام به من رش مياه للمنطقة التى يقف فيها ثم جلوسه للاستراحة وقد أدار الراديو كبير الحجم الذى وضعه على عربة الترمس وما يحيط بها من قلل بها مياه مثلجة من نسيم النيل وجوارها حبات الترمس الأصفر التى تشبه قطع مستديرة من الذهب البراق.

تكافتت الصورة مع ما يحدثه بائع الترمس من حركاته، شعر الحبيبان أن هذا الرجل جاء ببضاعته لكى يسعدهما بما يقوم به؛ أدار الرجل الراديو ذا الحجم الكبير وجلس ينتظر رزقه الذى قسمه الله له لهذا اليوم وانسابت الأغانى من الإذاعة جميلة لهذا الوقت وهذا الزمان حيث لا أخبار مؤلمة ولا نشرات أخبار مزعجة ودماء وحروب إنما ارق الكلمات وأعذب الألحان تنتظير مع النسيم لتتمتع سيمفونية رائعة وصوت مطرب هذا الجيل الذى تربي على صوته الملايين من الشباب من الجنسين؛ عبدالحليم حافظ حيث وصلت إلى آذانها

أغنيته الشهيرة "على قد الشوق اللي فى عيونى يا جميل سلم" وكل مقطع ينتهى بالكلمة (سلم) يقولها الحبيبان (سلم) وهما يتضحان وهشام يدق بيديه على الترابيزة التى أمامهما.

حضر الجرسون الشاب حاملا المشروبات التى طلبها الحبيبان والذى كان باديا عليه أنه من أبناء النوبة الحبيبة وهم قوم غاية فى الرقة والأمانة وحب الآخرين؛ قدم المشروب لهما عارضا عليهما تقديم أية خدمة أخرى فقديما شكرهما له والسعادة الغامرة حولهما؛ انتهت أغنية على قد الشوق لتليها أغنية المطرب الشعبى ذائع الصيت محمد عبد المطلب وبصوته القوى العريض يشدو بأغنيته ودع هواك حيث يقول:

ودع هواك وانسأه وانسانى عمر اللى فات ما حيرجع تانى
كان حلم وراح انسأه وارتاح
ودع هواك ..

علمت قلبى إزاي يتألم خليت دموع العين تتكلم .."
تتبعها وافترقت أيديهما الرقيقة وأناملهما الرطبة التى كانت متماسكة منذ جلوسهما ورغم حلاوة الأغنية لكنهما خشيا من كلمة وداع الهوى للحبيبين ورغم هذا ظلت بثينة تتغنى مع المطرب وهشام ينظر إليها بإعجاب والأغنية التالية كانت للمطرب الرائع ذى الصوت الحنون كارم محمود وهو يغنى أغنيته

"يا حلو ناديلى وشوف مناديلى
عندى حريز هندى والتوب على ادى ..
لونه جميل وردى زاهى بلون خدى ..
والشال ده أنا مخليه .. ليلة الفرغ أهديه ..
وأشعل أناديلى يا حلو ناديلى" ..

صفتت بيدها فرحة حيث أقبل الجرسون معتقداً أنها تريد شرايا آخر
ولكنه عاد أدراجه عندما شاهد الحبيبين مشغولين عن العالم فأدرك أنهما ليسا
في حاجة إليه؛ سألتها هشام:

- إيه رأيك ناخذ فلوكه فى النيل؟ الجو تحسن وزى ما انتى شايغه فيه ناس
اخدوا فلإيك وبيلقوا بيها .. إيه .. موافقه؟ نظرت إليه بكل حب وسعادة.

. أي حازه عملها أو تقول عليها أنا موافقه؛ نهضا معاً حيث قابلهما الجرسون
ودفعا المطلوب منهما وغادرا الكازينو إلى مرمى الفلايك المجاور مباشرة
وهناك اختارا أجملها وأبحر بهما ريس الفلوكة وهو رجل من أهل الجنوب أيضاً
وكان يمتاز بمهارته مع دماثة الخلق فى التعامل وعرفهما بنفسه ..

. الريس حسونة .. المراكبى، كل مره تحبوا تنزلوا النيل اسألوا عنى .. مين؟ ..
الريس حسونه .. ضحكت وقالت له:

. حاضر ياعم حسونه، إن شاء الله حتلاقينا زباين عندك كتير ..

حسونة هو الآخر دفعه القدر للتعامل مع هذين الشابين الغضين عمراً
وخبرة .. فكان يجيد عمله حيث يتجنب الخطوط الملاحية للنشات وصنادل
النيل التى كانت تتقل البضائع؛ كان عليما بأحسن زوايا يبحر بفلوكته إليها
حيث يتمتع مراقبوه بتلك المناظر خاصة منطقة الزمالك التى على الجانب
الآخر من النهر كما كان يقترب من كوبرى أبى العلا وهو تحفة إنشائية بكل
المعانى؛ أسعد هذا الحبيبين؛ أدار جهاز الراديو الموجود معه لتتساب أغنية
جميلة تتناسب مع ما هما فيه، إنها قصيدة الجندول للشاعر على محمود طه :

أين من عيني هاتيك المجال

يا عروس البحر يا حلم الخيال

أين عشاقك سمار الليالى

أين من واديك يامهد الجمال
موكب الغيد وعيد الكرنفال
وسرى الجندول فى عرض القتال"

ورغم أن الأغنية تتحدث عن البندقية والجندول يمخر عباب البحر بها إلا أنها كانت مناسبة لما عليه الحبيبان، الماء والجندول يسير بهما وعيد واحتفال فى منظر كرنفال والعشاق وسمار الليالى .. ما أجملها صورة ألهمت قلوب الأعبة أكثر مما هو ملتهب.

أثناء أنشودة القصيدة ترنحت مشاعر هشام ففرد جسده على الفلوكه واضعا رأسه على ساق الحبيبة فشعرت بمزيد من الحب والشوق لهذا فأسعدتها هذا كثيراً بينما كان هشام يستمع للقصيدة ناظراً إلى السماء الصافية هبت عليهما نسائم النيل تلاطف أبدانها الرقيقة وصوت ارتطام الماء بالقارب نقلهم إلى عالم آخر .. نظر هشام بعينه لأعلى ليشاهد حبيبته بينما هى تداعب بأناملها الرقيقة خصلات شعر رأسه ناظرة لأسفل وحديث العيون ومابه من شجون لا يعرفها ولا يفهمها إلا هما .. شعر حسونة أن هذين العاشقين طاهرا الحب عفيفا القول والتصرف بعكس بعض زبائنه الذين يتصرفون ويتحدثون بما يضايقه كرجل صعيدى تبرى على القيم والمبادئ فدفعه هذا لأن يسعدهما أكثر ويمتعهما بصفاء هذا اللقاء مما دفعه للابتعاد بهما عن الغلايك الأخرى ليتيح لقلوبهما أن تتناجى؛ تتنحج المراكبى؟

. نكمل يا بيه وإلا نرجع الشط؟ تنبه هشام ونظر إلى حبيبته التى أومات برأسها دليلاً على النهاية.

غادر الحبيبان الفلوكه عائدين إلى الشاطئ وسارا قليلاً وهما لا

يستطيعان السير؛ شعر هشام أنه مُخدر وأن نصف جسده الأسفل لا يشعر به وأنه ثقيل وليس لديه مرونته السابقة، أخبر بثينة بذلك وإفادته هي الأخرى بأنها تشعر مثله بكل تلك المشاعر التي تدل على الإرهاق والألم .. وقفا قليلاً يفكران .. ماذا يفعلان؟ اقترح عليها هشام أن يستقلا تاكسي ويذهبا به إلى حديقة الأندلس المواجهة لكوبرى قصر النيل من جهة الجزيرة، بالحديقة الجميلة جلسا يتناجيان وانفرط عقد الوقت منهما.

نظرت فى ساعة يدها فانتهت قائلة له.

- هشام أتأخرنا ويقينا نص الليل، ضيعنا أكثر من عشر ساعات بره البيت عابزين نرجع بسرعة وأنت عارف خالتي فافكره أننا لسه عيال، تشجع قائلاً:

. إزاي .. متخفيش .. معاكى راجل! ضحكت قائلة:

. راجل إيه!! دا خالتي زينب بتقول إنك لسه عيل، احتج

- آه بالنسبة لعمتى زينب عيل ولكن معاكى راجل .. ضحكت مرة ثانية ولم تخبره أن خالتها قالت ذلك بالمقارنة بها أى ببثينة .. سار العاشقان من أمام برج القاهرة إلى كوبرى قصر النيل ثم إلى كوبرى أبى العلا بمحاذاة الكورنيش ثم بعد ذلك إلى منزل الجدة .. حيث استقبلتهما العمتان أو الخالتان بدهشة لقضائهما أكثر من عشر ساعات فى الخارج وزادت دهشتهما حينما علمتا أنهما حتى الآن لم يتناولوا أى طعام.

شعرت زينب بحكم مسئوليتها وحبها للشابين أن هناك خطراً كامناً فى تلك العلاقة خاصة أنها شعرت أن ابنة شقيقتها تتمتع بإدراك أكبر من هشام وأنها حُرمت من حب الأمرة وتريد تعويضه بهذا الحب الجديد وهذا الشاب الخصوصى والملكى الذى يتبعها منذ زمن وهى أشد منه فهماً ووعياً فأرادت

أن تستيق الأحداث ولا تجعل الأحداث تسبقها ويحدث ما لا تحمد عقباه.

صباح اليوم التالي بعد أن تناول الشبان إفطارهما وهما يتهاامسان استعدادا للخروج كعادتهما أشارت لهما زينب بأنها رغبة فى التحدث إليهما وسبقتهما إلى غرفة استقبال الضيوف حيث سارا خلفها طوعاً وهما لا يضمران فى نفسهما خوفاً ولا هماً من هذا اللقاء فهما يعلمان مدى حبها لهما .. أغلقت زينب باب الحجرة ونظرت إليهما وقد خالجهما شعور بالخوف بأن تتطور علاقتهما السامية إلى علاقة مرفوضة يغلب عليها الشهوة والانففاع وتساءلت:

.. إيه حكايتكم أنتم الاتنين؟ صمتما وكأنهما لا يعرفان معنى لسؤالها ..

أعادت السؤال بصيغة أخرى .. انا شايفه وملاحظه أنكم لازقين مع بعض ليل نهار .. إيه بينكم؟ .. ده حب! عايزه أعرف إجابة على سؤالى ومش عايزه سكوت؟ تبادل الشبان النظرات المستفسرة مرة ثانية وصمتم هشام ابن الأقاليم بينما أجابت ابنة القاهرة خالتها.

- خالتى .. امبارح عرفتِ أنى وهشام بنحب بعض .. فيه إيه تانى عايزه تعرفيه؟

. عايزه أعرف مدى الحب ده .. نهايته .. بضيق وبتقة قالت:

. نهايته عند رينا.

توترت الخالة من حديث بثينة حيث صاحت بها مطالبة إياها بحسن الحديث معها ولكن بثينة ضايقها هذا فأجابت بانفعال:

. انتِ ملكيش دعوه بيا .. انا باقولك اهه .. إيه هيا الحكاياه؟! انا علشان قاعده هنا حتعملى فىا اللى أنت عايزاه (بكت وهى تتحدث) .. مش كفايه ماما وعمايها تقومى انتى كمان جايه عليا .. سيبينى .. حرام عليكى .. غادرت الحجرة باكية .. هنا التقفت زينب إلى هشام وكانت فى أشد حالات الضيق فقد

شعرت أن ابنة شقيقتها قد أهانتها ولم تعمل لها أى حساب .. تتساءل وهي تشير جهته بضيق.

. وأنت إيه رأيك؟

- عمى .. انتى عرفتى وسمعتى من بئينه كل حاجة .. إحنا فعلا بنحب بعض .. وإن شاء الله لما أخرج حنجوز .

- كويس خالص .. طيب بلاش حب لحد ما تتجوزوا .. فاهم .. وأنا خايفه عليك من بئينة .. لأنك بصراحه مدهول ومش ملطح زيه وخايفة أنها تغويك وتخسر الجامعه ومستقبلك .. عادت العمه إلى هدونها: اوعدى أنك تعرفنى بكل جديد وأن تحافظ عليها كأنها هاجر أختك .. أجابها بكل ثقة .. أوعدك يا عمى ولا تخشى أى شىء؛ إحنا أحفاد تيته فردوس، أسعدتها تلك الكلمة بأن ذكر هذا الاسم المقدس وهذا دليل أنه متذكر العائلة وقيمها.

غادر هشام حجرة التحقيقات التى أقامتها العمه زينب له ولبئينة التى لحقت به ومازالت دامعة العينين فشاهدتهما العمه سندس التى كانت مشغولة فى شؤون المنزل والتى كانت تتمتع بقلب طيب يشعر بالحب لكل الناس مثل والدها الشيخ حمن فلحقت بهما واحتضنت بئينة تقبلها وتسالها.

. مالك يا حبيبة قلبى؟ مين مزعلك؟ أجابتها بأن خالتها زينب أهانتها ومازالت بئينة تبكى ووصل بكاؤها إلى جدتها التى تكره أى إنسان يغضبها فتحاملت على نفسها وسارت حتى بلغت الصالة حيث هذا الاجتماع الرباعى وسمعت ما دار من حديث بين ابنتيها كما شاهدت موقف ابنتها الكبرى تحتضن أعز أحفادها كما كانت تقول دائماً أمام الجميع.

أمسكت بيد هشام وبئينة وتوجهت بهما إلى حجرتها طالبة من زينب عدم رؤية وجهها هذا اليوم وأنها غاضبة عليها كما طلبت من سندس إحضار

مشروب لأحبائها بثينة وهشام؛ جلست الجدة فى سريرها والحبيبان جلسا بجانبها فقبلت بثينة:

- بلاش بكا .. انا بأكره الزعل والحزن .. وده مش من عمایل الحبايب ..
الهزيمة من أول مشكله.

نظرت الفتاة إلى جدتها وتوقفت دموعها وعيونها الجميلة أحمر لونها من آثار الدموع ثم سألت جدتها.

- صحيح يا نيتيه .. مش من المفروض الهزيمة من أول معركة؟ .. أكدت الجدة كلامها قائلة:

- إلا إذا كانوا مش بيحبوا بعض .. يعنى بيضيعوا وقتهم .. يبقى من أول ضربه كل واحد حيروح فى ناحية .. كمان سيك من كلام زينب، ماهى كمان صغيره ومش بتعرف حاجه بس هيه عايزه تعمل عمه وخاله عليكم وكمان هى لولة إخوتها علشان هيا أصغرهم .. لكن فيه حاجه مهمه تاخذوا بالكم منها .. أن الحب مش بتاع اليومين دول .. دا الحب من أول ما بدأت الدنيا .. ايوه من يوم ما خلق سيدنا آدم .. (ضحك الحبيبان لكلام الجده) ..
هشام معلقاً:

. إزاي الكلام ده ياتيته .. يعنى كان فيه حب على أيامكم؟ ضحكت الجدة من كلامه قائلة.

. طيب أنتم مش متعلمين وقريتم فى الكتب أن ملكة مصر حبت واحد خواجه اسمه انطونيو؟ وده من إيطاليا وأحفاده هما اللى بيعملوا المكرونة ماركة انطونيو (ضحك الصغيران) حضرت العمه سندس حاملة المشروبات لأمها والصغيران لكن بثينة التى أسعدها كلام الجدة قالت:

. ياه ياتيته .. انتى مشاطره خالص وفاكره حاجات حلوه زيك

ضحكت الجدة:

- آه سمعت وشوفت .. لكن نروح بعيد ليه .. طيب ما انا أجوزت جدكم
المرحوم الشيخ حسن عن حب، هشام وبثينة:
. حب يا تيتته!!

- ايوه حب .. فيها ايه ان الواحدة منا لما تحب الرجل اللي تجوزه بدل ما
تتجوز واحد مش قادره تهضمه .. شوفوا بقى .. كان جدكم يجى اسكندريه
يزور خاله احمد افندى كمال وده أبويا كان موظف كبير فى المستشفى
الأميرى (الشابان ينظران لبعضهما البعض نفس درجة القراية ابن العمه يعشق
ابنة الخال) .. كنت أشوف جدكم وهو لابس الجبة والقفطان مثل الشيخ سيد
درويش اللى كان مشهور أيامها زى المطرب بتاعكم اليومين دول اللى اسمه
(سى عبدالسميع حافظ) .. يسرع الاثنان بالتصحيح ..
. اسمه عبد الحلیم حافظ .. تجيب ضاحكة

- "أنا عرفالكم" .. المهم انا ملقيتش حاجه تخلىنى أميل له ولما طلبنى من
والدى رحمة الله عليه جدكم احمد افندى كمال .. فينك يا بويا يا حنين وفين
اياك لما كان رطل اللحمه بتلاته صاغ .. ضحك الشابان للحديث وللتاريخ
ونشرة الأسعار .. فتبتهت إلى أنها سرحت شويه .. آه فتكم .. بعدين جدكم
جه ومألنى "دوسه" حبيبتى توافقى تجوزى الشيخ حسن أبو صديق ابن أختى
تقيده .. الله يرحمك يا عمى تقيده .. ياه كانت ست شاطره وتعمل

. هشام وبثينة : "بیته" تتبته ...

. آه خرمت شويه .. معلش .. ولكن أمى الله يرحمها عارفين كانت عامله زى
مين؟

. هشام وبثينه : .. ويعدين يأتيته..

. معلش .. يقطعنى ما انتم عارفين انى يتيهه ومليش أب ولا أم .. يضحكان.

يتساءل هشام:

. ويعدين خليكى فى المهم يا تيته .. المهم اجوزتم والا لأ؟ الجدة ضاحكة ...
- إيه ياواد يا هشام .. فعلا أنت عبيط على رأى عمك زينب .. أقولك جدك
الشيخ حسن تقوم تقول أجوزتم وإلا لأ ؟ "نظرت جهة بثينة .. يا عينى عليكى
يا حبيبتى هو ده اللى بحبيه .. "انا وقفت فين؟ بثينة:
. إن مامتك رفضت ..

. لا لا مش مامتى .. كان اسمها نينه.. هشام:

. ابوه ياتيته .. نينه رفضت ويعدين ..

- نينة قالت إيه ياسى احمد افندى .. دوسة بنتنا الوحيدة تقوم تجوزها وتبعتها
الفلاحين بعيد عنا .. ده مش كلام ويعدين الأرياف فيها أمراض كثير والأهم
البراغيت .. والللى بخلى الليل جهنم وعذاب .. سكنت قليلاً ..

الله يرحمك يانينه .. كلامها كان مضبوط .. فضلت اكثر من أربعين سنة أنام
مع البراغيت والبراغيت تمام معايا ومش عارفين نتصرف إحنا الاتنين .. لاهما
زهقوا من قرصى ولا أنا هربت منهم .. لحد ما الله يكرمهم أعمامكم أحمد
ورجب اقنعونى وخلونى آجى مصر ومعايا البنيتين ونعيش هنا ..(ثم خفضت
صوتها) ..الحقيقه يا أولاد اللى خلانى آجى مصر مش أعمامكم .. لأ..
تفكروا إيه؟...

. هشام وبثينة : (معا) .. البراغيت .. ضحك الشابان من كلام الجدة وحوارها
الممتع.

. يعنى كان فيه حب أيام زمان ولحد دلوقتى ولكن يا ولاد خدوا بالكم .. زينب
خايفه عليكم لأن الدنيا تغيرت والنفوس بقت وحشه وهيا فاكهه إنكم بتقلدوا حد
من اللى بنسمع عنهم .. علشان كده مترعلوش من زينب .. طيب فاكرين وأنتم
صغيرين من كام سنه .. مين كان بيحملكم؟ زينب ، طيب ومين كان بيخرج

معاكم وانتم بتلعبوا علشان يحافظ عليكم؟ زينب..... وفاكرين كنتم بتتخانقوا علشان تتاموا معاها فى سريرها وعلشان متزعلوش انتم الاثنين كنتم بتتاموا معاها .. مش ده معناه الحب؟ طيب لما تحب تتصح حبايبها تقوموا تزعلوا ..

دمعت عينا كل من هشام وبثينة وشعرا أنهما اخطئا فى حق زينب وعلقت الجدة:

. ما كنا كويسين .. ليه بتعملوا كده .. فيجيب الشبان:

. لأننا زعلناها .. الجدة:

. ولا يهكم ، حانده عليها تصالحكم .. زينب .. زينب ..

. نعم يا نينه ..

. تعالى .. حضرت زينب وشاهدت الصغيرين والجدة فى وسطهما فأسعدتها هذا وظهر الشعور على وجنتيها وقبل أن تكمل الجدة حديثها لابنتها وقف الحبيبان وقبلاها وهى تبادلهما القبلات ودفعها إلى سرير الجدة وهما مازالا يقبلانها وهى تصرخ بفرح.

- خلاص يا حبايى .. خلاص انا مش زعلانه .. انا بأحبكم .. انتم اعز الناس بعد نينه .. تصوروا أحسن من أختى عيشه ومن أخويا راضى، غادرت الحجرة معهما للصالة تاركين الجدة تنتظر إليهما التى قالت:

. كلكم عيال .. تزعلوا وتتصالحوا فى وقت واحد.

عصراً خرج الحبيبان وهما لا يشعران بوجود العامة من الناس فكل منطقة يسيران بها هى ملك خاص فترة وجودهما وكان الناس كانوا على علم بهذا فلم يتعرض لهما أحد ولم يشعر بأى شىء يضايقهما .. توجهوا إلى منطقة الحسين وهناك جلسا على قهوة الفيشاوى وهذا ليس حبا فى الجلوس على القهـاوى

ولكنها القهوة الوحيدة المسموح بجلوس النساء عليها خاصة الأجانب وهذا شىء كان متبعاً فى ذلك الوقت أن الجلوس على المقاهى للرجال دون النساء .. جلسا فى هذا المكان الذى يحمل رائحة وعبق الزمان سواء من المباني المتهاككة من كثرة مرور الأيام والأعوام عليها أو من ذكريات السابقين الذين عاشوا وأضافوا إلى تلك المنطقة والتي بها الأزهر الشريف منارة العالم الإسلامى على طول الزمان أو منطقة الموسيقى بتجارته الكبيرة أو حى الغورية.

مضى أكثر من ساعتين قضوها فى منطقة الحسين ثم استقلا أتوبيسا إلى ميدان التحرير وهناك سارا إلى الكورنيش الذى هو بمثابة شاهد على لعبهما عندما كانا صغيرين والشاهد أيضاً على حبهما عندما صارا كبيرين حيث كان يمدهما النيل العظيم بطاقة الحب والصفاء النفسى وهما ينظران إليه فتخرج كلمات الإعجاب والحب العفيف طاهرة نقية مثله .. وقفنا بعض من الوقت على الكورنيش أثناء سيرهما .. ثم قالت له:

. امتى نرتبط ببعض علشان محدش يضايقنا .. ابتم هشام:

. قصدك الجواز ؟ .. لسه لما أجمد وأستوى شوية!

أعادت نظرتها الساحرة إليه وهى فى دهشة متسائلة:

- أنت لحد دلوقتى مجمدش ولا استوتشى؟ يعنى متقدرش تجوز زى باقى الرجاله ؟ يجيبها.

- قصدى من كده أنى عايز أعتمد على نفسى، والاعتماد على النفس يعنى الشهادة، والشهادة يعنى التخرج من الجامعة علشان الأقى فرصة عمل واحصل على دخل تقدر تعيش منه انا وأنت وأولادنا من بعدنا، نظرت إليه:

. ياه .. أولادنا من بعدنا!!! انت بتضحك على، يعنى عايزينى أفضل أربع سنين

استناك لحد ما تخلص الجامعة، صفق بيده.

. تصحيح .. خمس سنين .. الفنون الجميلة خمس سنين ..

. خمس سنين؟ ياه مدة طويلة .. يعنى أنت عايز منى استناك خمس سنين؟

وصلا إلى الشارع الذى تقطن به العائلة وشاهدا جلبة وضوضاء
وأصوات معارك وصريخ وعويل وشاهدا المعلم حبشى والشرطة تقفاده ويداه
مغلولتان فى الكلابشات، وقفا حزنا على هذا المنظر حيث كان لايهم فى
نظرهما أن كان مخطئاً أو مصيباً ولكنه حبشى الذى يمثل لهما قيمة مشتركة
فى علاقتهما وما هى مواقفه الكثيرة معهما والتي هى دفاع عنهما وتأييداً
لمشاعرهما دون تدخل أو تطفل كما أنه كان محبا للجميع ونادراً ما يؤذى أحداً
سوى نفسه وعائلته لكنه كان دائماً يمد يده بالمساعدة للمحتاج.

أثناء الليل وبثينة راقدة فى سريرها وعيناها مفتوحتان ومازلت تفكر فيما
قاله لها هشام من أنه لا يستطيع أن يبدأ أى خطوة الآن للتقدم إليها حيث إنه
"لسه مجمنش" وقد أضحكها هذا مما أيقظ خالتها زينب قائلة:

. نامى ربنا يهديكى .. حتى بالليل بتكلمى نفسك .. عادت بثينة إلى تفكيرها ..
خمس سنين يا هشام فى الجامعة .. ياه مدة طويلة، وبعدين اعمل إيه؟ انا
عارفه أن ماما مش حتميينى لوحدى، حتفضل ورايا لحد ما تجيب عريس
يمشى على هواها وهوى فاروق، دى تبقى مصيبة، لا يمكن .. مش
حيحصل .. انفعلت مما أدى إلى أن ترفع صوتها فأيقظت خالتها للمرة الثانية
التي نظرت إليها قائلة:

. لسه بدرى على أنك تكلمى نفسك .. مش كفايه لف وكلام مع هشام

فى الحجرة الأخرى هشام يفكر فى بثينة وهو سعيد أنها تحبه وترغبه
وهو يقاوم ويقول فى نفسه .. يخرب عقلك يا بثينة البت كل يوم بتزيد حلوة

والله لولا الجامعة كنت كلمت أبويا وخطبتها، لكن دلوقتى مش معقول .. مش معقول ليه .. لأ معقول .. وارتفع صوته فأيقظ عمه رجب حيث دفعه قليلاً معتقداً أن كابوسا أتاه فى المنام.

هكذا كان الاثنان مشغولين ببعضهما سواء فى اليقظة أو أثناء النوم وازدادت أوامر الحب بينهما، فقد أصبحت بثينة أنثى كاملة وهشام على أبواب الجامعة والجميع يلقبونه بباش مهندس .. وهذا دفعه إلى تقمص الرجولة والالتزان .

عودةُ بثينة إلى العتبة

أصبحت بثينة أكثر اقتناعاً بحبها لهشام من ذي قبل وازدادت نظرات الحب والعشق له كما ازدادت أحاديث الهمس بينهما وزالت عنها الرغبة في الجنس الآخر والتي كانت تلازمها في الفترات السابقة حيث أشبعها حُبُه العذرى البريء والتي كانت فترات النضج تدفعها غصبا وبلا إرادة إلى ذلك وهي تقاوم تلك الرغبة المدفوعة وفي بعض الأحيان تنجح في هذا وأحيانا أخرى تغفل وبمجرد أن أظهر حبه لها حتى هدأت واستكانت للعاطفة النبيلة وأصبحت هي العمة البارزة لعلاقتهم وفي بعض الأحيان تهاجمها وساوس الشيطان لكن هشام كان صمام الأمان وهذا في حد ذاته كان عاملاً حاسماً لاستمرار العلاقة بهذا النقاء خاصة أنهما مازالا صغيرين بالإضافة إلى انشغاله بالدراسة التي كانت الهدف الأسمى في حياته والتي ساعدته على هذا رغم تعلقه ببثينة ولكن هذا التعلق لم يطغ على هدفه الأول والأسمى.

أسعد هذا زينب؛ فقد لاحظت أن الحبيبين التزما بما طلبته منهما، بل زادت فترات جلوسهما معاً أو مع باقي أفراد العائلة يتحدثان أو يلعبان الطاولة أو يستمعان إلى الإذاعة.

بعد عدة أيام حضرت سحر إلى منزل الجدة تطلب عودة شقيقتها معها إلى منزل العائلة بالعتبة؛ احتجت بثينة على ذلك؛ لكن جدتها طلبت منها مرافقة شقيقتها إلى منزلها لعدة أيام ثم تعود ثانية حيث قالت لها:

ارجعى مع سحر أختك، أصل "سى عبدالحميد افندى بعافيه" ونفسه يشوفك.

توترت بثينة وتذكرت أن لها أبا يحبها مثل ما تحبه وهو طيب القلب ويعطف عليها بالكلمة التي لا يملك إلا سواها وكثيراً ما غلبته دموعه عندما

يلاحظ ما تتعرض له من أذى على يد أمها أو شقيقها، مازالت صامتة جالسة بهدونها بينما سحر تتجاذب أطراف الحديث مع خالتيها فى الحجرة المجاورة غادرت الحجرة واتجهت إلى حجرة الصالون وجلست تتذكر أباهما وكيف أن أمها كانت كثيرة العيباب له دون داع وتشبه بأشياء لا يجب أن يوصف بها فكرت لماذا فعل أبى ذلك بنفسه؟ تذكرت حديث هشام لها بأنه لا بد أن يعتمد على نفسه وأن يكون له عمل يستطيع أن ينفق عليها وعلى الأبناء الذين سيرزقون بهما مستقبلاً، إذاً فهو مُحق ولكن أبى لم يكن يملك المال حيث إن محل البن الذى كان يمتلكه لا يدر إلا النذر القليل ولهذا فإن أمها تهاجم أباهما لقد فقد عنصراً مهماً من عناصر قوامه الرجل على المرأة وهو الإنفاق، كما أنه رجل طاعن فى السن لا يمتلك القوة لضرب شقيقها فاروق الذى دائماً مايؤذيها آه يا أبى؛ لقد أصبحت مثل الطائر مهيبض الجناح والذى يخشى الطيور والحيوانات الأخرى أن تهاجمه أو تودى بحياته ولقد حرّمها هذا الضعف الأبوى من حنانه وهربت إلى منزل جدتها خوفاً من سطوة أمها وبطش فاروق .. آه .. إنى أبغض هذا المنزل ولولا وجود أبى به ما توجهت له اليوم .. سأعود إلى فظاظه أمى وإلى عبوس وجه أخى الذى ازداد عبوساً بعد فشله فى دراسته بعد أن شعر بضآلة عمله الذى يعمل به فى إحدى ورش الخراطة بالعباسية وازداد خلقه سوءاً بما تعلمه من زملاء العمل من ألفاظ نابية وبذيئة ولا يجد أى غضاضة فى أن يتقوه بها فى المنزل أمام الجميع خاصة شقيقتى اللانى يتمتّع بشعور مرهف وذوق عال فى حياتهن، خرجت من أفكارها السوداء الحزينة على صوت هشام.

بنينة .. لماذا تجلسين منفردة ساكنة؟ استجذبت به طالبة منه النصيح والإرشاد، أشار إليها بالموافقة على ما قالته الجدة ثم قال مشجعاً: سوف أذهب

معكما للاطمئنان على عمى عبدالحميد ورينا يشفيه، بهاتين الكلمتين تشجعت
بثينة للعودة للمنزل الكريه بأمل أن تعود ثانية بعد أن يشفى والدها.

غادر هشام وبثينة منزل الجدة بصحبة سحر إلى العتبة، لاحظت سحر
اهتمام شقيقتهما بهشام وشاهدت النظرات المتبادلة بينهما وخاصة من هشام إلى
شقيقتهما وتأكدت ظنونها بأنه توجد علاقة ما بين الاثنين، وصل ثلاثتهم إلى
منزل العتبة وكان استقبال الأم لابنتها فاتراً والتي لم تشاهدها منذ أكثر من
شهرين كما أنبتها على غيابها طوال تلك الفترة فى منزل جدتها قائلة:

- يعنى شاطره تروحى تخدمى الغرب وتعميبى أمك محتاسه ومحدث يشوف
طلبات فاروق، أزعجها هذا لأنها أشركت فاروق فى الاحتياج ونست أو تناست
الأب ولم تذكر أنه المريض كبير السن، هو الأهم فى احتياج الرعاية .. عقب
فاروق قائلاً:

- بنتك مبسوطه هناك علشان ماشيه على حل شعرها والصرمحة فى الشوارع
والحوارى مع اللي يسوى واللى ما يسواش .. "خلال ذلك كان يوجه نظره تجاه
هشام" ثم وجه له الكلام مباشرة متسائلاً:

(مش كده يا دون جوان عصرك؟) تكهرب اللقاء وظهرت علامات التوتر على
وجه هشام وسرعان ما تدخلت سحر موبخة شقيقها على هذا الحديث فى ذلك
الوقت الذى يرقد فيه أبونا بين الحياة والموت، تنبعت بثينة إلى ذلك فأسرعت
إلى حجرة أبيها متلهفة عليه وسبقتها دموعها وتبعها هشام وسحر ووجه هشام
كلمة سريعة إلى ابن عمته:

- (الأيام بيننا يا فاروق سيبكه) فتوتر فاروق لسماعه تلك الكلمة حيث يخبره
بأنه عامل فى ورشة خراطة.

دخلت بثينة على والدها الذى كان راقداً فى سرير صغير لا يسع إلا

شخصاً واحداً وقد ظهر مدى الإهمال الذى يلاقيه الرجل فى منزله حيث كانت ملاءة السرير قذرة وغطاء المخذة هو الآخر لا يقل قذارة وممزق من فرط القدم والأوساخ منتشرة فى كل مكان بينما الأب مستلقياً على ظهره والنحافة والشحوب بادية عليه ولا يظهر منه غير وجه وعظامه أسفل الجلد والشارب الأبيض الذى يميزه، ألفت بنفسها عليه جاهشة بالبكاء، أخذ يربت على ظهرها ويقبل شعر رأسها الذى استطاع أن يلمسه ويطمئنهما على نفسه قائلاً:

- متعيطيش .. انا لو قابلت ربنا دلوقتى حاكون مبسوط أنى شفتك .. والنبي تتحملى المده الجايه علشان آخر حاجه حلوه أكون شفتها انتى ووشك المنور زى البدر .. ناولينى ايدك .. أمسك بها .. الله ايدك الصغيرة الحلوه وقبل يدها والفتاه تبكى ..

. بلاش يا بابا .. أنت بخير وكويس وحتبقى زى الفل .. ضحك قائلاً:

. ايوه زى الفل .. مين يشوف الفل ده ومش يبقى زى الفل ..

ابكى هذا اللقاء هشام الذى نظر جهة الحائط يدارى دموعه المنهمرة وسحر هى الأخرى التى فسد مكياجها بسبب الدموع التى تساقطت على وجهها الجميل وأمسكت بيد أبيها الأخرى تقبلها مثل بثينة فأحاط الأب بذراعيه حول الفتاتين يدعو لهما بالصحة والستر وأن يكيفهم شر أولاد الحرام .. مازالت بثينة فى بكائها:

- أرجوك ، علشان خاطرنا شد حيلك يا بابا، حتقوتى لمين؟ إحنا كلنا ولايا ومافيش حد بعدك حياخد باله منا، أنت الحنان والحماية، أنت كل شىء حلوه فى حياتى؛ نظر الأب إلى هشام وقال:

. قرب منى يا ابني .. أبوك أحسن راجل عرفته فى حياتى، ممكن تكمل مشواره وتخلى بالك من آخر العقود الحلوه دية .. مش حاوصيك .. خليك أبوها

وأخوها اللي مفهوش بركه .. والنبي يا ابني رينا يخليك .. راعيا لحد ماتتجوز وتروح بيتها .. تزداد دموع هشام ولا يقوى على الإجابة .

ترك هشام الحجرة متجها إلى باب المنزل ومنه إنطلق إلى الشارع عائداً إلى منزل الجدة مكرر الذهن وظهرت على وجهه كل علامات الحزن والضيق استفسروا منه عن حالة "سى عبد الحميد" وأخبرهم أن حالته سيئة وكلها أيام ويغادر الدنيا ولكن الأعمار بيد الله.

مر يومان وجاء الخبر اليقين؛ الأستاذ عبدالحميد فارق الحياة، لقد ترك ابنته الصغرى ذات السبعة عشر عاماً من عمرها يتيمة تبحث عن قطرة حب وحنان في محيط القسوة والجبروت العائلي المحيط بها؛ مات والد الحبيبة الذي كان يشعر بدنو أجله وكان شاعراً بما سوف تقاسيه ابنته من بعده حيث شاهد ما قاسته وهو على قيد الحياة لذا أوكل إلي هشام مراعاتها حتى يأذن الله لها بالزواج .. آه .. ياعمى عبد الحميد لو كنت في حالتك الصحية ولك سيطرة على من بالمنزل لطلبت منك يد بثينة مع تأجيل الزواج حتى التخرج.

في المقابر وبعد أن انتهت جميع إجراءات الدفن ومغادرتهم للمكان تخلف هشام دون أن يشعر به أحد حيث قرأ بعضاً من قصار السور على المرحوم ثم تذكر كلام بثينة له:

. تصور يا هشام، انا محستش أن ليا أب، فتحت عيني على الدنيا لاقيته راجل كبير في السن وعجوز وماما وفاروق مش بيسمعوا كلامه وفي بعض الأحيان بيزعقوا في وشه، ملقيتس أب يأخذنى يفسحنى ويشترى لى حاجه حلوه ويشترى لى فستان العيد، حتى فى المدرسة لما يطلبوا ولى الأمر يروح لهم كانت ليلان أو سحر بعد سفر ليلان هما الللى يروحوا المدرسة، هشام، انا يتيمه رغم أن بابا لمه عابش، هو بيعترف بكده، كان بيومنى ويقول أخواتك البنات الثلاثة

راعيتهم ومتعتهم وجوزتهم لكنك يا مسكينه اتولدتى وابوكى عجوز؛ غرق هشام فى ذكرياته، تذكر شقيقها الثور "فاروق" فأسرع إلى المنزل ليقف بجانبها محاولاً تقليل الأثر السيئ عليها لوفاة الأب.

توجه هشام إلى منزل الجدة حيث التقى مع والده وأعمامه، تناولوا قليلاً من الطعام واستعدوا للتوجه إلى منزل شقيقتهم لحضور واجب العزاء واستقبال المعزين، طلبت الجدة فردوس من ابنها راضى أن يقنع عائشة بعودة بثينة إلى منزلها لأن بقاءها فى العتبة سيعود عليها بالضرر.

فوجيء الأشقاء بأنه لا معزين رجال غيرهم، فاروق ليس له صداقات والمرحوم لم يكن يودى واجب العزاء للناس كما أن مسيو نظيف زوج ابنته آمال مشغول هذه الليلة لأن زبائنه من الخمورجيه يزدادون كل مساء.

تشجعت بثينة عندما شاهدت هشام حيث تركت السيدات وذهبت لمجالسة أحوالها، طلب راضى من شقيقته عائشة أن يصطحب بثينة معه لمنزل والدته وأثناء هذا نفحها مبلغاً من المال.

عادت بثينة إلى منزل جدتها حزينة على فراق والدها ورغم هذا شعرت بروح الشباب والحب تعود إليها، لقد تربت فى هذا المنزل ثمانية أعوام منذ أن قابلت هشام أول مرة وعمرها تسعة أعوام وتعتبرها من أحسن أعوامها السبعة عشرة فى حياتها.

خرج الحبيبان يستشقان هواء الليل العليل الذى يسبغه نيل مصر على كل أنحائها وشعرا بالسعادة تعود إليهما ثانية مع كل هذا التجمع الشعبى الهائل الموجود على الكورنيش .. تجاذبا أطراف الحديث وكان هشام يراعى ألا يحدثها بكلمات الحب والغزل حيث إن والدها توفى أمس ويجب عليهما أن يراعى هذا الحدث.

مرت الأيام على هذا الحال وتزوجت العمّة سندس من الحاج رفاعى وهو رجل متقدم فى السن وكانت رافضة له ولكن تحت ضغط والدتها وأخواتها وافقت حيث تعدى عمرها الثلاثين عاماً، استعد العم رجب للمسكنى خارج المنزل حيث إن شقيقه أحمد سيتزوج بعد ثلاثة أشهر فى هذه الشقة وتم قبوله هشام بكلية الفنون الجميلة بالزمالك كما وافقت إدارة المدن الجامعية على قبوله ضمن الطلبة المتقدمين لها حيث إن مجموع درجاته مرتفع ومن أبناء الأقاليم أثناء ذلك تقدم شاب للعمّة زينب وأعجبت بشخصيته وعائلته وتم زواجهما فى خلال ثلاثة أسابيع وهكذا لم يتبق بالمنزل سوى الجدة وبثينة والعم أحمد.

فى خلال شهرين أصبح المنزل خاوياً، فى أحد تلك الأيام طلبت الجدة من بثينة أن تحضر لها صندوقاً صغيراً من دولابها فأحضرتة الفتاة وفتحتة الجدة أمامها ثم أخرجت منه عقد بيع مسجلاً بالشهر العقارى وطلبت منها قراءته حيث فوجئت الفتاة بأن هذا العقد يخصها وأبدت دهشتها من هذا ركزت الجدة فى حديثها إلى حفيدتها بعدم إخبار أى أحد بهذا العقد كأنها لم تعرف به ولم تره قائلة لها حتى هشام .. فاهمه .. حتى هشام يا بثينة .. سكتت بثينة قليلاً: احتضنت الجدة حفيدتها وقبلتها وأخبرتها بأن العقد سيظل موجوداً هنا أمانة عند خالك أحمد، شرحت لها شرط التصرف فى قطعة الأرض والمكتوبة بالعقد، تفهمت بثينة هذا الشرط مؤيدة جدتها فى ذلك.

بدأت الدراسة وشغل هشام بالجامعة ولم يعد يشاهد بثينة إلا كل أسبوع فى أيام الخميس والجمعة، شعرت الفتاة أن أسلوب هشام فى التعامل معها قد تغير إلى الأفضل، لقد اهتم بمظهره وتخير ملابسه بذوق أفضل من التى كان يرتديها بالمدرسة الثانوى كما تحسن أسلوبه فى الحديث والتعامل للأفضل.

اقترب موعد امتحان الفصل الدراسى الأول فى الكلية وهذا هو أول

امتحان لهشام بالجامعة ولهذا اهتم بالتحصيل ومذاكرة دروسه محاولاً الحصول على تقدير مرتفع كى يصبح هذا دافعا له فى الامتحانات القادمة بينما بثينة تواصل حياتها مع الجدة والخالات وتتمتع باستقبال الجدة لأبنائها وأحفادها. أمضت بثينة ليلتها حزينة دامعة لعدم استكمال تعليمها الجامعى .. تذكرت أغنية شادية التى كانت تهوى صوتها العذب الجميل الذى ينبض بالحب لمن هن فى عمرها.

اهه اهه إحنا هنا ونجحنأ هه فى المدرسة
باركنا لنا وهات لنا معاك هديه كويسه
اهه اهه إحنا هنا

سرحت فى نومها وسمعتها الجدة وهى تشدو بهذه الأغنية الجميلة ثم راحت فى سبات عميق، نظرت إليها أثناء نومها وقالت: الذى لم يشاهد الملاك يأتى ليراه فى صورة بثينة وهى نائمة، انها لا تفكر فى ضرر أى إنسان وأوقفت عمرها على حب هشام، رفعت يديها إلى السماء تتاجي الله: - يارب ادبنى العمر وأشوقهم مجوزين، ربتت على ظهرها برقة قائلة: نامى ياملاكى الرقيق ثم قبلت رأسها ونامت بجوارها سعيدة بأنها استطاعت أن تدخل البسمة والأمل لقلبها.

يوم السبت التالى توجهت بثينة إلى كلية الفنون الجميلة بالزمالك سيرا على الأقدام تستعيد ذكريات سيرها مع هشام فعبرت كوبرى أبى العلا إلى الزمالك ثم سارت فى هذا الحى الراقى الذى يخترقه ترام (١٥) المتجه إلى حديقة الحيوان والهرم، وصلت فناء الكلية فشاهدت مجموعة من الشباب والفتيات من الطلبة يتحدثون فتقدمت منهم تسأل عن طالب بالسنة الأولى حيث أشاروا لها بأن هذه المجموعة التى تجرى وتلعب هم صغار الكلية بتوع سنة أولى وعلق أحدهم:

. لسه فاكرين نفسهم صغيرين!!

شكرتهم واتجهت إلى المجموعة التي يعلو صوتها ويمرحون ويجرون خلف بعضهم وسألت عن طلبة سنة أولى فحضر إليها مجموعة وتوالى حضورهم حتى ازدادوا عدداً.

. إحنا سنه أولى أى خدمه؟

. عايزه أقابل هشام راضى .. قال أحدهم:

. أنت فين يا هشام؟ وآخر

. انا أحابيه من تحت الأرض، أما الفتيات فكن يتفرسن فى وجه وملابس بثينة وقالت إحداهن لها.

. انتى قريبتة؟

- ايوه .. وقالت أخرى لازم خطيبته .. ابتسمت بثينة مؤكدة قولها .. شاهدت المجموعة زميلهم ممسكا بهشام من يده مثل عسكرى البوليس الذى قبض على لص متلبس .. وجاء أمامها:

. مش هو ده هشام؟ .. ابتسمت بكل سعادة .. صافحها هشام

- خير .. فيه حاجه حصلت؟ تيته بخير؟ هدأت من روعه وأخبرته أن كل شىء على مايرام وأنها كانت قريبة من الكلية فحضرت للقائه خاصة أنه لم يحضر لزيارتهم الأسبوع الماضى، استأذن هشام من زملائه الطلبة والطالبات غادرا الكلية متوجهين إلى حديقة الأسماك وجلسا فى حديقته الجميلة يستمتعان بشمس الشتاء الدافئة، نظر هشام إلى بثينة قائلاً:

. مالك؟ باين عليكى السرحان وزى ما يكون ضاعت منك حاجه.

. لما باكون معاك بانسى كل حاجه .. نفسى .. وروحي.

جلسا لفترة زمنية قصيرة ثم غادرا الحديقة إلى الشارع وسارا معا حتى محطة

الأكويبيس واستقلاه عائدين إلى بيت الجدة التي أسعدها قدومهما معاً.
- أول ما باشوفكم مع بعض قلبى بيفرح بمنظركم، عاملين زى الطيور، ثم
سألتهما: أتقابلتم فين؟
. رحلت له الكلية .. ضحكت الجدة قائلة:
. أنت عملتى للواد كبسه لتكون عينه زاغت كده وألا كده.
. كلامك مطبوط يا تيته.
طلبت الجدة من بئينة أن تُعد طعام الغذاء ليتناولوه معاً.
أسعد بئينة حديث الجدة عندما أخبرتها أنها اتفقت مع ابنها راضى بأن
يعمل على زواج بئينة من هشام مما دفع الفتاة لأن تصرخ سعيدة وتقبل جدتها
بسعادة بينما الجدة سعيدة إن استطاعت أن تعيد البسمة إلى وجه حفيدتها.
ذهبت بئينة إلى فراشها مساء هذا اليوم سعيدة يالها من سعادة ترجو أن
تدوم، راحت فى سبات عميق تحلم بكل ما يُسعد أى فتاة فى عمرها .. عمر
الزهور .. زهور الربيع.

هموم الجدة

أضحى ظاهراً للعيان أن بثينة قد تعلقت بابن الخال هشام ولا تستطيع الابتعاد عنه وأنه لم يترك مكاناً فى قلبها أو عقلها لأى إنسان آخر، لقد ملك كل أحاسيسها النبيلة المتدفقة وغدت تجاهر بهذا الحب غير عابئة باستنكار أو انتقاد لتلك المشاعر الفياضة التى تجيش فى قلبها وبين ضلوعها الذى كان يهتف دون إنذار أو توجيه باسم الحبيب "هشام" شجعها على ذلك الطرف الآخر، هذا الحبيب الذى دفعه صدق حبها له وحبها لها بأن يجاهر هو الآخر ليعرف من لا يعرف أو يعرف من يهمه الأمر فى الأسرة بأنه يعشق بثينة وأنها سنوات قليلة ويكفل هذا الحب بالزواج المبارك وكان لاتفاق الجدة مع ابنها راضى بزواج هشام وبثينة أكبر الأثر على نمو المشاعر والثقة بالنفس بين الحبيين.

تزوج العم أحمد وظل مقيماً مع والدته وابنة شقيقته بثينة كما تزوج العم رجب وسكن فى منطقة الكيت كات وهو حى أنشئ حديثاً، اعتاد هشام زيارة جدته نهاية كل أسبوع خلال ذلك يتجاذب أطراف الحديث مع العائلة واشتركت فى تلك الأحاديث زوجة العم أحمد واندمجت مع الأسرة الجديدة خاصة أنها قريبة العمر من بثينة بفارق عدة أعوام مما دفع ببثينة لأن يفارقها هاجس الخوف بأن تحدث لها مشاكل قد تضطرها إلى ترك المنزل والعودة إلى العتبة.

أخبرت بثينة هشام بالحالة الصعبة التى تيعيشها عمته سندس مع زوجها البخيل بذىء اللسان الحاج رفاعى ورغم أنها راغبة فى الانفصال إلا أنه رفض

طلبها كما حصل على كل حليها وتصرف فيه، شعر هشام بالأسى لهذا الوضع وأثناء حديثه مع صديقه وديع سمع المعلم حبشى حواره واستفسر منه عن هذا الموضوع وقرر أن ينهى هذه المهزلة التي تقابلها ابنة الحته سأل هشام عن اسم زوج عمته فأخبره بأن اسمه رفاعى، صاح حبشى فى الشارع:

- ليلة أمك ضالمه يا رفاعى .. يا أنا يا أنت .. منشوف مين حيضحك فى الآخر؛ وله يا برعى، حضر صبى القهوة .
- نعمين يا معلم .. حجر تانى .. بصوت أجش .
- وله .. تروح بيت الشيخ حسنى؛ عارفه؟
- أبوه يا معلم عارفه .

- تخليه يجيب الدفتر وييجى قوام، فاهم؟
- حاضر يا معلم؛ أسرع الصبى تجاه منزل الشيخ حسنى بينما وديع وهشام ينظران إلى ما يجرى بدهشة وما علاقة هذا بموضوع عمته، تساءل:
- إيه ياعم حبشى حتعمل إيه؟ نظر إلى السماء قائلاً:
- آه .. العمل عمل رينا، ضحك وديع فنظر حبشى إليه .
- إيه يا وديع .. ياد انا ملاحظ من يوم ما اشتغلت عند عمك ناشد وأنت دماغ أهلك مهويه .. فيه إيه ياد؟ أنا عارف أن ناشد أخويا بوظ نفوخك بكلامه عن الحلال والحرام أصله غاوى درس يوم الحد، بيروح الكنيسة ويلزق جنب أبونا وهات يا سوالات، طيب ما تريحنا وتروح الدير لما أنت ماشى ورا الدين .

الشيخ حسنى

الشيخ حسنى هو مأذون منطقة بولاق أبى العلا وهو إمام وخطيب المسجد

الصغير الذى شيده الأهالى بجهودهم الذاتية أى أنه لا يتبع وزارة الأوقاف كان معروفاً عن الشيخ حسنى أن فتواه لا تمت للإسلام بصله حيث إن فتواه متوقفة على صاحب الفتوى، فإذا كان من الفقراء فيفتى لهم بما يسعدهم من أخبار مستقبلية وإذا كان من الأغنياء وأصحاب السطوة فإنه يُعد فتوى ترضيه بأن يخبره بأن رجال المباحث كفرة وسيدخلون جهنم وأن تجارة الصنف ليست حراماً وإنما هى حلال مثل الأدوية.

ونظراً لأن الشيخ حسنى كثيراً ما يطلبه العامة فى مشاكلهم وغالب تلك المشاكل تخص الزوجات والأزواج، ولم تكن النساء يجدن أى غضاضة أو حرج فى قول مشاكلهن الخاصة لرجل غريب، فهو الشيخ حسنى كما أن زوجته أم خميس تجلس معهن وتهاجم الرجال، بل أن بعض النساء كن يهددن أزواجهن بأنهن سيطلبن من أم خميس الحضور والعراك مع أزواجهن نظير مبلغ من المال ولم تكن أم خميس تجيد العراك أو الكراتيه وخلافه ولكنها كانت بدينة إلى أقصى حد ودفعة واحدة منها كافية بأن تقذف بأى رجل عدة أمتار وإذا جلست فوقه فهذا معناه عاهة مستديمة؛ أما الشيخ حسنى فقد كان على العكس منها فى كل شىء، فهو قصير القامة نحيف البدن لم يكمل وزنه خمسين كيلو جراماً كما أنه سريع البديهة ويستطيع أن يضحك على زوجته بقليل من الكلام الكاذب الذى يعيده عليها كل يوم وتصدق ما يقوله ورغم هذا كانت تتمتع بقلب طيب إلى أقصى حد رغم ضخامة جسدها.

ولكى يتغلب الشيخ حسنى على مشكلة إزعاجه من عدمه حيث يحضر إليه الناس أثناء إنشغاله خارج المنزل أو راقداً للراحة لهذا أشار عليه أحد أصدقائه وهو المعلم "عبده وزه" صاحب مسمط "عبده بهريز" فى أول شارع بولاق الجديد بنصيحة تلخصت فى أن يضع علامة على بلكوته شفته أو أمام

باب منزله تفيد وجوده وعدم وجود العلامة تعنى أنه غير متواجد، فإذا رغب في الاستجمام قليلاً فلا يضع العلامة وهذا معناه أنه خارج الشقة. عاد الشيخ حسنى بهذا الاقتراح وعرضه على أم خميس التى أعجبت به ولكن المشكلة ماهى العلامة التى توضع، بعد نقاش بينهما استقرا على أن أهم شىء يدل على شخصيته هى العمامة ولهذا يجب أن يضعها فى البلكونة واقتنع الرجل بأن أى شخص سيشاهد العمامة سيعلم بأن الشيخ حسنى موجود بمنزله؛ لأنه من النادر أن يغادر منزله دون العمامة إلا حينما يتجه إلى قهوة الصبح بدرى لصاحبها سعيد أبو النوم لتدخين الجوزة بعد أن يحصل على تعميرة من صديقه المعلم حبشى.

وضع الشيخ حسنى العمامة فى البلكونة مرفوعة على عمود خشبى قصير ويُعتقد بأنها يد مقشاة مكسورة!! فعل هذا اعتقاداً منه بأن يد المقشاة مثل الخشبة التى ترفع العلم ولهذا أصبحت العمامة هى العلم وأسعده هذا التفسير ونفذه حتى أصبح شائعاً ومعروفاً عند العامة بأن يرسل أى شخص ابنه أو أحد لينظر هل علم الشيخ فى البلكونة من عدمه كما وضع الجبة خلف باب الشقة والحذاء الذى يرتديه دون شراب تحت الكنبه البلدى الموجودة بالصالة ووضع أيضاً دفاتر الزواج والطلاق أسفل مرتبة الكنبه بالصالة حتى يكون مستعداً لتقديم خدماته للجميع وبسرعة.

عرف عنه تلك الإشارات والتصرفات فأصبحوا لا يصعدون إلى شقته المتواضعة بالدور الثانى بهذا المنزل المتهاك إلا بعد التأكد من وجود العمامة أولاً، حتى النسوة اللاتى كن يمتشرنه كن يتأكدن من وجود العلامة بدلا من الجلوس مع أم خميس حيث الجلوس مع الشيخ كان يسعدهن بتعليقاته المجانة بعد أن تتركهم أم خميس لحال شأنها فى المنزل، هذا هو رد الفعل على من

تعامل مع الشيخ حسنى؛ خفة الدم والظل وروحه المرحة وتقبله بعض المسخرية وعدم المغالاة فى الأجر الذى يحصل عليه، كان قريبا من الناس ومن جميع الأعمار كما أنه صاحب نكته يسعد بها الجميع.

وصل برعى إلى منزل الشيخ حسنى فشهد العمامة التى تعلن وجود الشيخ وأنه جاهز لتقديم العون والخدمة لأهل الحنة، دق "برعى" باب الشيخ حسنى عدة نقات متتالية مما أزعج الشيخ حيث كان يستعد للذهاب لتأدية صلاة المغرب فى زاوية عطا لله القريبة من منزله ثم بعد ذلك يتوجه إلى قهوة "بحبح" حيث تواعد مع الشيخ "عكاشه" مأذون روض الفرج ليلاعه عشرين طاولة، قام بفتح الباب صارخا فى وجه برعى.

- إيه ياوله متسرع كده ليه؟ باضطراب من المجهود الذى بذله الصبى جريا وصعودا لتلبية أوامر المعلم ..

- المعلم حبشى عايزك حالا وتجب معاك الدفتر؛ أسعدت تلك الكلمات المختصرة الشيخ حسنى، ثم تتبه متسائلا:

- أى دفتر عايز .. جواز والا طلاق؟ يارب يكون جواز بيكون حسنته كبيره صمت الصبى قليلا ثم قال:

- أصله كان بيكلم وديع ابنه وبيقول حاطلقها يعنى حاطلقها، أسعده هذا فطلب من زوجته بأن تستعد الليلة لانها ليلة أنس، دهشت الزوجة من حديثه حيث قال لها خلاص فُرجت يا روحيه، المعلم عايزنى حالا بدفتر الطلاق؛ صرخت: - الشر بره ويعيد .. يا راجل أنا قلت لك ميت مره بلاش تشتغل فى الطلاق وخليك فى الجواز .. الله يخرب بيته المفترى اللى عايز يطلق مراته

الغبانه .. آه علينا إحنا يا ستات مكسورين الجناح .. إهه .. إهه .. إهه ثم أجهشت بالبكاء بينما الصبى مازال واقفا ينتظر إجابة الشيخ حسنى الذى

طيب من خاطر زوجته أثناء ارتداء ملابسه.

. إيه يا أم خميس، دى فيها هبره كويسه، ياه .. فُرجت وكنت أظنها لن تفرج ..
أصل انتى متعرفيش حبشى لما يطلق مريم مراته حيدفع كويس .. توقفت
زوجته عن البكاء وهى تحادثه.

- يخرب عقلك يا حسنى، هو أنت الشيخ حسنى وإلا أبونا حسنى؟! .. دوول
قبط .. إزاي حنطلقهم من بعض .. لا حول الله .. الراجل مخه لف ومعدش
فيك منفعة لا بالليل ولا بالنهار؛ اتجهت إلى داخل المنزل تاركة الشيخ يُعد
نفسه لمهمة رسمية يتوجه إليها، نظر إلى الصبى برعى.

- يعنى يا برعى معرفتش مين إالى حنطلق؟ يعنى مش أم وديع وإلا هيا؟
يصيح فيه صبى القهوة بعد أن شاهد وسمع حواراه مع زوجته.

- جرى إيه يا شيخ .. هو أنت مش بتفهم؟ أم خميس قالت ما ينفعش الكلام
ده .. تركه الصبى عائداً إلى القهوة وحسنى يلغنه:
"غور وأنت غبى وفهمك بطيء زى روحيه مراتى"

هبط الشيخ حسنى متوجهاً إلى محل المعلم حبشى حيث كان يعير
الخيلاء لأنه سيقوم بمهمة خاصة بالمعلم فى هذا اليوم وسيعطى أوامره إلى
المعلم ولن يكون المعلم هو الأمر الناهى، أثناء سيره كان يلقي بتحيته على
الناس، شاهد شربات وهى سيدة صغيرة السن وليست على وفاق مع زوجها
حيث سبق وأخبرت الشيخ حسنى أنها لا تشعر بمتعة معه رغم أنها تحضر
تعميرة من المعلم بخصوص هذا الموضوع ولكن دون فائدة، اقترح عليها الشيخ
حسنى أنه يستطيع أن يساعدها فى الطلاق منه وبعدها يتزوجها لكنها رفضت
لأنه ضعيف البنية وهى تريد رجلاً قويا ذا عضلات؛ تركته بعد أن نفحته
ضحكة ماجنة أطربته وزادت من خيالاته فتوجه إلى المعلم مرفوع القامة معتداً

بنفسه.

شاهد المعلم ينفث دخان الشيئة بوضعه بين نسائه الأربع حيث بادره.

. جاهز يا شيخ حسنى.

. جاهز يا معلم

صرخ المعلم فى الواد برعى طالبا منه سرعة الذهاب إلى قهوة سعيد أبو النوم وإحضار كل من صادومه ورزق، تلفت حسنى حوله ثم أشار إلى المعلم فحضر إليه.

. ايوه يا حسنى عايز ايه؟ حابسطك بتعميرة مافيش بعدها بس بعد ما اخلص من الولية نية وكل واحد يروح لحاله، بكل هدوء وثقة:

. إن أبغض الحلال عند الله الطلاق .. صاح فيه.

. ايه يا راجل يا مخبول اللى بتقوله ده؟ هو أنت كمان حتعمل زى الحكومة كل كبسه يقولوا أنت مزعل الرب .. ايه .. قووو .. ايه اللى دخل الرب فى الجواز والطلاق .. فاهمنى .. تركه إلى داخل المحل، هنا أشار الشيخ حسنى إلى مريم زوجة حبشى فأقبلت نحوه تنقص بجسدها الطرى الملىء نمسيا وفى قمها لبانة.

. نعمين يا شيخ حسنى، اقترب من أذنها فاعتقدت بأنه سيخبرها بنكتة بذيئة كما تعود معها لكنه أسر فى أذنها، أم وديع؛ المعلم حبشى حيطلقك النهارده.

صرخت السيدة فحضر حبشى وقامت النسوة وكل استعدت بفردة شبشب لتلقين المدعو حسنى درسا حيث تحدث مع أم وديع بالأفاز نايبية ولكن أم وديع هجمت على زوجها تضربه وتسبه بأنه مجرم وغدار وسيطلقها لأنه يرغب بالزواج من تريزا شقيقة المقدس منقريوس؛ تجمع أهل الحارة ليشاهدوا العجب لأن المعلم حبشى قرر طلاق أم وديع وحنن كل من وديع وهشام على هذا وهما اللذان اعتقدا أن المعلم يفكر فى حل لمشكلة عمته.

توترت الحارة ومازالت الزوجة ممسكة برقبة زوجها والشيخ حسنى يقف مزهوا بنفسه بأن استطاع إذلال المعلم الذى كثيرا ما أهانه وتجمع الناس حول الشيخ حسنى وسأله احد الجيران.

. طيب يا شيخ؛ حنطلق القبط دول من بعض إزاي؟ نظر إليهم بدهشة . وفيها إيه، انا الشيخ حسنى اللى متفتيش التايهه، يجيبه السائل.

- ايوه إحنا عارفين؛ يعنى إحنا يا مسلمين بنقول على مذهب الإمام أبى حنيفة .. يجيب الشيخ حسنى:

. ده سهل .. على أى مذهب .. آه .. أى مذهب .. فى تلك اللحظة شعر بأن يد قوية تسحبه من وسط المجموعة وشاهد المعلم حبشى الذى كانت عيناه تطلقان شررا وصرخ فى وجهه.

. انا بعث قلت لك هات الدفتر علشان حاظلق أم وديع؟ حسنى مرتبكا ..
. والله يا معلم افكرت كده.

- عايزك تاخذ بالك بعد كده .. وح اوزن لك دماغك المفكوكة دية؛ انفرجت أسارير الشيخ لاعتقاده بأنه سيمنحه تعميرة لعملية الوزن هذه ولم يمهله حبشى فضربه برأسه سقط على الأرض لا يتحرك، صرخ المعلم حبشى فى جموع الناس أن تغادر المكان وإلا سيفعل بهم مثل ما فعل مع حسنى؛ تبعثرت أدواته التى يعمل بها من دفاتر الزواج والطلاق وسقطت عمامته وساد هرج ومرج ممتزج بصرخات النساء حيث اعتقدن أن الرجل فارق الحياة .

أسرع البعض وأخبروا أم خميس بأن المعلم حبشى قتل زوجها أمام محله وهو ملقى فى الشارع، هبطت السيدة على سلم المنزل الذى كان يرتج تحت ثقل وزنها وأسرعت إلى الشارع لتشاهد زوجها ملقى على الأرض والمعلم عجور المزين يحاول إفاقته بعطوره المستوردة من احد البلاد غير المعروفه

وقفت أمام حبشى الذى ظل جالساً بين النسوة وقالت له بصوتها الأجهش وكأنها
بلعت دجاجة كاملة.

. عملتها يا حبشى؟ .

هجمت عليه وسحبته من رقبته حيث كان يتلوى بين يديها مثل قط
صغير وألقت به أرضاً وجلست فوقه، ظل حبشى يصرخ وتجمعت النسوة
الأربعة لمحاولة ضربها لإنقاذ حبشى وكل من استطاعت أن تطوله بيدها تلقية
بجوار حبشى والناس بين صراخ وعويل إلى أن شاهدت أم خميس زوجها يقف
بعد أن نجحت محاولات الأسطى عجور فى إفاقته بعد أن أسر فى أنه بان
ينهض حتى يحصل على تعميرة دويل من المعلم، نهض قائلاً:

- خلاص يا أم خميس، المعلم له حق عندى والمسامح كريم، هكذا قامت
الكراكة أم خميس من فوق حبشى الذى أسرع عجور لإفاقته بعطره مع باقى
عائلته التى كادت أن تقضى عليهم.

نهض الجميع بين التصافح والاعتذار وبين تصفيق الجمهور الذى تجمع
على العويل والصراخ وكل شىء عاد إلى وضعه الطبيعى وتناولوا المياه
الغازية وعادت أم خميس إلى موقعها انتظاراً لمهمة أخرى .. ليلاً!!
نظر المعلم إلى هشام قائلاً:

. أنت تعرف بيت النتن جوز عمك كويس؟ أجابه هشام بتأكيد ذلك .. أرسل
صادومه لإحضار تاكسى .. وأثناء ذلك قال المعلم للشيخ حسنى.

- شوف .. حنوصل مشوار جدعنه، لكن حادفلك آه، متخفش وحاروقك
بتعميرة من نوع جديد لنج وآخر مزاج وحتد عيلى وانت طالع المقطم ..
اضحك هذا الأسطى عجور حيث قال ...

طلوع المقطم مش سهل يا معلم .. زودها شويه علشان يعرف يطلع كويس ..

ابتسم حبشى قائلاً:

. وجب ويبقى تعميرتين شد حيك يا بطل جاهز يا حسنى ..

. جاهز يا معلم يا عترة يا ابن حنتنا .. أحضرت أم وديع جلبابا نظيفا بديلاً عن الجلباب الذى أصبح غير لائق بعد معركة أم خميس الدموية كما حضر صادومه بالتاكسى ومار بهم المعلم فى اتجاه منزل زوج العمه سندس مصطحبا معه بطانته، صعد الجميع إلى الشقة بعد أن أخذوا رخصة السائق طالبين منه الانتظار لحين عونتهم، طلب حبشى من هشام أن يدق على الباب .. بعد قليل فتح الحاج رفاعى الباب قائلاً:

. إيه يا هشام .. عقلت عمك وجيبتها معاك؟ هنا اندفع حبشى قائلاً:

. ايوه بعد ما أقولك كلمتين، نظر الرجل إليه ثم قال.

. جايب الرجل المجرم ده هنا ليه؟

يا .. (حاول أن يصرخ ويستغيث).. لكن حبشى عاجله بضربة رأس شعر هشام أن الحائط انكسر .. سقط الرجل ولكن صادومه ورزق استلماه وأفاقاه وما زال مترنحاً وسأله حبشى:

. فين ياد فلوس الست سندس يا حرامى يا ابن .. أشار رفاعى إلى دولاب الملابس .. أحضروا كل ما معه من نقود وقام الشيخ حسنى بإجراءات الطلاق البائن بينونة كبرى وشهد صادومه وأراد المعلم أن يشهد ولكن الشيخ حسنى رفض قائلاً:

. أنت قبضى يا معلم ولا يجوز، حزن المعلم فأبدل رزقا مكانه ورضخ رفاعى ووقع على قسيمة الطلاق وحبشى يحذره قائلاً:

. تروح البوليس وتمشكى المرة الجاية حاقطع رقبة ابنك .. فاهم وأروح فيه تأييده .. غور يا ابن .. ودفعه بعيداً فى صدره وغادروا منزله عائدين إلى حى بولاق.

أكرم المعلم المائيق نقداً ونفحة زجاجة بييرة سعد بها كثيراً .. لم يصدق هشام ما حدث أثناء توجهه إلى منزل الجدة فناول عمته سندس الفلوس المعادة من الزوج السارق رفاعى ودهش الجميع ولم يصدقوا ما سمعوا وبكت سندس وقامت تقبل وتحتضن ابن شقيقها الذى خلصها من هذا الشرير حيث قالت اليوم أشعر بأنى خرجت من السجن أما العم أحمد فتوجه ليشكر المعلم رفض المعلم هذا الشكر حيث قال له إحنا ولاد حتة واحده واللى يضايقكم يضايقتى أنا كمان .. لا شكر على واجب ورفض أن يحصل على أى مصاريف حتى رسوم المأون.

جلس المعلم على كرسيه القويته وعاد الشيخ حسنى من منزله بعد أن أبدل زى الوقار وترك أدوات عمله فى المنزل، عاد ليحصل على نصيبه من التعميرة التى وعده المعلم بها .. استقبله المعلم بترحاب ووجه بشوش حيث أعطاه مبلغاً من النقود لزوم الإجراءات الرسمية طالباً منه أن تصل قسيمة طلاق الست سندس مساء غد .. والإلا .. وأشار له حسنى قائلاً:
. بلاش وإلا .. وإن شاء الله بكره العصر حتكون عندهم، أشار المعلم لشقيقته بأن تحضر تعميرتين من الصنف الجديد .. دخلت شقيقته المحل حيث أخرجت من ملبسها الداخلية قطعنى سولقان وناولتهما للمعلم الذى قبل التعميرتين وهو يناولهما إلى حسنى الذى كان يدعو له بالمعادة والمتعة ..

توجه حسنى إلى قهوة سعيد أبو النوم الموجودة بالحارة الجانبية حيث قام عامل القهوة بإعداد الجوزة له وبها التعميرة وبعد سحب نفسمين أغمى على الشيخ حسنى فحضر صادومه مسرعاً إلى المعلم يستجد به فضحك المعلم كثيراً قائلاً هاتوه هنا وإحنا نفوقه .. أسرع الجميع بإحضار الشيخ حسنى الذى لم يكن قادراً على التنفس بسهولة وطلب المعلم من شقيقته إحضار زجاجة بييرة

متلجة ترطب على مراوح حسنى .. بعد أن هدأت الحالة أفاق حسنى وجلس
يحتسى البيرة وهو حزين وسأل المعلم:

. هي التعميرة دى اسمها إيه يا معلم؟ .. ضحك المعلم

. "انا استأهل كل اللى يجرا لى" ثم أكمل ضحكاته: بقى يا راجل يا نتن تقول
لى بطاقتك وشهادتك مش تتفع يا معلم علشان أنت قبطى .. ياد دا انا حبشى
تقوم تعمل معايا كده .. ليه .. هو القبطى ماله؟ يفرق إيه عن المسلم؟ .. مش
بيحارب عن البلد زيكم؟ مش بيدفع ضرائب؟ مش يببسط الناس ويعدل مزاجهم
ويخلى القار بالليل وسط حريمه أسد؟

. أنت باين عليك حتخلينى فار على طول حيث علقت زوجة المعلم طالبة من
زوجها أن يفتح الشيخ حسنى بما يجعله أحسن من الفأر فعلق عجور

. يا معلم ده الراجل بتاعنا وأنت عارف طلوع المقطم غير أى حاجه تانيه ..
ثم ابتسم يداعب المعلم قائلاً وأنت شفت المقطم عمل فيك.

. متفكرنيش .. ياه .. آه لو أم خميس كانت راجل كنت عملت اللى متعلمش
ولكنها ست .. وليه .. حاشططر على وليه .. عيب .. اضحك هذا كل نسائه
حيث علقت أمه قائلة:

. لا لأ يا حبشى الست تضرب عشر رجاله.

وأخيرا صفح المعلم عن حسنى وأعطاه تعميرة من نوع "ليالى الأنايس فى فينا".

هشام وعام الحزن

مضى عامان على التحاق هشام بالجامعة كما أوشك العام الثالث على الانتهاء؛ شعرت بثينة خلال تلك الأعوام بالسعادة حيث استطاع خالها راضى أن يعقد اتفاقاً غير صريح مع أمها على بقاء بثينة مع جدتها فى مقابل أن يقوم بتقديم المساعدة المادية والعينية لها، هكذا تحمل راضى ضعف ما كان يقدمه لأمه وشقيقاته بأن يقدم مثلها إلى عائشة كى تبعد يديها ولسانها وابنها عن بثينة.

تعدى الشابان العشرين عاماً من عمرهما كما أن وجود بثينة بمنزل الجدة أفادها كثيراً فى شئون المنزل حيث تحيط بها الخالة سندس وسهام زوجة العم أحمد التى اتخذت من نفسها صديقة لهما وأصبح المنزل يظله الحب والتفاهم وخيرات الابن راضى الذى وضع تلك العائلة فى حالة مادية ميسرة وكل هذا بفضل الأم فردوس وعلاقتها بأبنائها وحُبهم لها واحترامهم وتقديسهم لمكانة الأم كما أمر بها القرآن الكريم.

حلت الإجازة الصيفية وأعلنت الكلية عن منحة تدريبية للسفر إلى إيطاليا خاضعة لبرنامج التبادل الثقافى بينها وبين مصر حيث الأكاديمية المصرية للفنون فى روما والتى استطاعت بقوة تأثيرها إعداد هذا البروتوكول الثقافى وكل شروط المنحة تنطبق على هشام من حيث التقديرات فى امتحانات الأعوام الثلاثة السابقة وأصبح واضحاً أن هشام سوف يسافر إلى إيطاليا بعد أسبوع لقضاء ستة أسابيع فى تلك المنحة التى تتقاسم تكلفتها الحكومتان المصرية والإيطالية.

خرج هشام وبثينة فى نزهة على النيل كوداع قبل السفر وكلّ يحاول أن

يتشبع من الآخر أو يحصل على جرعة عاطفية تشد من أزره طوال تلك الفترة التي سيتباعدان فيها عن بعضهما البعض لفترة طويلة منذ أكثر من ثلاث سنوات منذ التحق هشام بالجامعة .. اتجها إلى كازينو الشجرة المطل على النيل كما اعتادا .. حضر بائع الترمس يدفع عربته كالمعتاد وبعد أن أعد مكان بيع بضاعته جلس يستريح وفتح الراديو كما يقول البعض "بالبركة" وانساب صوت عبدالوهاب العذب تحمله إلى آذانها نساءم النيل العليل لتصل إلى قلوبها دافعة بدماء الحب والإخلاص المتبادل:

يا ورد مين يشترك وللحبيب يهديك
يهدى إليه الأمل والهوى والقَبيل
يا وردى

ردد هشام الأغنية إلى حبيبته ولم يدع عبدالوهاب ينفرد بها، الأغنية تنبه الأحباء بأن يُعبر كل حبيب عن مدى حبه ولهفته للطرف الآخر، استمعت إليه بثينة بمساعدة حيث كانت تتمايل طربا مع دقات يده على المنضدة التي امامها، شعرت أن تلك الأغنية لها وحدها، وما أدراك ما الورد وتأثيره على المحبين أصحاب القلوب الرقيقة التي لا تشعر إلا بكل شيء جميل.

تحرك الاثنان وتوجها إلى مركب الريس حسونة الذى استقبلهما بترحاب ومودة وكان الله قد وضع فى وجهه كل ابتسامات الدنيا، فهو دائما سعيد ويسعد من حوله، تمتعا بتلك الأمسية حيث جلست بثينة مائلة على هشام واضعة رأسها على صدره لعلها تسمع نبض قلب الحبيب فيشجعها هذا على فراقه بغرض مصلحته ودراسته ولكنها مازالت راهبة الموقف وتشعر أن هناك سحابة قاتمة قادمة فى الأفق مستدمر تلك السعادة طالما أن هناك من بنى

الإيمان من يسير خلف إبليس اللعين، أدار حسونة الراديو لتتساب أغنية مُعيرة
عن كل مخاوف وأشجان بثينة حيث طلبت منه خفض الصوت وقامت هي
بالغناء إلى الحبيب المسافرين عنها: الليلي:

كل كلمة حب حلوة قلتها لى كل همسة شوق بشوق سمعتها لى
والأمان والعطف والقلب الحنين والأمانى كلها نورتها لى
بس قلبى لسه خايف م الليلي وأنت عارف قد إيه ظلم الليلي
يا حبيبي يا حبيبي

انتهت الأسمية سعيدة فرحة ولكنها مازالت على حالها وملأ الخوف قلبها
من المستقبل القادم فى الأفق بينما حاولت الخالة سندس أن تقلل أو تزيل أثر
تلك المحابة ولكنها لم تفلح فى ذلك.

ودعت أسرة هشام وبثينة الحبيب الغالي فى المطار الذي غادره مع لقيف
من الزملاء والأساتذة متجهين إلى عاصمة الفن والجمال روما العاصمة
الإيطالية .. اختفى داخل الطائرة واستعد الجميع للعودة ولكن بثينة ظلت واقفة
وتحركت الطائرة على مدرج المطار ومجرد أن اندفعت تاركة أرض المطار
شعرت أن قلبها سوف ينخلع من بين ضلوعها وانتابها إحساس مرير لم تشعر
به من قبل رغم كثرة ما تحملته من آلام ولكن تلك الآلام كانت قاسية
وشديدة .. جذبوها برفق فلم تمتثل، استخدموا الإقناع والدفع حتى استطاعوا
العودة بها إلى منزل الجدة التى احتضنتها بمجرد العودة وهى باكية فى
حضانها، اقتنع كل من كان فى وداع هشام أن الفتاة أحبت هذا الشاب بجنون
ولا بديل عن هذا الحب سوى الجنون والمرض العقلى.

مضى على سفر هشام أسبوعان قامت خلالها الأم فراق الحبيب وأثناء تلك الفترة العصبية أصيبت الجدة بمرض استلزم نقلها للمستشفى نظرا لاحتياجها إلى تنفس صناعي، لقد فرغ المنزل ولم يتبق سوى بثينة تجتر الأم الوحدة والعذاب والخوف من المجهول الذي ينتظرها، وصل إلى سمعها من راديو المعلم حبشى .. أغنية عبدالوهاب:

يا مسافر وحدك .. وفايتتى
ليه تبعد عنى وتسيبنى
خلينى دايمى
دايمى على بالك

غرقت عيونها الجميلة اللامعة فى دموع الألم والفراق والتوتر الذى أصابها، خلال أيام ابتعد عنها أحب اثنين فى حياتها، تذكرت حديثها مع خالها راضى منذ أكثر من عام.

خالى "بدون تيتة وهشام لا أقدر على الحياة" .. هشام الحبيب والجدة الحنون الحامى لى من افتراس الأهل بالعتبة .. حضرت عائشة إلى منزل العائلة ببولاق بعد أن انتهت من زيارة والدتها فى المستشفى لتطمئن عليها ويكل حنان وحب الأم التى لم تعهده بثينة قبل ذلك تحدثت معها موضحة لها أنها تحبها أكثر من الآخرين جميعا وتسألها هل رأيت أما لا تحب أبناءها؟ أبدا لا يوجد يا حبيبتى الصغيرة كما أنك تلاحظين أن جميع أخوتك لم يغادروا المنزل مثلك .. لقد تركتك حبا فى أمى ولكن يجب أن تعلمى أنه لا مفر من بيتك .. كيف ستعيشين هنا؟ أرجوك فكرى فيما أطلبه منك؛ وإذا لم تشعرى بالراحة فعودى إلى هنا أثناء وجود جدتك .. الآن وضعك غير مريح وبدلا من أن يقولها خالك أو زوجته أقولها أنا أمك حبيبتك.

نهضت بثينة وجمعت كل أغراضها واستعدت بحقيبتها لمرافقة أمها إلى منزلهم بالعبّبة لا تعى أن كان هذا صحيحاً أم خطأ، حضرت خالتها سندس من الخارج بعد أن انتهت من شراء لوازم البيت ودُهِشت لما رأته وأرادت أن تتكلم ولكن شقيقتها الكبرى أشارت لها بالصمت، هكذا غادر العصفور الرقيق منزل الجدة وجلست الخالة تبكى فراق حبيبته ولم تفعلها يوم أن تزوجت شقيقتها الصغرى زينب حيث إن هناك فارقا كبيراً فهي تعلم علم اليقين ما ينتظرها في منزل العبّبة وتدعو الله أن يحميها من أهلها.

استقبلها شقيقتها فاروق بكل الحب والمودة التي لم تعدها فيه من قبل كان قلبها مجروحاً فحاولت تصديق هذا الشعور لتقليل أثر غياب الحبيب وتأثيره السيئ على قلبها ونفسها كما حضرت شقيقتها الكبرى ليلان التي كانت في زيارة للقاهرة مع زوجها كعادتهم سنوياً للهرب من حرارة بلادهم صيفاً.

بعد يومين قضتها بثينة بين ربوع أهلها حاولت خلالها إقناع نفسها بأنهم تغيروا وقد يرجع هذا إلى بعدى عنهم لفترة طويلة؛ جلست ليلان تحدث شقيقتها بكل حب وعطف طالبة منها التفكير في أمر "عدنان" شقيق زوجها الذي فاتحها في أمر زواجه منها، فوجئت بثينة بهذا وأخبرت ليلان قائلة: أنت تعلمين أنني وهشام على علاقة حب منذ فترة طويلة وأنا سوف نتزوج بعد أن ينتهى من دراسته؛ حضرت أمها أثناء الحديث كي تزيد الضغط على ابنتها متمثلة بنفس الشعور السابق الطيب الناعم وقالت لها: أرجوك أن تفهمي شيئاً مهماً، هشام لن يعود قبل عشر سنوات!! دهشت الفتاة لهذا الخبر حيث تتوقع حضوره بعد أربعة أسابيع على أكثر تقدير، إستكملت الأم حديثها، اعلمي بان خالك راضى قرر أن يكمل هشام تعليمه بالخارج ولن يعود مع باقى زملائه هذه هى الحقيقة المؤكدة من فم خالك شخصياً بل وصرح لنا بأنه على بثينة

عدم التفكير فى ابنه حيث إنه لا يفكر بها ويتعامل معها كقريبة فقط، يعطف عليها، هذا ما قاله خالك لنا منذ أسبوع بعد حضوره لزيارة جدتك فى المستشفى بل قال مما هو أكثر .

انهارت الفتاة ولم تستطع أن تظل جالسة فى مقعدها وتحاملت على نفسها ومارت حتى وصلت إلى أقرب سرير فألقت بجسدها المنهار فوقه منخرطة فى بكاء مر أليم؛ أقبلت عليها أمها تحاول تهدئتها قائلة بأن هؤلاء الناس يعتبروننا فقراء ولسنا فى مستواهم وكل هذا بسبب ما نعانيه من فقر حيث يقوم خالك بالإفناق على المنزل لأن مرتب فاروق لا يكفى، أتعلمين أن فاروق طرد هو الآخر من الورشة حيث شتمه وسبّه العاملون هناك بأسوأ عبارات لا يستطيع تحملها ابن عائلة مثل شقيقك، فكرى فيما تقررين ونحن لن نضغط عليك .. تركتها وحيدة بعد أن حطمت أعصابها ودمرت أحلامها .

جفت الدموع فى مقلتيها وتوقف اندفاعها، جلست على سريرها تعيد التفكير فى حديث أمها، ربطت كل هذا بما قاله لها هشام من تأجيل الارتباط بها حتى ينهى تعليمه .. أه يا هشام، أى تعليم؟ لماذا لم تكن صادقاً معى؟ إن الحب لا يؤخذ بالقوة، الحب أحاسيس متبادلة ولو شعرت أنك لا تقبلنى كحبيبة سوف أنهى علاقتى معك، لا حب مع مهانة وذل، إن الحب رفيق الكرامة والكبرياء، لقد فعلتها خالتي سندس رغم كبر سنها واقتربها من الأربعين عاما رفضت الذل والمهانة وطلبت الطلاق .. ياه .. لقد كنت ساذجة إلى أبعد الحدود، يجب أن أفتح عينى وأغير من اتجاه نظراتى، يجب أن أحافظ على مشاعرى واحترامى لنفسى، إن جميع مشاكل أمى نابعة من الفقر حيث لا دخل ولا معاش لوالدى رحمه الله، قد يكون هذا هو السبب الرئيسى فى عدم موافقتها على استكمال تعليمى، إننى أعلم أن شقيقى فاروق غبى ولكن هذا

الغباء خارج عن إرادته فهو لا يستطيع التحصيل أو التفكير المليم ولكنه يعمل عملاً شاقاً ومهيناً بغرض مساعدة أمى والصرف عليها بينما أنا أجرى خلف أوهام هشام، إذأ فلا حب بعد الآن، لقد كانت أكذوبة كبرى عشت فيها سنوات عدة منذ شعرت بأنوثتى.

جلست عائشة مع كل من ابنها فاروق وابنتها ليلان بالصالة الخارجية وكل يستفسر عن مدى نجاح ما قاموا به من خدعة لكى يتم المراد لصاحب النصيب "عدنان مشرف" شقيق زوج ليلان .. أسعدت تلك الخطة فاروق حيث وعده عدنان بإعداد ورشة خراطة على أحسن نظام يستطيع أن يحضر فيها من سبق وضايقوه كعمال عنده وأن ينافس صاحب الورشة التى كان يعمل بها محققاً دخلاً كبيراً يمكنه من الزواج من الفتاة التى يحبها والتى تعمل بائعة بإحدى محلات العتبة التجارية .. الكل اجتمع على ضحية واحدة وكل له هدف يسعى خلفه لكن المجنى عليه شخص واحد .. المسكينة بثينة.

جاءت تجالسهم وأفسحوا لها مكاناً بينهم وهم يوالونها بالقبلات والأحضان معلنين أمامها بأمنياتهم بالعيش الهنيء مع هشام بعد انتهاء دراسته بالخارج!! نظرت إليهم وحادثتهم بضيق: كيف أنتظر فى منزلى حتى يتعطف ويحن على هشام ويتقدم لى، إننى أرفضه كما رفضنى؛ عارضتها أمها قائلة: إنه لم يرفضك، إنه طيب ومثل العجينة اللينة فى يد خالك راضى .. أشاحت بيدها: لا أريد أن أسمع هذا الاسم بعد اليوم .. نظرت إلى شقيقها فاروق تحدثه ودموعها تسبق كلماتها .. فاروق .. لاحظت منذ حضورى أنك لا تعمل .. أصبح ما فعله بك هؤلاء الأندال فى الورشة؟ .. أجهدش فاروق بالبكاء وأمه وشقيقته ليلان تحاولان تهدئته، يتحدث باكيا: لو لم تكن أمى ما كان هذا يؤثر فى شخصى لكن ليس من المعقول وفى هذا العمر أتركها تقاسى الألم والذل

بالعدو خلف خالك راضى طالبة منه المساعدة وفى كل مرة يصرخ فى وجهها وزوجته تتقنه بدفع أى شىء كزكاه عن أولادهما .. تصورى أمك ابنة الشيخ حسن تصبح منتظرة الزكاة من من؟ من شقيقها الأصغر .. بكت بثينة على هذا الحال وقالت لهم من باكر سوف أبحث عن عمل لكن أمها أخبرتها أن هذا صعب وعائده المادى سيكون قليلاً، إذا كنتِ تريدين مساعدة أمك فى أواخر أيامها فاقبلي الزواج من عدنان فهو من عائلة نعرفها من عدة سنوات وهم على أخلاق طيبة .. أجابتها:

لكن يا أمى المشكلة لن تحل ؛ تجيبها:

سوف تحل .. لأنه عرض على فاروق أن يصبحا شريكين فى ورشة يعدها عدنان ويديرها فاروق والمكسب بينهما مناصفة .. لقد أخبر ليلان بأنه فى حالة ارتباطه بك سيجعل تلك الورشة هى مهرك .. وبهذا تقدمين عملاً لا ينسأه أحد لعائلتك حيث سنعيش فى حياة سهلة بعيداً عن زكاة خالك ويستطيع فاروق أن يتزوج وينجب لنا أبناء يحملون اسم أبيك المرحوم عبد الحميد". (يترحمون عليه) وسط دهشة الفتاة التى لم تشاهد أمها ولا أخاها يحترمونه وهو حى يريزقُ تتمم سبحان مغير الأحوال، لقد كبر فاروق وأصبح عاقلاً.

أصبحت بثينة معدة للزواج ولا اعتراض لديها، حضر عدنان فى اليوم التالى بالهدايا التى أطارت عقل وقلب أمها وشقيقها ولم يكن هناك أى اعتراض إلا من شقيقتها سحر التى كانت تعلم كل أحوال هذا العريس التلغان فى رأيها لما علمته من أخبار من زوج صديقتها المصرى الذى يعمل فى بلدهم ويعلم كل أخباره الماجنة وانحرافات السلوكية ولكنها صممت ولم تظهر معارضتها معللة فى نفسها: عدنان أرحم من أمى وأخى .. هكذا بيعت بثينة فى سوق النخاسة بأيدى عائلتها والذين هم وراء كل مصيبة حدثت لها.

دارت الأحداث بسرعة وخرج كل من عدنان وفاروق يشاهدان أحد المحلات الكبيرة كي تعد لتصبح ورشة خراطة قبل أن يرسل بأمواله وخاطب فاروق أمام بيثينة قائلاً:

. "يا أخی بالله عليك تكون ماهر فى عملك وما تسوي غير الشغل الصبح لأنه بصراحة هذا مهر الملیحة أختك .. جازاك الله كل خير" هكذا أخبر فاروق بأن تلك الأموال خاصة ببيثينة.

تم عقد القران دون إعلام أحد من عائلتي الأم أو الأب .. أوضحت عائشة لابنتها بأن هذا لمصلحتها حيث سيحضر خالك راضى وبيققش عليك أمام زوجك وهذه إهانة، سألت أمها هل يمكن زيارة الجدة قبل السفر؟ أوضحت لها أن هذا من غير اللائق وهى على سرير المرض لكن عدنان وعدنى بالحضور بعد عدة أشهر لقضاء إجازة رأس العنة ووقتها تكون الجدة فى صحة أفضل وتحضرى لها هدية قيمة يراها خالك راضى ليعلم بعد ذلك أنه لم ينل منا ولم يستطع أن ينلنا، نهض فاروق مقبلاً رأس شقيقته وشكرها بأن وقفت معه ومع أمه حتى يعيشا حياة هائلة.

أثناء الليل هاجمها الأرق والفكر، كيف ستصبح لرجل آخر غير هشام؟ كيف ستعيش مع شخص آخر وكيف ستصبح زوجة له ويراها كما يرى أى زوج زوجته فى حجرة نومهما؟ إنه موقف عصيب لأى فتاة تتزوج دون رغبة أو حب؛ إذا ضاع هشام فليكن لكن لن أكون لغيره قبل أن أعد نفسى لهذا سنوات طويلة من عمرى وأنا مهيأة لأن أكون له، يا لها من ورقة غيبة، هذه الورقة التى تسمى قسيمة زواج تبيح للرجل أن يحصل على كل شىء من الفتاة التى يرغبها ويريدها وبدون تلك الورقة لا يستطيع الأحبة أن يحصلوا أو يمنحوا الطرف الآخر عواطفهم وأحاسيسهم وأجسادهم، يا له من قانون صعب مازال

يفكرنى بالجوارى والحريم فى عهد السلاطين، لقد أصبحت مثلهم، عدنان يريدنى وأنا لا أريده لكن يجب أن أكون قوية ولا أقبل أن أكون ضعيفة وأنتظر هشام عشر سنوات أخرى ثم أراه قادما متشابك الأيدي مع فتاة أجنبية ليخبرنا بأنها زوجته .. إن كل الرجال سواء فى غرفة النوم لكن القلب مازال معلقا بهذا الوغد الكاذب هشام. آه .. إنه الحب.

حل اليوم الموعود وأصبحت بثينة كمن ينتظر النطق بالحكم فى قضية حكم فيها مسبقا بالإعدام وهذه آخر درجة، أى النقض ويعدّها إما يكتب لها النجاة أو تكون من الهالكين .. متسافر اليوم إلى بلد آخر بعيد عن بلدها وأهلها لتعيش مع رجل آخر لا تعرفه ولم ترتبط معه بكلمة رقيقة أبداً إنه شقيق زوج أختها وهى لا تشعر نحوه بأى عاطفة وليس هذا بسبب هشام، لكنه القبول الذى هو من عند الله فهى تشعر براحة نفسية عندما تحدث وديع أو حبشى أو جرسون الكازينو أو الرئيس حسونة المراكبى، لكن هذا الشخص لا تشعر براحة نفسية نحوه .. آه .. ماذا فعلتِ بنفسك يا بثينة؟ أيسبب أن هشام مخادع ألقى بنفسى إلى التهلكة؟ لا لا ليس هو السبب، إنه سبب سام ومقدس بأن أحقق لأمى وأخى مستوى حياة أفضل بعيداً عن أموال الزكاة التى يدفعها خالى راضى كأننا من البؤساء.

ألا يستحق هذا التضحية؟ ألا يضحى الشباب بأرواحهم فى سبيل الوطن للدفاع عنه؟ وعن أناس لا يعرفونهم .. فما بالى أنا الأخرى، سوف أضحى لأقرب الناس إلىّ خاصة أمى .. يجب أن أطرد تلك المخاوف من عقلى الذى فسد بحب هذا الطفل المدلل هشام .. لقد قالتها خالتى زينب .. لو تزوجتِ هشام فسوف تتزوجين "عيل".

جلست فى الطائرة بجوار زوجها عدنان ومجرد أن اقلعت الطائرة شعرت

بنفس الشعور يوم سفر هشام وأنها لن تشاهد بلدها مرة ثانية، غمرها حزن
دفين وألم اعتصر قلبها متمنية أن يحدث عطل في الطائرة وتعود ثانية إلى
المطار وسوف تصرخ طالبة عدم إتمام هذا الزواج وستظل عانساً لا رغبة لها
في زواج أو غير ذلك؛ لكن رغبتها لم تتحقق وشعرت أنها شبه مشلولة وأن
نصف جسدها الأسفل لا يتحرك ومخدر وخشت أن يكون قد أصابها شيء
مثل هذا وشعرت بدوار وصعوبة في التنفس وأن عرقاً غزيراً يغطي جسدها
أسفل فستأنها وجف حلقها وضاعت ذاكرتها وتبهرت على صوت المضيئة
تعرض عليها أنواع المشروبات، طلبت منها كوباً من المياه فأعطتها إياه
وشربت الكوب دفعة واحدة وطلبت كوباً آخر فأعطتها المضيئة وهي تنتظر
لك تلك العروس الرقيقة وهي تشرب المياه مثل العمال في الطرقات، مال عدنان
علي أذنها متسائلاً إن كانت تناولت طعاماً به فلفل أو شطة أو ما شابه ذلك
ولكنها هزت رأسها نافية ذلك، أمسك يدها برفق ولكنها تبهت وجذبها كأنها
تخشى ثعباناً، دهش الشاب لهذا التصرف حيث كان يمني نفسه بقضاء ليلة لا
يضاهيها فيه أى إنسان مع تلك العروس الجميلة التي تمنى الزواج منها منذ
فترة وظل أعزب لهذا السبب حتى جاءت الفرصة المناسبة.

عادت بثينة بذاكرتها: لقد قالتها شقيقتي سحر .. لا تجاملي ليلان على
حساب مصلحتك .. لا تضحي من أجل فاروق فهو فاشل ولن ينجح أبداً
وسيظل يلزمه الفشل دائماً، لقد انتهت الحلم الجميل إلى الأبد .. راح هشام
وتيتة وخالاتي وحى بولاق .. لقد كنت أحلم بحلم جميل ليلة زواجي وأفقت من
الحلم على واقع مؤلم بأنى متزوجة وسيحصل هذا الرجل على كل شيء
باستثناء قلبي وعقلي المرتبطان بهشام وقد يقول أحدهم إن هذه خيانة ولكنه
كان الأسبق وهو الذى استطاع أن يميل قلبي وعقلي إليه وهذا من نعم الله
على أى إنسان.

وصل الزوجان إلى منزلهما وأعد عدنان العدة لكى ينفرد بعروسة ويمتّع نفسه بها فهى حلاله وله أن يتمتّع بها كما أمره الشرع بذلك وهى الأخرى أعدت نفسها بأن هناك رجلاً غريباً سوف يفعل بها ما لم يفعله الحبيب وقد اشتراها هذا الرجل من أسرتها نظير ورقة وقّعها شيخ مثل الشيخ حسنى، بهذا أصبحت حلالاً له، بهذه الورقة التى لا تساوى ورقة قرطاس الترمس .. ياه على هذا القانون الإنسانى .. بتلك الورقة أكون له وأمتنع عن الحبيب بعد أن عشنا معاً قصة حب شهد بها الأهل والجيران؛ إنه قانون أعمى، ولماذا القانون أعمى؟ أنا الأخرى عمياء، لماذا ارتضيت هذا على نفسى؟ كيف سيتعري جسدى ويضيع حياتى أمام هذا الرجل؟ لم أفعلها مع من أحببته أوعاماً وأشهرأ لكن تلك الورقة هى السبب.

تنهت إلى أن عدنان يحاول مساعدتها فى التخلص من ملابسها وقد انتهى من خلع كل ملابسها باستثناء قطعة واحدة، تجمدت الدماء فى عروقها وأصابها ذعر ورعشة مثل نزلة البرد أو الحمى التى تصيب الإنسان اضطربت مبتعدة والرجل غير مصدق ما تفعله، إنه جاهز ومستعد .. نظر إليها بضيق قائلاً:

."خلصى نفسك من هدمك والحقينى فى السرير باين عليها ليله متعبه".

توجهت إلى الحمام ووقفت أمام المرأة وشاهدت صورة هشام أمامها يطلب منها بإشارة من رأسه بالآلا تفعل وقد غلفه الألم والحزن، تماسكت تحدثت نفسها: ماذا يفعل المحكوم عليهم بالموت؟ إنهم يسيرون إلى المشنقة مرغمين وماذا سيفعل بى عدنان؟ سوف يفعل ما يفعله أى زوج بزوجته .. إنها حياة سواء رضينا بها أو كرهناها .. وإذا أردنا أن نتخلص منها يصبح الإنسان كافرأ سوف أعطيه جسدى.

بكل قوة وثقة أبدلت ملابسها بملابس النوم التى أحضرتها معها من القاهرة ..
شاهدت جسدها ومفاتها الجميلة، هذا كل ما تمتلكه وتراه يومياً؛ دمت عيناها
سوف تسلم كل هذا إلى الرجل الذى لم تحبه فى يوم من الأيام ولم تشعر
جهته بأى مودة .. اهتزت وترنحت وكاد أن يصيبها الإغماء ولكنها تمالكته
وقبضت بشدة على حوض الحمام حتى تستعيد وعيها وتتبهت إلى أن تمنعها
عنه قد يفسره تفسيراً خاطئاً خاصة أن البعض من أبناء الدول العربية يعتقدون
أن النساء فى مصر ليس لهن ضابط ولا رابط بسبب رقيهن وحضارتهم
المتقدمة عليهم وقريهن من الأوروبيين أو بسبب تمتعهن بحس عال فى الذوق
والمعاملة وهو ما يفسره الآخرون ضدهن، قد يعتقد عدنان بأن لى علاقة مع
أحد الشباب وأنى لست عذراء ويقيم الدنيا ويقعدها ويفضحني بين الأهل
والمعارف ولن أستطيع ساعتها أن أقول الحقيقة بأن قلبى مع شخص آخر لأن
كل هذا سيصبح ضدى وليس فى مصلحتى.

استجمعت قواها وسارت إلى مقصلة الزوج وهى تدعو الله .. "يارب اللهم
إنى لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه" .. دخلت عليه ومازال راقداً
فى السرير فى انتظار أشهى ما يريد .. ألم تكن تلك بثينة التى شاهدها منذ
أربعة أعوام فى فرح شقيقتها سحر ويهره جمالها وأنوئتها وتمنى أن ينعم الله
عليه بها كزوجة .. هاهى أمامه وفى حجرة النوم وماهى إلا دقائق وينال بُغيته
ومناه .. فرك يديه كأنه يستعد لمعركة ومد يده إليها ولم تعطها له فجذبها عنوة
إلى جواره، استلقت غامضة العينين وتوترت ثانية وشعرت بأن شيئاً شديداً
أطبق على أنفاسها وقد توقفت أعضاؤها عن الحركة وشعرت أن دماءها جفت
وشملتها البرودة والقشعريرة وسمعت أصواتا وشاهدت خيالاً وجسدها يتحرك
ويهتز ولكنها لم تكن تشعر بأى شىء ولم تفهم أى كلمة، انقطعت عن الدنيا

وأصابها ما يصيب الإنسان الذى يستعد لعملية جراحية بعد أخذ حقنة المخدر ويطلب منه العد حتى رقم عشرة فيحاول العد ولكن لسانه لا يطاوعه ويشاهدهم يمسون بالمشروط وهو لا يستطيع أن يستغيث، لقد انتهى كل شيء شعرت بأشمئزاز وظلت على حالها، بدأت تتبين بعض التصرفات والأصوات وسمعتة يصرخ فى وجهها ثم وقف مبتعداً عن السرير ومازال صارخا ولكن ما تأكدت منه أنه بصق عليها وسبها بكلام لا تعيه وترك الحجرة مغادرا.

مازالت نائمة مستلقية على ظهرها وعيونها معلقة بسقف الحجرة ومازال المخدر الميئى مؤثراً عليها لا تستطيع الحركة، لا تعلم كم من الوقت مضى لكنها شاهدت الخادمة الأسيوية تحضر إليها محاولة مساعدتها فى النهوض سارت بصحبتها إلى الحمام، بعد أن أنهت الخادمة حمام بثينة عادت بها إلى الحجرة وغابت قليلاً مُعدة طعاما لها وبعض المشروبات المتلجة .. نظرت إلى كل هذا وكادت أن تتقيأ .. أهملت الطعام وفردت جسدها ثانية على السرير وانتابتها حالة من التشنج والتوتر رغبة فى البكاء ولكنها لم تستطع بينما أذنها تلتقط ضحكات نسائية ماجنة يتخللها صوت رجل فهمت من حديث الرجل الذى تبين أنه زوجها عدنان بأنه يتحدث بألفاظ بذيئة وجنسية رخيصة والخادمة تكرر خلفه ما يقول من كلمات؛ علمت أن هناك علاقة ما مع تلك الخادمة ولم يكن هذا يضايقها أو يؤثر فيها .. ثقلت جفونها وراحت فى نوم عميق من هذا اليوم الطويل المرير المحزن التى لن تتساه أبدا الدهر .. لقد بيعت بثينة فى سوق النخاسة .. ولم يكن الثمن دنائير ذهب ولكنه كان ورقة .. ورقة سلب المرأة حريتها وعذريتها عنوة دون رغبة أو اقتناع.

انتابتها حالات من الفزع ونهضت من نومها تصرخ فأسرع إليها عدنان حيث كان يشاهد التليفزيون وأقبل مضطرباً يسألها، ما بالك؟ دفعته بيده بعيداً

مرددة ، لماذا تدخل على حجرتي؟ أغرب عن وجهي، لقد تناست أنه زوجها وتناست مأساة الأمس .. حاول تهدئتها لكنه فشل فأرسل خادمتها لكنها طردتها هي الأخرى ، بعد مضي فترة أفاقت على حقيقة أنها تزوجت، وأن هذا الرجل زوجها وتلك هي الخادمة.

سكنت وهدأت ثم توجهت إلى الحمام لتتوضأ وعادت لتصلي دون أن تعلم أين اتجاه القبلة، كان كل ما يهمها أن تقف بين يدي الله تستغيث به طالبة منه العون والفرج لهذه الكربة وهي بعيدة عن الأهل والوطن، قالت تتاجي ربها: يارب .. يا من تقول لعبادك "إني مجيب دعوة الداع إذا دعان" إنني أدعوك وأطلب منك المغفرة والرحمة وأن ترفع مقّتك وغضبك عني .. أنا أشعر بأنني لم أخطئ .. وإذا أخطأت فأنت غافر الذنوب جميعا إلا أن يُشرك بك .. وأنا لم أشرك بك وأتوسل إليك أن تغفر ذنباً اقترفته أو معصية وقعت فيها وأن تنير لي طريقى وأنى لا أقبل هذا الرجل ولا أريده زوجا .. سامحنى وأنت تعلم أن وراء كل هذا أمى وأخى وأختى ... هم الذين أدخلوا الغواية والشيطان إلى علقى ومسحوا لفترة مقدرتى العقلية عما علق به قلبى حباً ورضاً وأن يكون زوجا لى .. إننى لا أعلم ما تعلمه؛ فأنت علام الغيوب والقادر على كل شيء .. اللهم ساعدنى وخذ بيدى ويسر لى أمرى وأحلل العقدة من لسانى وضعنى فى زمرة التائبين .. آمين يارب العالمين.

سجدت ولم تقم من سجدها ونامت على هذا الوضع حتى ضحى اليوم التالى عندما دخلت عليها الخادمة تتبئها بالطعام وشاهدتها على هذا الوضع خافت خصوصا أنها وجدت طعام الأمس لم يمس.

انتاب عدنان الكثير من الأفكار السوداء، هل زوجته على علاقة حب بشخص آخر؟ بدأت الوسواس تهاجمه نظراً لأنه من أصحاب المغامرات

النسائية الكثيرة واعتقد أن زوجته خائته مثل ما كان يفعل مع بعض السيدات المتزوجات اللاتي عرفهن وتمتع بهن، هل تكرهه زوجته؟ هل هي مريضة بمرض عقلى ولم يخبره أحد من أهلها ولا حتى شقيقه؟ ماذا أفعل فى تلك الورطة؟ إنها زجة سيئة بكل المعانى.

قرر أن يتصل بشقيقتها التى سافرت معهم على نفس رحلة الطائرة القادمة من مصر، طمأنته على أن كل ما يفكر فيه هو اجس وظنون وليس لها من أساس وطلبت منه الابتعاد عنها فترة حتى تتعود على العشرة معه.

رضخ عدنان لنصيحة ليلان وابتعد عنها فترة وكان يعلم أخبارها من الخادمة التى أخبرته بأنها لم تتذوق طعاما منذ حضرت من مصر وهذا معناه أنها مُضربة عن الطعام .. طلب منها أن تحاول إقناعها بتناول الطعام .. فعلت الخادمة لكنها لم تجبها ولم تأكل فاضطرت إلى إطعامها مثل الأطفال أى يبيدها فتأكل قليلاً، هكذا نجحت الخادمة فى جزء من مهمتها وبدونها لا تتناول أى طعام.

مضى أسبوعان على هذا الحال خلال تلك الفترة ساءت حالتها الصحية حيث مال جسدها إلى النحافة وأصفر بياض وجهها وهزل قوامها وعندما تتجه إلى الحمام تسير بثقل وتكاسل، اتصل عدنان بشقيقتها مرة أخرى فحضرت بصحبة زوجها وشاهدت ما حدث لشقيقتها وهالها كل هذا، حاولت إقناعها بأنها تزوجت وعليها نسيان هشام أو غيره وإنما الملومة والمخطئة فى ذلك فلم يضررك أحد على يدك حتى تفعلى هذا التصرف.

شعرت بثينة أن حديث ليلان اختلف عنه فى مصر فترة الإقناع بالزواج .. فهى تخبرنى الآن بأننى الملومة والمخطئة ويجب على الاستسلام للواقع .. شعرت بثينة بلهيب فى جسدها عندما تذكرت هذا القول، هذا معناه أن تبقى

إلى النهاية على هذا الوضع .. لا لا لن يحدث .. جلست على سريرها نصف
جلسة فشاهدت راديو بجوارها فأدارته وتنامى إلى سَمْعها صوت المذيعة
المصرية تراجى عباس من إذاعة صوت العرب وهى تُقدم برنامج ألف سلام
وبه بعض الأغاني .. طارت بروحها وقلبها وعقلها تاركة جسمها المنهار ..
طارت بكل هذا إلى مصر أرض الحبيب والأحبة، قدمت المذيعة أغنية
للمطربة الشهيرة هدى سلطان " لامونى "

لامونى وارتضيت باللوم ويعيونى اشتھيت النوم

ولامونى

لامونى لانشغال بالى وأنا محتار .. محتار

أجهشت بالبكاء .. فقد شرحت الأغنية كل شيء كأنما المؤلف والمطرب
والملحن قد سمعوا شكواها وعاشوا مأساتها وما حدث لها .. إنها الحقيقة
وليس بخيال .. قررت أن ترسل بتلك الأغنية لحبيبها هشام عن طريق خالها
الذى بدوره يرسله على عنوان دراسته بالخارج .. تراجعته وبأنها على ذمة رجل
آخر ويجب ألا تفعل مثل هذا الفعل، إنها تريد أن تحادثه بأي طريقة وقد تفتق
ذهنها فى تلك الظروف العصبية على أن تفتق شقيقتها ليلان بذلك.

حضرت ليلان بعد أسبوع وشاهدت بثينة أكثر سوءا مما كانت عليه وأن
حالتها الصحية فى تدهور وأن شقيق زوجها ساخط عليها وعلى هذا الزواج
وشعر أنه قد غرر به! طلبت بثينة من شقيقتها أن تبلغ هشام بأن يستمع
لأغنية لامونى حيث سيعلم الحقيقة التى تعيش فيها، وافقتها شقيقتها على ذلك
حيث أخبرتها بأن هشام عاد أمس من الخارج ونست كذبتها هى وأمها وشقيقتها
عندما شعرت بأنها قالت الحقيقة أرادت أن تعدل فيها وعلت عودته بأن هشام

عاد إلى مصر ورفض الدراسة بالخارج، ظهر المستور وأن الكذب ليس له رجلين ولكن له ضحايا من المحبين الصغار والضعفاء والمعذبين والفقراء هؤلاء هم ضحاياه وكانت بثينة أحدهم.

بعد هذا اللقاء ومعرفة بثينة بالحقيقة راحت في غيبوبة لم تُفلح معها كل ما قام به الأطباء في المنزل لعلاجها فقرروا نقلها إلى المستشفى؛ استمرت على هذا الحال أكثر من ستة أشهر زادت حالتها سوءاً وتقارير الأطباء تشخص الحالة على أنه "القهر النفسى الشديد" ورفض الجسد للحياة مثل المصاب عن طعامه رغم أنهم يستخدمون التغذية عن طريق الفم لكن باقى الأجهزة أصابها التوقف البطيء واستخدموا التنفس الصناعى ونقل الدم ومحلول الجلوكوز.

ازدادت الحالة سوءاً وأصبحت ليلان في حالة نفسية سيئة خشية على شقيقتها خصوصا إنها المتسبية في ذلك واعترفت بذلك أمام زوجها الذى أدهشه ما حدث ولازمه الغضب من زوجته بأن تدلس في زواج وهذا مخالفة للدين والقانون وهى تعلم أن شقيقتها كارهة لهذا الزواج وأنها تعشق هشام ابن خالها، توترت العلاقة بين الاثنين وقال لها لن أسامحك لو حدث لها أى مكروه.

اجتمع عبدالله بشقيقه الأصغر لحل مشكلة زوجته سائلاً إياه كيف التصرف حيال هذا الموقف؟ ارتبك عدنان وهو لا يعلم كيف التصرف حيث تدهورت حالتها الصحية ولم يطرأ أى تحسن عليها بل أن أحد أطباء المستشفى نصحه بأن ينقلها للمنزل توفيراً للنفقات لأن حالتها ميؤوس منها وأنها عدة أيام وتلقى ربه .. انزعج عبدالله من تلك الأخبار وطلب من شقيقه بأن يرسل بها إلى مصر لتموت بين أهلها، تضايق عدنان سائلاً شقيقه بأنها

كلفته الكثير ثم بعد ذلك أتكلف ثمن تذكرة سفرها ومرافق لها، نظر إليه شقيقه قائلاً: هذا أوفر من أن ترسلها بصندوق إلى أهلها بعد وفاتها، اقتنع برأي شقيقه الأكبر حيث شعر أنه تحمل عبئاً لا طائل من ورائه ووافق على سفرها برفقة شقيقتها، اكتشف عبد الله أن شقيقه طلقها قبل سفرها طلاقاً بائناً لا رجعة فيه.

ماذا حدث لكل من الجدة وهشام؟

إن ما قامت به عائشة تجاه ابنتها بثينة سواء فى الإعداد أو التنفيذ أو التوقيت يعتبر من أبرح ما تخططه العقلية الشريرة .. لقد انتهزت فرصة سفر هشام ودخول أمها المستشفى ووجود عدنان بالقاهرة ورغبة ليلان ابنتها فى توطيد علاقتها بزوجها بعد الفتور الذى حدث أخيراً لعدم إنجابها للبنين حيث إنجابها توقف على الإناث، كل هذا جمعه الأم فى خطة جهنمية نفتتها بعناية ساعداً فيها ابنتها فاروق الذى كان فى احتياج عون عدنان لإقامة مشروع خاص به بعد فشله فى عمله وطرده منه بعد أن أهانه صاحب العمل على غيابته وكسله.

وقفت الظروف ضد بثينة وانطلت عليها أكذوبة أن هشام لا يريد لها وأن والده أرسله ليكمل تعليمه بالخارج، هكذا قدمت الضحية على مذبح الأناثية والكذب والكره والمنافع الشخصية وخسرت آلهة الحب اثنتين من العاشقين المخلصين، فاز الشيطان على الملاك فى تلك الجولة من الجولات الكثيرة التى تتم بينهما، هذا يريد الإفساد وذاك يريد الإنقاذ ولكل أسلوبه وكل إنسان أو ضحية تختلف درجة مقاومته عن الآخر.

بعد مضى ثلاثة أسابيع على سفر بثينة مع زوجها غادرت الجدة فردوس المستشفى التى كانت تعالج به وقد برئت من مرضها، استفسرت عن أخبار هشام ومتى يعود من سفره من الخارج وشعرت بسعادة عندما أخبروها بأن موعد عودته قد اقترب كما أسعدها حديث ابنتها سننس بأن هشام لم يبق أمامه سوى عامين ويتخرج فى الجامعة، هتفت الجدة بأنها تتوى أن تقيم احتفالاً كبيراً إذا أعطاه الله الصحة وطول العمر لكى تحقق هذا الهدف.

استفسرت عن بثينة وأنها لم تشاهدها حتى أثناء وجودها بالمستشفى وأخبرتها ابنتها بأنها لم تستطع أن تراكِ وأنتِ مريضة، نظرت الجدة نظرة سعيدة لشعور الحفيدة نحوها ولكنها تنبّهت وتساءلت: أصبح لك هذا؟ أخبرتها سندس بأن هذا نقلاً عن شقيقتي عائشة، أمأحت الأم بيدها رافضة كل ماياتى من جهة ابنتها قائلة:

.رنا يُسئرها مع بثينة وعايزة منك تبعى مرمال يطلبها ترجع هنا تعيش معايا تانى، من غيرها وغير هشام مباكونشى مبسوطه وفى غاية النكد والضيق وعدتها سندس بتنفيذ طلبها.

فى مساء اليوم التالى دق جرس الباب فأسرعت سندس تفتحه لتشاهد من القادم بينما استعدت الجدة لتلتقى بحفيدتها التى تدخل السرور والبهجة على قلبها لكن القادم كانت عائشة التى قدمت للاستفسار عن صحة والدتها، كل هذا سمعته الأم وهى مازالت بسريرها معتقدة أن عائشة جاءت بنفسها لتحضر لها حفيدتها التى تعلم علم اليقين مدى حباها لها وتعلقها بها.

ألقت عائشة تحيتها على أمها التى تنتظر حفيدتها والتى اعتقدت بأن بثينة تتحدث مع خالتها بالصالة ولكنها لم تسمع لها صوتاً، توترت قليلاً وسيطرت على اعصابها لأنها تعلم علم اليقين أن عائشة ما جاءت للاستفسار عن صحتها ولكنها جاءت لتخبر أمها بشيء يُعكر عليها صفو حياتها تحدثت عائشة:

. والله يا نينة كانت بثينة نفسها تسلّم عليكِ قبل ما تسافر؛ نظرت إليها أمها بغرض أن تعيد ما قالته لأنها لم تستوعب كلامها السابق:

. أى سفر يا عيشة؟

. أصلها سافرت مع جوزها إلى بلدهم، ماهو جوزها يبقى أخو جوز ليلان

تستوضح الأم من ابنتها سندس عن الحديث قائلة:
- وضحي ليا اللي بتقوله أختك المجنونة، يعنى أفهم من كلامك أن بثينة
أجوزت؟

. آه يانينة .. تسألها ثانية

. يعنى أجوزت واحد غير هشام؟

. آه يا نينة

نظرت إلى سندس التى كان واضحاً على وجهها كل معالم الحزن والضيق لما
حدثت والتى أكدت نظراتها لأمها صحة ما تقوله عائشة، بصوت مرتفع
صرخت بها:

- امشى يا مجرمه .. غورى بره من بيتى .. الله ينتقم منك يا عيشة ويورينى
فيك يوم زى ما عملتى فى بنتك .. سكنت الأم فترة تستجمع كل طاقتها وقالت
لابنتها سندس وهى تلهث .. عايزاك تطلبى من كل أخواتك عدا المجرمة
عيشة أنهم يجوا بسرعة .. عايزه أشوفهم .. أنا شاعره أن النهار مش حيطلع
على .. ساعدينى أنام وغطينى.

نظرت سندس إلى أمها وهى نائمة تتنفس بصعوبة وهى فى حيرة من
كلامها .. "لن يطلع على النهار" .. أسرعت إلى زوجة شقيقها تطلب منها
الاتصال بشقيقها زينب ثم توجهت إلى المنترال لتتصل بشقيقها راضى فى
طنطا طالبة منه أن يبلغ أشقاءه فى بلدتهم الجميزة بما قالته الأم، عادت إلى
الشقة وغلبها اليأس والقنوط وهى تعلم مدى حب أبنائها إلى أمهم ومدى
أهميتها لهم ومعهم بأن ينادونها بـ "كلمة يانينة".

حضر الأخوة على عجل سواء من طنطا أو البلدة أو من القاهرة ولم
يتخلف أحد منهم، قبلوا يد أمهم التى شعرت بالسعادة وغمرها إحساس بمدى

أهميتها لدى أبنائها فقد تركوا منازلهم وأسرتهم وأعمالهم مُلبين دعوتها لتراهم وهم يجلسون حولها.

قالت لهم:

ما أسعدنى أن ألقى كل تلك الحفاوة والحب .. داخلهم شعور بأنها كانت فى أوج نضارتها التى لم يعهدها منذ عدة سنوات، تجاذبت معهم أطراف الحديث ثم أوجزت فيما أخبرتها به ابنتها صباح اليوم من زواج بثينة، نزل هذا الخبر المفاجئ صعبا عليهم خاصة راضى الذى يعلم مدى تعلق ابنه بها وشقيقته زينب التى تربي الحبيب على يديها وأصبح الشغل الشاغل للجميع ماذا نفعل مع هشام؟ بثينة تزوجت هذه رغبتها ولكن هشام الضحية وقد انفردت بثينة بقرارها دون مشورته فهذا أمر يخصهما معا.

قالت الأم لأبنائها فى صورة رجاء ونداء واستغاثة .. سأطلب منكم طلبى الأخير قبل أن أقابل ربي .. اعملوا كل ما تستطيعون عمله لتخليص بثينة من هذا الرجل الذى تزوجته غصباً لأنه زواج فاسد، أعيدوها غصباً وأنا أعلم ما تفعله عائشه ثم بعد ذلك تتزوج من هشام، نظرت إلى ابنها راضى الذى كان يصادق على كلامها.

. بكده أكون مبسوطة وسعيدة وعرفوا بثينة أنى باحبها كثير.

عادت بظهرها تستند على المخدة التى كانت بظهر السرير ثم نظرت لهم جميعا مبتسمة وأبناؤها اشد سعادة أن أهمهم اليوم على أحسن ما يكون استلقت مائلة بهذا الوضع والابتسامه تملو وجهها وأغمضت عينيها فغادروا الحجرة حتى تحصل على قسط من الراحة، أثناء ذلك شاهدت سندس أن يديها سقطت بجوارها ومال رأسها بأحد الأجناب، صرخت ونامت على صدرها: "ثينة" ولكنها لم تجب، تأكدوا أنها لاقت ربيها، قامت النساء بواجب البكاء وقام الرجال

بالاتصالات لعمل اللازم فى مثل تلك الأحوال، هكذا قابلت الجدة ربهـا وهى
لآخر لحظة تدافع عن الحق وتتبعـد الظلم عن الضعيف وتساعد المحبين.
تحمل راضى وشقيقتاه الأصغر العباء الأكبر فيما حدث، ها نحن أمام
ثانى ضحية بعد بثينة لخداع وآلاعب عائشة، والآن جاء الدور على هشام
صمم راضى على أن يسلك كل الطرق الهادئة لعلاج هذا الموقف العصيب
الذى تعرضوا له.

نهاية الأسبوع السادس انتهت المنحة الدراسية وعاد الوفد الطلابى برقعة
الأساتذة ولم يرسل هشام برقية إلى أهله حيث رغب فى مفاجأتهم، لقد ازداد
شوقاً وحباً ولهفة إلى بثينة، لم يفارقها مثل تلك الفترة منذ ثلاثة أعوام بعد
التحاقه بالجامعة، شعر بقيمة حبها ومدى تأثيرها عليه أثناء عودته بالطائرة
سمع أغنية عبدالحليم حافظ التى كان يغلب عليها الطابع الرومانسى:

اسبقنى يا قلبى اسبقنى ع الجنة الحلوـة اسبقنى
اسبقنى وقول لحيبى انا جاى على طول يا حيبى
اسبقنى قوام اسبقنى

وصل هشام إلى مطار القاهرة وشعر أن نسيم وعبير بثينة قد استقبله
بمجرد وصوله أرض المطار وبدا واضحاً السعادة فى عينيه وفكر فيما سيكون
عليه لقاءه بها وقرر أن يعبر لها عن شعوره بطريقة عملية .. سوف ينتهز أى
فرصة بعيداً عن عيون الجدة والعمة ويحتضنها لكى يشعر بنبضات قلبها على
قلبه وتمادى فى تفكيره السعيد بلقاء الحبيبة، سوف يقدم لها هديته التى
احضرها من إيطاليا، خاتم ثمين رقيق استطاع أن يدخر ثمنه طوال الأعوام
السابقة كما أبتاع لها بعض الملابس التى تحبها وتعشقها من جيبات حديثة

وبلوزات ذات ألوان شابة تذكر الإنسان بالسعادة والحياة، استرجع فكره متسائلاً: ماذا فعلت بثينة طوال الأسابيع الستة التي قضتها بعيداً عنها؟ ابتسم مؤكداً لنفسه أنها لم تكن تنام الليل من السُّهد الذي لازمها بعد الفراق مثل ما حدث معه، تنهد قائلاً:

أه على الحب؛ نعمة أمد بها الله الإنسان كي يتغلب على كل صعاب الحياة .. إنها دماء شابة تتدفق لتدفع الإنسان إلى الأمام .. إن حبها لي يدفعني إلى المزيد في الدراسة وتحقيق درجات أعلى في كل اختبار وهذا هو الدليل حيث أصبحت من المتفوقين وحصلت على تلك الدورة التدريبية.

غادر المطار ومازال يفكر، هل يتجه إلى منزل الجدة ليتمتع بعطفها وحبها له ثم بعد ذلك يملأ عينيه بنورُ بثينة أو يتجه إلى منزل أسرته في طنطا أولاً؟ أنا في حيرة وفي غاية الشوق للثنتين، الجدة وبثينة ولكني لا أريد أن أقطع نهل الحب الذي سأحصل عليه من الاثنين معا ولذا فليبدأ بأسرته ويقضى معهم بعض الأيام ثم يعود متفرغاً للجدة والحببية، هكذا قرر أن يبدأ بالصعب ثم يعقبها بزيارة بولاق والتمتع بالحببيين، توجه إلى محطة القطارات مستقلاً القطار المتجه إلى طنطا.

وصل القطار إلى طنطا وطوال الرحلة لم يكن واعياً لما يحدث حوله حيث لم يكن جالساً على كرسيه بل طائراً فوقه وسابقاً الزمان، فالزمن لديه لم يكن مثل الآخرين، لقد كان معلقاً بين السماء والأرض وكانت ساعاته دقائق وثواني ولهذا فوجئ بأن القطار توقف وشاهد يافطة المحطة "طنطا" .. غادر القطار والمحطة بهدوء وسكينة متجهاً إلى وكالة الحاج فريد أويل جده لأمه حيث أنها قريبة من المحطة، لم يشاهد والده ولكن شاهد الحاج مغاوري مساعده الذي كان يعمل بالوكالة، استقبله مرحباً بعودته بسلامة الله من بلاد

يره كما حضر نقولا زوج ابنة الخواجة قلدس مرحبا بابن جارهم العائد من بعثة تعليمية كما قدم له الحاج مغاوري عزاءه.

تتبه هشام لتلك الكلمة حيث اضطرب واستوضح فيمن؟ شرح له أن الجدة توفاهها الله منذ أسبوعين، همدت روحه وسكن انفعاله وضاعت بسمته وغابت عنه فرحته وحل محلهم العبوس والحزن والألم الذى عم الجسد كله خاصة قلبه الأبيض الذى لا يعرف إلا الحب، جلس على أقرب كرسي بالوكالة حزينا فشعر مغاوري بتأنيب الضمير لما لاحظته على الفتى وأنه أساء التصرف كما أشار إليه بهذا نقولا ناقدا إياه بأنه كان يجب عليه تركه ليعلم هذا من أسرته.

هكذا ضاع نصف الأمل ونصف الحب وتوقف نصف قلبه ولم يتبق سوى النصف الآخر وعليه أن يلتقي مع بثينة حتى ينام على صدرها باكيا مثل الطفل الصغير الذى افتقد أمه الغائبة عن البيت، من يكون أحن عليه من بثينة التى تحب جدتها مثله بل أكثر منه وهو يعلم هذا، ويعلم أن جدته كانت تحبها معاً لكن بثينة لها منزلة أكثر لما يلازمها من الشقاء والتعاسة على يد عائلتها، سمع صوت العقل يصرخ: أنا قادم إليك يا بثينة لتخفنى عنى مصابى وأخفف عنك مصابك فنحن فى الهم صنوان.

طلب الخواجة نقولا من ابنه دميان أن يقل هشام بسيارته إلى منزلهم حيث لاحظ الإعياء باديا عليه، وصل هشام إلى منزله واستقبلته أسرته بكل ترحاب ولاحظ تأثير وفاة الجدة على الأسرة حيث كانت أمه وشقيقته يرتدين ملابس الحداد السوداء وهو الذى كان كارها لهذا اللون دون حداد فما بالك أن يقترن بفقد أعز الناس لديه، ترمى إلى أذنه صوت قارئ القرآن الكريم الصادر من الإذاعة.

أما عن الأب راضى فذهنه مازال مشغولاً بما سيواجهه بعد عودة هشام من الخارج، كيف سيخبره؟ وكيف سيتحمل عناء فقد الحبيبة بثينة؟ لم يكن وفاة أمه يسبب له ألماً شديداً، حيث خاض نفس التجربة عند وفاة جدته فلم يحزن كثيراً حيث جرى العرف بأن كبار السن يتوفاهم الله بعد قضاء فترة من المرض لكن كل ما كان يخشاه هو خبر زواج بثينة، هى المستقبل لابنه وهى التى كانت ستشاركه الحياة وتعطيه الذرية التى يتمناها.

عاد الأب من عمله واحتضن ابنه بكل حب وشوق الآباء لأبنائهم الغائبين وسأله: لقد علمت بما حدث لجدتك حيث إنها الآن فى نعيم الجنة ورضوانها مع جدك حسن رحمهما الله، بدا على هشام أن الأمر مر مرور الكرام ولكنه حينما تذكر جدته ويولاق أبا العلا اشتعل لهيب النار فى قلبه ووصل إلى قرار بأن منزل بولاق لا يستطيع الذهاب إليه مرة ثانية حيث لا يعقل أن يدخل منزل جدته ولا يجدها وهو الذى ارتبط بها وبهذا المكان حيث إن ارتباط الإنسان بالمكان عنصر مهم فى حياة البشر.

توجه هشام إلى حجرته واستلقى على سريره وهو فى اشد حالات الإعياء النفسى والبدنى معتقداً أنه لن يستطيع النوم ولكن النوم سرقه فى ساعتين لم يشعر خلالها بوالدته أو شقيقاته وهن يحاولن إيقاظه لتناول الطعام معاً نهض من نومه بعد أن حصل على قسط وافر من الراحة جعله منتشياً وجلس على السرير يفكر فى الحالة التى عليها بثينة الآن؛ إن المسكينة تنتظرنى ويجب على أن أغادر طنطا باكراً لأكون بجوارها.

استأذنت شقيقته الصغرى فى الدخول وجلست قريبة منه وفى عينيها بريق من يحمل نبأ غير سار وهى تنظر إليه من حين لآخر ومازالت صامتة لاحظ هذا التردد عليها وهو الشقيق الذى يعلم الكثير من تصرفاتها؛ نظر إليها ملياً:

. فأتت .. قولى اللى عندك .. تلعثمت الفتاة وهى تردد:
- والله يا هشام مش عارفه أقولك إيه!! لكن الحكاية اتلخبطت ومش عارفين
تمت إزاي حتى بابا .. قاطعها:
. أرجوك يا فاتن مش عايز أغاز .. إيه فى حد تانى مات؟
. لا لا الشر بره ويعيد .. بس حكاية بثينة .. انتفض بسرعة ناظراً إليها وخشت
الفتاة من رد فعله .. فنهضت ووقفت مبتعدة قريبة من باب الحجر حتى
تستطيع الهرب إذا تهور محاولاً ضربها أو إيذاءها.
. مالها بثينة كمان؟ ماتت.
. يا ريت؛ أدهشه هذا التعبير؛ فهذا يعنى أنها عملت عمله سودا حسب عقيدة
المصريين.
. الحكاية إنها اجوزت أخو جوز أختها وسافرت إلى بلدهم
. تغور فى ستين داهية؛ أسعد هذا شقيقته وعلقت:
. كلهم قالوا كده .. لم يعلق .. تركته وانصرفت لتزف إلى أسرتها الخبر السعيد
بأن هشام تلقى خبر زواجها دون مبالاة .
جاءت أمه وشقيقته الكبرى هاجر برفقة فاتن وهن سعيدات بتصرف
هشام وتقبله لهذا الحدث وسألته أمه.
. باين عليك أنك مش مضايق؟ كنا خايقين عليك؟ أجابها:
. أمى؛ ربنا لطيف بعباده، تصورى وأنا نايم شفت إيه فى المنام؟ الجميع فى
شغف بأن يخبرهن بما شاهد .. قال:
لقد شاهدت بثينة تركب قاربا يسير بها بسرعة إلى عمق البحر تستصرخنى:
. هشام .. أمى وفاروق هما سبب بلائى، أرجوك أنقذنى .. ولكن الظلام
حل ولم أشاهدها وقد اختفت بقاربيها فى ظلام الليل والمياه؛ استيقظت من

نومي تملؤني قناعة بأن شيئاً سيئاً حدث لها وأن المتسبب الرئيسي هو عمتي عائشة، اندهشن جميعاً حيث إن الذي قاله هشام هو أقرب للحقيقة التي علموا بها من سحر شقيقة بثينة والتي أخبرت به خالتيها زينب وسندس.

خرج هشام ليلاً متوجهاً لمقابلة صديق الدراسة بطنطا حيث كان يسير في الشارع دافع العين يحاول جاهداً أن يخفي هذا عن الناس الذين يقابلونه ويعرفونه ويبادلونه التحية .. استقبله صديقه بكل ترحاب ومودة وانفردا بداخل حجرته، انفجر هشام في شكواه لصديقه حيث أخبره بما دار داخل منزله ورد فعله على ذلك وهم له مشفقون وأن شقيقته الصغرى استكرت مشاعره ولكنه كان يغالب الحقيقة ولا يريد أن يظهر مشاعره الفياضة والمؤلمة أمامهن وأثر هذا عليه بأن يكتب كل تلك المشاعر والأحاسيس .. تركه صديقه ينخرط في بكاء مُر مؤلم حتى هدأت نفسه قليلاً ثم قال له:

إن الله أرسلنا وخلقنا وأبقانا في الدنيا كوديعة يطلبها وقتما شاء وأن بعض الأمور الدنيوية التي تحدث كتبها الله على عباده، فالعمر والرزق والزواج هي كلها من أمور الله الغيبية والتي لا يستطيع الإنسان منها فكاكاً أو هرباً، انظر إلى نفسك وإلى ابنة عمك حيث ظللتما لأكثر من ست سنوات في حب وعشق عفيف حتى يأذن الله لكما بالجمع تحت رايته وتصبحان زوجاً وزوجة ولكنها إرادة الله المكتوبة في لوح محفوظ أن ترتبط هي بإنسان آخر وترتبط أنت بإنسانه أخرى لحكمة لا نعلمها وهو علام الغيوب، لو كنت موجوداً في القاهرة لما استطعت أنت وكل الناس أن تمنع إرادة الله فاسكن إلى إرادته واطلب منه الرحمة ولا تكن جائراً عليها فيكفيها ما هي عليه وأرحمُ ترحم نهض الشابان وأدباً الصلاة تقرباً إلى الله أن يرفع مقته وغضبه عنهما.

عاد هشام من زيارة صديقه أحسن حالاً وسكن قلبه الهدوء؛ حقاً قدر الله

وما شاء فعل ونحن نسير فى الدنيا كما تتطاير الريشة التى تحملها الريح، إذأ
فنحن أمام القدر مثل تلك الريشة التى لا تملك من أمرها رشداً.

بدأت الدراسة وانتظم هشام فى كليته والتف حوله أصدقاؤه يتجاذبون معه
أطراف الحديث وأصبحت الآلام النفسية شديدة الصعوبة عليه، حاول الخروج
من دوامة التفكير بها وكلما تذكر أن بثينة مع رجل آخر تعطيه ما كان يتمنى
أن يحصل عليه بعد زواجهما تشتعل النيران القائلة فى قلبه ولم يجد بدأ من
التوجه إلى الأماكن التى كانا يذهبان إليها لعله يجد السلوى والمكينة هناك
قام بزيارة منزل الأسرة فى بولاق وجلس حزينا بعض الوقت وتذكر الجدة
وحديثها ورقتها وهى السيدة العجوز كما تذكر علاقته مع بثينة: هنا كنا نلعب
وهذا السرير كان يجمعنا ونحن صغار تنام بجوار عمى زينب .. خرج إلى
الشارع مساء حيث شاهد وديع وزوجته سارة ومعهم طفلهم الأول، قبله
واحتضنه كأنه ابنه وتحادث الصديقان، ولم يكن وديع قد علم بزواج المحبوبة
وعندما علم وديع وزوجته بما تم طلبا منه إلا يغضب منها وهو الصديق لهما
وهما يعلمان مقدار حبها له، بكت سارة لما حدث لصديقتها المخلصة وحزن
المعلم حبشى أن تصبح تلك هى نهاية القصة المفرحة وهذا الحزن المطبق
وكل هذا بسبب الأهل لاعتنا ذلك اليوم الذى يدمر فيه الأهل سعادة أبنائهم.

تعاطف الجميع معه ومعها فهى الأخرى مجنى عليها؛ شعر هشام أن
قلبه مازال معلقا بهذا المكان وكان يردد أغنية المطرب محمد عبدالوهاب
"مررت على بيت الحبايب" شعر أن أنفاسها العطرة مازالت موجودة وأن رائحتها
الشخصية والتى كانت تقربه لها أكثر وأكثر مازالت بالمنزل محتفظا بها
الجماد يحتفظ بروائح الأحباب؛ ترك الحى عائداً إلى المدينة الجامعية فخرج
على الكورنيش وشاهد وعابن المكان الذى كانا يلعبان به صغارا ثم تذكر

علاقتها وأحاديثها وهما أحباب وقد تَماصت أياديهن الرقيقة الناعمة وهمسات حديثهما وسمع ضحكاتها وأجاب على حديث حديثه به حبيته؛ نظر إليه أحد المارة قائلاً:

.. لسه بدرى يا ابنى على ما تكلم نفسك، سيب الحكاية دية للناس الكبار اللي زينا، تنهد الرجل ياه .. حتى الشباب بيكلموا نفسهم؛ تنبه هشام قائلاً يجب على أن احتاط لذلك ولا أدع لنفسى ومشاعرى العنان لقد اعتقد الرجل أنني مجنون.

كانت ليالى المدينة الجامعية هي قمة المأساة بحد ذاتها فجميع الطلاب مشغولون فى المذاكرة والتحصيل وهم أبناء الأقاليم الذين انتهزوا الفرصة التى وفرها زعيم مصر جمال عبد الناصر بمجانبة التعليم، كلٌ يريد الحصول على مؤهل دراسى يُعد له مستقبلاً أدبياً واجتماعياً ووظيفياً محترماً يعدل كفة الميزان التى أذلت وأرهقت أبناء الطبقات الفقيرة المهمشة فى المجتمع وغالبيتهم من أبناء الأقاليم مثل هشام وغيره ولكن الأوجاع والآلام النفسية ما زالت تهاجمه من حين لآخر حينما يشعر أنه فى هذا التوقيت من الليل بأن حبيته فى أحضان رجل آخر رغم أنه زوجها ولكنها حبيته وقد اختار قلبها الآخر لقد كان اختياراً تلقائياً دون تدخل خارجى .. آه .. ماذا أفعل؟ أكاد أجن عندما انفرد بنفسى.

توجه هشام إلى حديقة الأسماك ليبيت لها ولأسماكها لوعته وشجونه حبيته التى كانت تجمعهما فى هذا المكان الجميل على نيل مصر، تذكر حبيبة القلب بثينة عندما سألتها برغبته فى أن تمنحه قبلة مثل التى أعطته إياها مساء بعد عودته من لقاء وديع حبشى فضحكت وتمنعت عليه قائلة .. بكره .. بكره ياوله .. حيث هاجمته الظنون فأسمعته قريحته بأغنية 'بتقولى بكره' :

بتقولى بكره قلبك ح يعطف وف كل مره يوعد ويخلف
وأصدقك برضه ولا أنتكلم من خوفى عليك لتتألم
وتقوللى بكره

بعد أن فاضت دموعه تأثر بعض رواد الحديقة لما شاهدوه من هذا الشاب النحيل صغير السن، غادر الحديقة متجهاً إلى الطريق بعد أن أفرغ شحنة الأكم والياس التي انتابته .. وقف فجأة وما زالت عيونه حمراء اللون من أثر البكاء بداخل الحديقة حيث شاهدها .. إنها ليلان ابنة العمّة وهى أحد المجرمين المخططين للجريمة الشنعاء فى حق حبيبته .. كيف يتصرف معها؟ أيكيل لها السباب والشتمائم، تتبه أنها أكبر منه عمراً وأنه مازال يلعبها بأبلة ليلان مثل قول بثينة.

شاهدته فأقبلت عليه مرحبة وانفطرت الدموع من عينيها الجميلتين وتجمع بعض المارة للمشاهدة .. سيدة رائعة الجمال تقف أمام شاب صغير تبكى متوددة بالألا يغضب منها واعتقدوا بأن الشاب أقدم على عمل سيئ ضايقها هموا بالتدخل لولا أنهم سمعوا صوته فى آخر لحظة يعاتبها قائلاً : أبلة ليلان. شعروا أن هناك قرابة واحتراماً فتركوهما وشأنهما وكل ما قالت له ليلان إن بثينة مظلومة ولا يقع ذنب ما حدث إلا على وأمى وأخى فاروق وقد أعمتنا مصالحننا ولم ننظر لحبكما ولكن كل ما أطلبه منك بناء على رغبتها أن تسمع لأغنية هدى سلطان"لا موني" تركته وسارت تتعثر فى سيرها خجلاً مما أحدثته به وبشقيقتها الصغرى.

عاد هشام إلى المدينة الجامعية بعد أن اشترى إسطوانة الأغنية التي قالت له عنها .. توجه لجاره الذى يحتفظ بجهاز تشغيل أسطوانات وسأله أن

يقرضه جهازه مدة نصف ساعة ليستمع إلى إسطوانة مرسله له من حبيبته
اهتم الشاب، فهذه حبيبة تُرسل إلى الحبيب بأغنية:

لا موني وأنت هاجرني لا موني وأنت فاكرني مانسيوني
لا موني ودمعي فوق خدي لهيب .. ولهيب بيزيد

توقف عن البكاء وشعر أن بثينة مظلومة مثله وشعر بعدها بالراحة بأن
حبيبته لم تتخل عنه وأنها مازالت تحبه وهذا ما انعش فؤاده المكلوم .. لكنها
مازلت بعيدة جسداً ولكن يكفيه روحها .. آه يا بثينة يا حبيبة الفؤاد لم أكن
أشعر أنك تتعذبين هكذا، كان الله في عونك.

يوم الجمعة التالي توجه هشام إلى كازينو الشجرة حيث قابله الشاب
النوبى الذى كان هشام وبثينة يسعدان بوجوده .. رحب به وسأله عن خطيبته
فحدثه بكلام مبهم وغير مفهوم .. شعر هشام بأن الشاب النوبى فى دهشة من
قوله تنبيه لهذا قائلاً لنفسه: لا يجب على أن أترك لنفسى العنان فالشاب يعتقد
بأن لوثة عقلية أصابتنى .. غادر الكازينو محاولاً معاودة ذكرياته مرة ثانية ..
تخيل إنها معه وبدأ يحدثها بكلام رقيق وسألها:
. إيه رأيك؟ أغنيك أغنية حلوة .. اسمعى يا ستى:

على إيه بنتومنى كان ليه تهجرني
ياما قلبى شكى ياما دمعى بكى

مرحمتيش ليه .. ليه

يُحدثها : إيه رأيك فى صوتى .. حلو؟ .. مبسوطه .. طيب ياللا

نروح ناخذ فلوكه زى كل مره .. ١١٢

توجه بعدها إلى مرمى الفلايك وانتظر حتى حضر الرئيس حمونة
من جولة مع أحد الزبائن.

- أهلاً يا هشام يا ابني .. آمال الست هانم فين؟ .. آه لازم بعافيه شوية
اتفضل.

- اتكل على الله يا عم حسونة؛ ضحك الرجل ودعا لهما بأن يخليهما لبعض
ويديم عليهما الحب والسعادة .. يغنى أغنية عبد الوهاب ..

على بالي ... يا نسينى على بالي هواك يا حبيبي

فى خيالى فى عيونى آه يا حبيبي

احاول كل يوم أنسى

(ثم أكمل لها باقى الأغنية)

استمر هشام فى سلوكه هذا اليوم والذى اعتقد فيه أن بثينة قد عادت إليه
وأنه يقضى معها أسعد أوقاته التى كانا يقضيانها معاً قبل أن يحدث لهما هذا
الانهيار المدمر لحياتهما العاطفية؛ استمرت حياته تخبطاً ولوعةً وجنوناً وأفكاراً
تراوده وخيال بثينة مائل أمامه حتى أوشك عقله على أن يذهب وأضحكه هذا
وقال حابقى مشهور مثل قيس ويقولون "هشام وبثينة".

اقترب العام الدراسى من نهايته وفى بداية الشهر القادم سوف تحتفل
الأسرة فى طنطا بزفاف شقيقته الصغرى فاتن؛ فقد انتهت من امتحانات
الثانوية العامة وسوف تسير على نهج شقيقتها هاجر بالزواج والمكوث بالمنزل
لمراعاة الزوج والأبناء القادمين فهذا هو سلوك التجار فى الأقاليم نظراً لحالتهم
المالية الميسرة ولا داعى للجامعة فهم ليسوا فى احتياج للوظيفة.

توافد الأقارب من القاهرة على عمارة شقيقهم راضى والتى أقامها فى

الميدان الكبير المواجه لمحطة القطار وقريبا من عمارة والد زوجته الحاج فريد
اويل ومازال هشام يناجى بثينة بينه وبين نفسه وتنبه بأن عليه أن يقلل من
تصرفه هذا أمام الناس حيث لاحظ أن البعض بدأ يهزأ به .. اقتربت منه
العمة سندس وقالت له:

. عقبالك .. ضحك لهذا الإطراء ومجاملة العمة الرقيقة الوديعه التى أصبحت
الصورة المصغرة من الجدة فردوس واستبدل هشام حبه المفقود من الجدة بعمته
هكذا يعوض الله أبناء البشر بالبديل .. اقتربت منه تخبره:

. هشام؛ بثينة وصلت من يومين مصر وهى فى مستشفى قصر العينى بين
الحيا والموت، حالتها صعب خالص؛ انتفض سائلاً عن حجرتها فأخبرته.
. قسم الطوارئ باطنية، حالات حرجة.

مطلوب مُعجزة

فى قسم الأمراض الباطنة "حالات حرجة" المخصص للحالات التى تحتاج إلى عناية مركزة من الأطباء والمرضىين .. اجتمع رئيس القسم وتشارور مع مساعديه حيث كانت حالة بثينة ميئوساً منها وقد أفضى كل برأيه وكان الرأى السائد أنها فترة أربع وعشرين ساعة على الأكثر وتلقى ربهها وقد أوجز المتخصصون بما وصلوا إليه من نتائج وكان رئيس القسم مؤيداً لرأيهم حيث انفض الاجتماع وقال الطبيب كلمته الأخيرة:

أيها السادة إنها تحتاج إلى معجزة .. معجزة الخالق؛ لقد عجز الطب عن علاجها مثل ما حدث فى مستشفى البلد التى قدمت منه؛ حيث كل التقارير تشير إلى ذلك بأن جسدها رافضٌ للحياة وهذه من الحالات النادرة، أصدر تعليماته إلى الطبيب النوبتجى بالقسم أن يُعد العدة لأن تغادر المستشفى صباح غد على أكثر تقدير أن لم يكن فى فجر .. واستعدت إدارة المستشفى لذلك بإعداد التقارير التى تثبت أسباب الوفاة كما أبلغ القسم المسئول عن تكفين الموتى وسيارة المستشفى التى ستقلها مع مرافقتها إلى مئواها الأخير هكذا سوف يُغلق آخر فصل فى حياة تلك الشابة التى بلغت واحداً وعشرين عاماً من عمرها منذ أيام قلائل.

فى الحجرة التى ترقد بها بثينة كانت برقتها شقيقتها ليلان لمحاولة تخليل الأثر النفسى الذى لازمها منذ زواجها، لقد شعرت أنها المسئولة عما حدث لها بينما والدتها لم تذهب لزيارتها قائلة:

إنها لا تستطيع أن تشاهدها كما وصفوها لها .. أما ليلان فقد أخبرها القسم بأن تلك الليلة هى الأخيرة حيث إن الأطباء اجتمعوا وراجعوا كل التقارير وأن

الأجهزة المتصلة بها تتبئ بوفاتها فى تلك الليلة وعليها أن تعد نفسها وأسرتها لاستلام جثمانها صباح الغد وأن المستشفى ستقوم بتوصيل الرفات إلى مئواها الأخير.

انكفأت ليلان باكية حزينة وتذكرت شقيقتها الصغرى يوم ولادتها؛ حينئذ كانت بالسنة الأخيرة بالمدرسة النسوية وكانت فى منتهى السعادة أن تجد لها أختا صغيرة تلاعبها بعد ذلك وتساعد أمها فى الرعاية بها، كان شريط ذكريات مؤلم يمر أمامها بسرعة وتنتظر إليها وهى نائمة لا يتعرف عليها أقرب الناس إليها حتى أن شقيقتها سحر عندما شاهدها لأول مرة صرخت وأغى عليها ولم تكرر زيارتها بعد ذلك.

استقل هشام تاكسيا خاصا من طنطا إلى المستشفى بالقاهرة حيث وصل بعد منتصف الليل ووجد الأبواب مغلقة وشاهد خفيرا أمام باب المستشفى فألقى عليه السلام، سأله الرجل عن الخدمة التى يستطيع أن يقدمها له .. تردد هشام ثم تشجع وأخبره بمختصر القصة، تأثر الخفير لهذا حيث قال له إنه لا يملك مثل هذا الحق خاصة أنه سيذهب إلى عنبر الحريم وهذا غير جائز فى تلك الظروف، سكت هشام وجلس بعيداً على الرصيف حزينا حيث كان الرجل يعد كوبا من الشاي وأضاف كوبا آخر لهشام وجلس يمازحه ليخرجه من حالة الألم التى ألمت به، سكن الرجل قليلا كأنه يفكر فى شىء ما ثم قال له سوف أحاول أن أساعدك وليساعدنى الله، شاهد الخفير أحد عمال نظافة المستشفى قائما فانتحى به جانبا عارضا عليه مشكلة هذا الشاب القادم من طنطا بلد سيدى أحمد البدوى، سأل الشاب هل يمكن أن تساعده؟ نظر العامل إلى الخفير قائلاً:

. (أعملها واللى يحصل يحصل) !! كأننى مثله وأن حبيبى سوف تموت بعد

ساعات وأتمنى من أى شخص كريم أن يمنحني وقتاً لوداع الحبيب .. توجه الشاب إلى هشام برفقة الخفير وقال له هيا معى، لم يصدق هشام بأن الله فرجها ليلى النظرة الأخيرة على حبيبته.

بداخل المستشفى سلمه العامل ملابس عمال النظافة وطلب منه إذا قابلهما أحد مستقراً عن عملهما فليتركه يجيب حتى لا ينكشف أمرهما والله معنا، هكذا توجه عامل النظافة إلى قسم الحالات الحرجة وسأل إحدى الممرضات عن حالة السيدة القادمة من البلاد العربية منذ أيام وتنبهت إلى تلك الحالة الفريدة التى علم بها الكثيرون بالمستشفى حيث قالت له همساً:
.دى ماتت من ساعة أو يمكن بتطلع فى الروح.

توجه العامل مع هشام إلى باب الحجرة وأخبره بأن عليه بعد أن ينتهي من وداع المريضة أن يترك الملابس التى سلمها له فى دورة المياه الملحقة بالحجرة ثم ودعه داعياً الله أن يصبره على هذا البلاء.

طرق هشام باب الغرفة طرقات خفيفاً حتى لا يزعج الحبيب والتى هى فى النزح الأخير، تسلل بهدوء فشاهد خيلاً على الضوء الساقط من شبك الحجرة وسمع من يسأل من أنت؟ تعرف على الصوت؛ أنه صوت ليلان شقيقته أجاب هامساً:

.انا يا أبله ليلان .. تنبهت السيدة

.مين؟ هشام!! أجابها بالإيجاب. بكت وقالت:

. شفت اللى ناب بثينة.

.رنا حيشفيها إن شاء الله، لم تجعله يكمل كلامه حيث قالت:

- المسئولة عن كفن العنات جت من حوالى الساعة علشان تعرفنا أن كل شىء جاهز وأن الدكتور حيجى بعد الفجر علشان يقيس النبض عشان

يرفعوا الأجهزة عنها، خلاص يا هشام، روح اقعد جنبها فى السرير وشوف حالتها.

لم يكن هشام يعلم ما أصابها وما عليه حالها كل ما يعلمه أنها مريضة وستقابل ربيها بعد ساعات، توجه إليها وأشاح الملاءة التى تغطى وجهها وأجهزة التنفس وصرخ صرخة مكبوتة وارتجف وارتعد عائداً إلى الخلف ووضع يديه على وجهه، هدأت ليلان من فزعه وشدت من أزره فنظر إليها متسائلاً:
. إيه ده؟ إيه اللى حصل لها؟ مكنتش أتوقع أو أتخيل أنى أشوفها بالشكل ده.

كانت بثينة جلدأ على عظم كما يقول المثل وانكمش جسدها وتجدد جلددها وأصبح خشنا وتغير لونه، تمالك نفسه وجلس بجوارها ثم قرأ بعضاً من قصار السور من القرآن الكريم مبتهلاً إلى الله بالدعاء والشفاء أو الراحة الأبدية طالباً منه أن يسبغها برحمته الواسعة، انحنى عليها مقبلاً عظام مقدمة رأسها ملمساً على جلد وجهها الخشن وغنى لها بصوت خافت باك:

يا ورد مين يشترىك وللحبيب يهديك...

(ثم أغنية أخرى كانت تحبها)

انا لك على طول خليك ليا واسعدنى يوم وطل عليا

قفز هشام حيث شعر أن شمناً لمس يده مثل فأر ولكن المفاجأة إنها يد بثينة التى تنبتهت على صوته ورائحته وأغنيته المفضلة، حاولت أن تجلس فأسرت إليها ليلان تساعدها بينما هشام مازال خائفاً مرتعداً مبتعداً عنها ..
أشارت له بأن اقترب وكانت تنظر إلى الجهة الأخرى من الحجرة، توجه إليها وليلان تحاول تشجيعه بدفعه جهة سريرها، اقترب منها وجلاً مقبلاً وجنتيها

أسعدها هذا، نزعتم كمامة الأكسجين من على أنفها وتحدثت بصوت واهن:
- "دلوقتي يا هشام بعد ما بقيت جلد على عضم جاي تبوسني" .. تشجع
وحدثها بأنفاس متلاحقة.

. طبعاً يا حبيبتى يا بسبوسة، أضحكها هذا التعبير:
. كانت أيام حلوه .. الله أنا مبسوطه أن آخر واحد شفته قبل ما أموت هو أنت
مع أنى مش باشوف وراح نظرى، فإكر عيونى يا هشام، خلاص معدش فيه
حاجه .. يسألها بصوت مرح:

- تفنكرى يا بت انك حتموتى؟ مش ممكن الحلوين يموتوا!! على فكره الرئيس
حسونة مستئينا نروح له ونركب الفلوكه بتاعته، انتعشت أكثر غير مصدقة أو
مستوعبة

. معقول .. رحنت له يا هشام ..

. ايوه يا حبيبتى رحنت له .. تكمل حديثها بأنفاسها المتلاحقة:

. لسه حبيبتك؟

- أمال إيه، هو الحب بيتسمى .. مش حنساكى أبدا .. وخلي بالك كلها كام
شهر وأتخرج .. ضحكت بصعوبة:

. خلاص .. حتجمد وتستوى .. فإكر ياواد يا خايب .. ضحكا معاً؛ فجأة دخل
الحجرة الطبيب النوبتجى ليرفع عنها الأجهزة خاصة جهاز الأكسجين فأنزعج
ونظر إلى الأجهزة المرفوعة عن المريضة أو المتوفاة ثم اتجه بنظره إلى هشام
متسائلاً:

- مين أنت؟ أسرعت إليه ليلان وأسرت فى أذنه بيضع كلمات فخرج مسرعاً
قائلاً:

. خليه .. أوعى يمشى .. يردد: حكمتك يارب!! بعد نصف ساعة حضر رئيس

القسم مرتديا البيجامة وفوقها الروب ونظر إلى كل من بثينة وهشام الذى اضطرب فأشار إليه بالبقاء وطلب منه استكمال حديثه وجلس على أحد الكراسى بينما وقف خلفه بعض الأطباء وبدأ عددهم يزداد حتى لم يتبق مكان فارغ بالحجرة ورئيس القسم يكتب بعض التعليقات والملاحظات ومازال هشام يحدثها ويخبرها بأخبار ددع وسارة .. فتضحك وتخبره.

. قصدك سرسوره .. ضحك الاثنان ثم قالت له:

- هشام .. إيه رأيك .. انا جعانه!! "وقف رئيس القسم مشدوها" .. إيه رأيك تروح تجيب أكل وناكل سوا مش عايزه أكل المستشفى .. سألتها:
. بسبوسة تحبى تاكلى إيه؟ صممت قليلاً:

. إيه رأيك ياوله فى مندوتش فول! صمت المتواجدون وهم فى دهشة . حاضر أروح أجيب .. أشار له الطبيب بأن يكمل حديثه وسنحضر ما تريده أرسل أحد العاملين لإحضار بعض السندوتشات لهما .. مازالا يتحدثان . هشامُ ضمنى لصدرك، أشار إليه الطبيب بالتنفيذ ضمها وهى سعيدة سألته:
فاكر أغنية عبد الحليم يسرع قائلاً:
. ابوه .. ويردها لها.

اسبقتنى ياقلبي اسبقتنى ع الجنة الحلوة اسبقتنى

اسبقتنى وقول لحبيبي انا جاى على طول ياحبيبي

(ليلان تغنى معهما)

أحضر العامل السندوتشات وطلب الطبيب من ليلان أن تتاولهما .. أخذ هشام السندوتش وأمسك به وقربه من فمها .. قضمت قضمة صغيرة ووجدت صعوبة فى البلع ولكنها ابتلعتها .. ابتسم الطبيب مشيراً إليه باستمراره عمله فحاول أن يعطيها قضمة أخرى ولكنها اشترطت عليه أن يأخذ قضمة مثلها

وهكذا تبادل الحبيبان تناول السندوتش الأول وأعقب هذا قليلاً من الماء عرض عليها سندوتشاً آخر، ضحكت قائلة:

. أنت لسه مفجوع، نتكلم شويه وبعدين ناكل تانى.

تركهم الطبيب مصطحباً الأطباء الذين يعملون تحت إمرته ووقف أمام الغرفة طالباً تفسيراً من ليلان حيث أخبرته بقصتهما وما آل إليه حالهما بعدم الزواج ثم زواجها من آخر .. سألتها إن كان هناك شيء قد يؤثر على حالتها بأن تكره رؤية البعض فنكرت له بعض الأسماء ومن بينها أمها وشقيقها فاروق .. أمر بوضع أحد موظفي الأمن على الباب وعدم دخول أى زائر إلا بعد موافقة ليلان أو هشام كما أمر بإعداد سرير لهشام حتى يظل معهما حتى ننتين الحالة حيث قال للأطباء:

أيها السادة: نحن أمام موقف جديد وغريب لم أعهده فى حياتى المهنية منذ ثلاثين عاماً .. فلندع العناية الإلهية تكمل نعمتها حتى نخرج بالمستجدات على العلم وليكن هذا هو بحثنا المهم هذا العام والذى سيتم بالتعاون مع قسم الأمراض النفسية وياقى الأقسام لنخرج منه بدراسة ونتيجة رائعة نتقدم بها للمؤتمر العلمى الرابع والذى سيعقد فى زيورخ العام القادم، حتى لو لم يكتمل الشفاء لكننا أمام شىء جديد، فليوفقكم الله وسأعود إلى منزلى لاستبدال ملابسى وأعود إليكم مسرعاً مع دوام الملاحظة والمتابعة وأى جديد أخبروني به.

عاد الطبيب المكلف بمتابعة الحالة حيث لم يوكل إليه أى عمل آخر سوى متابعة تلك الحالة ومراقبتها، شاهد هشام وليلان يساعدان بثينة فى الذهاب إلى الحمام وعرف من ليلان أنها طلبت ذلك فأسرع إلى خارج الغرفة؛ حيث شاهد رئيس القسم يستعد لمغادرة مكتبه فأشار إليه فعاد الرجل مسرعاً خوفاً من

انتكاسة فأخبره الطبيب بما شاهد، قبله قائلاً: لقد تمت المعجزة، صاح فى ردهة المستشفى، لقد تمت المعجزة والجميع فى دهشة لهذا، كيف خرج الطبيب الورع عن هدوئه وسكونه الذى رافقه طوال عمله معهم، اجتمع بهم ثانية قائلاً: - أيها السادة: تكلمت بثينة ورفعت أجهزة التنفس والتغذية الصناعية وأكلت وشربت وهاهى تذهب للحمام أى أن الأجهزة بدأت تعمل بعد ركود عدة أشهر" رفع يده لأعلى قائلاً .. أشكرك يارب .. ثم وجه حديثه لهم .. أيها السادة ليس أمامنا إلا شيئان .. أولاً الصبر وطول النفس والشئ الآخر والأهم هو عدم مفاجأتها بأى شخص يذهب لزيارتها غير رغبة به.

بعد مضى عدة أيام على هذا الحدث الذى أشار إليه رئيس القسم بأن ما تم معجزة من عند الله تستحق الشكر أصبحت بثينة أكثر حيوية واستطاعت أن ترى بعض الضوء كما أنها تستطيع أن تجلس مستتدة بظهرها على ظهر السرير دون الاعتماد على أحد كما زادت قدرتها على الحديث لفترات أطول وارتفعت نبرة صوتها أكثر كما تخيرت أنواع الطعام التى ترغبه ولم يكن بالطبع متوافراً فى المستشفى وتحمل الطبيب كبير القلب تكلفة وأعباء ما تطلبه بثينة.

توالى زيارات رؤساء أقسام الكلية لإجراء الاختبارات عليها من مختلف التخصصات، الجلدية وآخر للعظام وثالث للدم ورابع لأمراض النساء وآخر للعيون ثم أنف وأذن وحنجرة، أما رئيس قسم الأمراض النفسية فقد لازمها يوميا .. كانت هناك غرفة طوارئ لجميع الأقسام تتردد على تلك الحالة غير الطبيعية .. كل تخصص خرج بدراسة ونتائج لأن الجسم يحتوى على كل التخصصات حتى الأشعة والأعصاب لم يتركوا تخصصاً إلا وحضر وأيقن الجميع أن أجزاء الجسم تعمل بانتظام وأنها فترة ستة أشهر ويتحسن حالتها وتقرب من الشفاء باستثناء حيوية ولمعان الشعر فتحتاج لفترة أطول ولكن

سينمو ويعود الى سابق عهده. ١٢٢

لم يكف ويهدأ الطبيب الإنسان من متابعة حالتها والحصول على صور شخصية لها يوميا ويكتب تاريخ كل صورة كى يقوم بالمقارنة بالإضافة إلى التقارير التى تقوم بها الأجهزة الحديثة من تحاليل وخلافة.

فسر الطبيب الحالة إلى ليلان موضحاً أن بثينة مجرد أن سمعت صوت هشام وشمس رائحته التى تذكرها بكل شىء جميل وسعيد فى حياتها تنبئ المخ ونظراً لأن تلك الحواس من شم وسمع خارج السيطرة فإنها توجهت إلى المخ دون إرادتها، هنا أرسل المخ بإشارته إلى أجزاء جسدها لتتنبئ وتستعد حيث إن كل شىء معد لان يقوم بواجبه وفسر هذا أيضا بالسبب الذى منعها من الحمل من زوجها الأول حيث إن جسدها كان رافضاً كل شىء بعد حالة القهر النفسى الشديدة التى تعرضت لها فتوقف عن الاستعداد لتقبل مثل هذا وهو نادر الحدوث والسبب فى هذا راجع إلى كره الحياة وهذا يفسر ما الذى يدفع بإنسان للانتحار فهو يعلم أن استخدام آلة حادة أو القفز فى النيل سوف يزهر حياته ولكنه يفعل هذا طالما كره الحياة.

لم يتبق إلا أسبوع على بدء الدراسة وهشام يرغب فى الذهاب إلى الكلية وافقت بثينة على ذلك حتى مستوى ويجمد كما قال لها سابقاً ولكن من يظل معها طوال تلك الفترة؟ فقد سافرت ليلان إلى زوجها وأطفالها وسحر مشغولة بعملها فى الفترة الصباحية وآخر النهار مع طفلتيها .. عرضت الخالة سندس رغبتها فى البقاء مع ابنة أختها خاصة أن شقيقها أحمد تسلم شقة تملك من المساكن الشعبية فى حى إمبابية وبهذا أصبحت سندس وحيدة واتفق الإخوة على أن تصبح تلك الشقة هى منزل العائلة تيمنا بمعيشة والديهم فى هذا المكان فترة طويلة من الزمن ورغبوا فى أن يصبح هناك مكان يجمعهم ولم يكن هناك أحسن من هذا المكان الذى يستطيع الإخوة الحضور إليه بعائلاتهم

دون مضايقة أحد، وقد يكون هذا دافعا لرعاية شقيقتهم التى ليس لها أسرة سواهم .. استقر الوضع على أن تحضر سندس في الصباح وتعود آخر النهار وإذا رغبت أن تبقى فليكن ولكن المهم هو حضور هشام يوميا وملاطفة حبيبته حتى تستمر قوة الدفع موجودة لديها.

سارت الأمور على هذا المنوال وأصبحت بثينة أكثر نشاطا وتتحدث وتنام بطريقة طبيعية ولم يكن أمامها مشكلة سوى أن جسدها بدأ يصل إلى حجمه ووزنه السابق ولكن ساقها لا تتحملان هذا الوزن وشعر رأسها بدأ يعود لحالته السابقة.

أخبرها الطبيب الكبير أنه يمكنها مغادرة المستشفى إذا رغبت مع وعد بمتابعة حالتك من حين لآخر كما أنه يمكنك الحضور فى أى وقت وجميع أقسام المستشفى تحت أمرك وهذا قرار من عميد الكلية ورؤساء الأقسام مع مواصلة قسم الأمراض النفسية لمتابعة الحالة فى منزلك كى تستعيدى عافية ساقيك.

أسعد هذا الخبر الجميع حيث ستعود إلى منزلها ببولاق وتتمتع بحلو الحديث مع الأقارب والأصدقاء خاصة وديع وسارة اللذان قاما بزيارتها أكثر من مرة وسعدت بحديثهما الطبيعى الدافئ كما حضر المعلم حبشى ويطانته لزيارتها بعد أن منعت إدارة المستشفى الهدية التى أحضرها معه وكانت عبارة عن أربع زجاجات بييرة مثلجة!! جلسوا معها بعض الوقت، اشتدت رغبتها بالعودة إلى المكان الذى بدأ فيه حبهما ونما والتى كانت تتمنى أن تعيش فيه إلى الأبد كما أنها راغبة فى رؤية الشيخ حسنى حيث سمعت أقاصيص وحكايات مرحة عنه وعن المعلم حبشى وما بينهما من مداعبات ومقالب يتقنن كل طرف فى القيام بها ضد الطرف الآخر.

علم المعلم حبشى بقرب خروج بثينة من المستشفى وأقسم بالعدرا إنه سوف يقيم احتفالا كبيرا بالشارع حتى الصباح وأعد عدته حيث ورد إليه صنف نزل حديثا وأطلق عليه اسم "بثينة" تيمنا بها وحبا فى تلك الفتاة التى أحبها مثل حبه لهشام وسارة ووديع.

أثناء الزيارة الأخيرة التى قام بها راضى وزوجته لها بالمستشفى طلب هشام من والديه أثناء وداعهما أن يعقد قرانه على بثينة ودُهِش كلٌّ من الأب والأم واستفسروا منه عن السبب وراء التسرع فى عقد قرانه عليها وهى مازالت تحت العلاج.

أخبرهما بأنه سوف يعيش معها ومع عمته فى شقة واحدة وأن عمته هى التى سوف تتولى أمورها الشخصية من استحمام والذهاب للحمام ولا يستطيع تقديم يد العون كما أن عمته قد تكون بالخارج فى السوق وتحتاج بثينة إلى الحمام فكيف أرهاها؟ اقتنع الأب بحجة ابنه ونظر إلى زوجته قائلاً إن وصية أمى أن يتزوج هشام بثينة وأنا موافق على هذا، سكنت أمه غير راضية عن ذلك.

ويشعر الصابرين

بعد مُضى ثمانية أشهر وعدة أيام قضتها بثينة فى مستشفى قصر العينى قرر الأطباء أن حالتها الصحية جيدة، وأن جميع وظائف الجسم تقوم بعملها وأنها قد تحسنت وقاربت أن تعود لحالتها الطبيعية بما يوازى ٨٥% والمتبقى مسألة وقت حتى تصبح كاملة من كل النواحي الجسدية .. هكذا طوى فصل حزين فى حياة تلك الشابة التى اقتربت من العام ونصف العام بين بلدة زوجها ومكوئها هناك تعانى من الأكم والمرض سواء فى المنزل أو المستشفى حوالى ثمانية أشهر أو فى مستشفى قصر العينى التى قضت فيها أكثر من ثمانية أشهر أيضاً.

الجميع فى انتظار خروجها من المستشفى سواء فى منزل العائلة ببولاق أو الأصدقاء الطيبين من أهل الحارة الذين استعدوا لذلك الاحتفال بتعليق الزينات والرايات فى الشارع أمام المنزل وأعد المعلم حبشى فرقة "على ترميئته الموسيقية" لهذا الاحتفال رغم أنه كان متعاقداً على احتفال ظهور أحد الأطفال بالحقى ولكن طلبات المعلم لا ترد .. استأجر هشام تاكسيا واصطحب كل من عمئيه زينب وسندس بالإضافة إلى بثينة وتوجهوا إلى منزل بولاق وسبقهم إلى هناك كل من خالها راضى وزوجته وبناته هاجر وفاتن كما كان فى انتظارهم الخالان أحمد ورجب مع زوجئيهما وسحر شقيئتها .. أما عن عائشة أمها فقد طلبت منها سحر عدم ذهابها أو مقابلتها ونفس الأمر وجهته إلى فاروق وكانت تلك تعليمات الطبيب المعالج محذراً أن عدم تنفيذ ذلك سيعرضهما لإبلاغ البوليس.

استقبل أهل الحارة نبأ عودة بثينة بالطبل والزمر والرقص البلدى كما

وزع المعلم حبشى بعض الهبات على أنصاره وازدادت مبيعاته فى تلك الليلة حيث يُقبل الناس على الموسيقى والغناء والأنوار واللافتات ويقال إن الصنف الجديد ماركة "بثينة" بيعت منه كميات كبيرة كما وصلت سمعته إلى العباسية وشبرا والشرابية بالإضافة إلى روض الفرج وعلم رجال المباحث بهذا النوع ولكن كلمة بثينة كانت جديدة عليهم حيث من المتعارف عليه أن يسمى الصنف باسم أغنية أو شئ مشهور ومعروف لذا فقد اعتقدوا أن هذا ملعوب من رجال المخدرات بغرض إرباكهم وقيامهم بكبسات فشنك ورفضوا تصديق ذلك، هكذا استطاع المعلم حبشى أن يشتهر بهذا الصنف فى محيط هذا المجال حيث قال وديع بعد ذلك لهشام بعدة أشهر إن والده ربح من هذا الصنف أكثر مما ربح طوال العام.

بعد وصول بثينة إلى بولاق أبى العلا تدفقت من عينيها بعض الدموع حينما نظرت إلى سرير الجدة الخاوى منها ولكن سرعان ما انشغلت بالمحيطين بها حيث اندمجت معهم وبعد سهرة قصيرة داخل المنزل غادره الجميع بإستثناء الخاليتين اللتين ظلتا لموانسة بثينة .. أما فى الشارع فاستمر الطبل والغناء والرقص وتدخين الجوزة والشيشة مع قربعة مئات من زجاجات البيرة حتى اقترب الفجر، ورغم الإزعاج الذى أحدثه احتفال أهل الحارة إلا أن هذا الجو الذى أقامه المعلم حبشى لمنت النباتات بثينة فى الشارع والحي قد أعاد لها الكثير من ذكريات الأيام الماضية والتي افتقدتها طوال ثمانية عشر شهراً قضتها فى صراع وأمراض ومستشفيات حتى من الله عليها بالشفاء.

بعد عودة بثينة بيومين أخبر هشام كلا من بثينة وعمته بأنه قرر الزواج منها وأنه أخبر والديه بهذا القرار حيث باركوا زواجه وسعدت العمتان أيما سعادة وطفرت بعض الدموع من عيني سندس إذ تذكرت أمها قائلة:

. استريحى يا نينة .. هشام وبثينة حيجوزوا قريب وحتتفد وصيتك ورغبتك ..
بينما قالت بثينة:

. خلاص يا وله، جمدت وتقدر تقابل الحياة وتشتغل وتوفر عيشتى أنا وعيالنا
من بعدنا .. أضحك هذا القول عمتيه بينما علق قائلاً:

. بعد كام شهر يعنى أربعة شهور ح اتخرج وأعتمد على نفسى.

مساء اليوم التالى حضر كل من وديع وسارة لزيارة بثينة وتضاحك
لأصدقاء وأعادوا ذكريات الأيام والأعوام السابقة التى جمعتهم؛ حيث كان
يغلب عليها السرور والسعادة وفى غمرة هذا أخبرهما هشام بأنه وبثينة قررا أن
يقعدا قرانهما بعد أسبوعين .. أى الخميس بعد القادم، هتفوا بسعادة حيث قالت
لهما سارة إن عناية الرب يسوع تحميها وتحيطها ببركاته وبعد قضاء سهرة
لم تطل لظروف بثينة الصحية غادرا المنزل تاركين أصدقاءهما ليزفوا البشرى
للمعلم الذى أسعده هذا الخبر وجلس يفكر مع بطانته فيما يقدمه لهذين الشابين
الذين ظلمهما القدر لا لشيء سوى الحب العفيف النبيل.

قرر المعلم أن يقام الفرح بعد باكر الخميس ونبهته زوجته إلى أن وديع
أخبرهم بأنه سيكون الخميس الذى يليه وأجابها:

- إيه الفرق بين الخميس ده والا اللى بعده؟ حيجوزا خلاص خير البر عاجله
والإنستى تانى لحد ما تحصل مصيبة زى اللى حصلت، كلها أفراح.

نهض مصفقا وسط الشارع سعيداً مردداً:

- يا ولاننا بلدنا يوم الخميس .. حاكتب كتابى وأبقى عريس .. والدعوة عامة
وحتبقى لامه .. يوم الخميس .. ها ها ها .. وتبعته نساؤه بإطلاق الزغاريد
والتصفيق، يعلق قائلاً: آه يا دنيا خلينا نفرح ونفرح الحبابيب.

صباح الخميس قام المعلم بكنس الحارة يعاونه كل من وديع وسارة وفى

المساء قام برشها بالماء وأرسل فى طلب شقيق زوجته الأمطى ماهر لتعليق الأتوار والريبات والميكروفونات وقدم الجميع التهئة للمعلم حبشى على هذا الفرح اعتقادا منهم بأنه خاص بإحدى شقيقاته رنينيه أو مادلين، حتى تلك اللحظة لا يعلم العروسان أن ما يشاهدانه ويسمعان عنه هو خاص بهما حيث كان اعتقادهما بأن هذا خاص بأسرة المعلم حيث قالت بثينة:

- الله .. فرح الأسبوع ده والأسبوع الجاى حيكون فرحنا بس إحنا مش حنقدر نعمل المهرجان اللى المعلم عامله لأخته؛ علق هشام:

. هيا دى طباع المعلم، الزيته والهيصه لأنه راجل ابن حظ وصاحب مزاج.

عصر هذا اليوم ارتدى المعلم أفرخ ثيابه وصاح فى طلب الواد برعى صبنى القهوة الذى حضر مسرعاً ملبياً نداء المعلم.

. نعمين يا معلم (حيث كان يرتعد خوفاً) بوجه بشوش اقترب منه

. شوف يا برعى .. توصل بيت الشيخ حسنى وتقول له المعلم عايزك بعد نص ساعة تيجيله الدكان ومعاك دفتر الجواز ويلبس لبس كويس وعليه القيمه .. أمال .. دا جواز يا ناس .. فاهم ياد؟ تراجع الصبنى للخلف.

. حاضر يا معلم .. طياره .. أسرع برعى يسابق الريح ليحمل خيراً ساراً للشيخ حسنى حيث إن هذا يعنى هبره من المعلم .. أسفل منزل الشيخ حسنى شاهد برعى العمامة مرفوعة فى البلكونة ولهذا تأكد من وجوده بالمنزل فأسرع بالصعود إلى شفته ينبه من بالمنزل بعدد من ضربات يده على الباب حيث توجهت أم خميس تسير الهوبنا تحت ثقل جسدها الممتلى.

. مين على الباب؟ يجيب عليها برعى.

. الشيخ موجود يا خالتي أم خميس؟ تجيب

. لأ الشيخ خرج .. يتسائل:

. إزاي والعلم بتاعه مرفوع فى البلكونه، ضحكت.

. جتك إيه يا اللى بتسأل .. هو أنت مين الأول؟ يجيبها:

. أنا برعى .. أصل المعلم حبشى عايزه يجيب دفتر الجواز معاه بعد نص ساعة ويجيله على الدكان، فتحت الباب مسرورة لرزق قادم دون إنذار.

. جتك ضربه فى قلبك يا برعى .. كنت فكراك الشيخ رستم أصل الشيخ حسنى مديون له بمبلغ وهو مستخبي جوه .. إيههه .. كله من الهباب اللى بيشره ..

لكن مقولتليش يا منيل على عينك .. عايز الشيخ حسنى فى إيه؟

. لأ مش أنا اللى عايزه .. دا المعلم حبشى هو اللى عايزه ويجيب دفتر الجواز معاه .. تتنادى:

. يا شيخ حسنى قوم قوام .. فيه شغل جايلك .. لكن أنت يا مضروب متعرفش مين اللى ح يجوز؟

. لا يا خاله، لكن المعلم بقاله يومين بيجهز وعامل زيطه قدام الدكان ومغرق الشارع لمض منوره .. حتكون ليله أئس ..

. سمع الشيخ نداء زوجته ففتبه من نومه المصطنع ووقف فى الحجرة يفكر .. مين اللى حيجوز يا شيخ حسنى؟ .. فكر وشغل مخك التبيه .. حيكون مين مهم للمعلم .. أثناء ذلك غادر الصبى منزل الشيخ عائداً ليخبر المعلم بتمام مهمته بينما مازال الشيخ حسنى يقدح ذهنه فيمن يكون الشخص المهم الذى يهتم المعلم بزواجه، يناجى نفسه، وبعدين، مش معقول حاجه صغيره زى دى تقوت على .. دا انا الشيخ حسنى ومتعديش عليا أى حاجه، وأنا كلنى نكاه ومفهومية وبيقولوا عليا أحسن واحد بي فهم فى بولاق أبو العلا، ضحكت أم خميس من حديثه وأفكاره وقالت:

. إذا كانوا بيقولوا عليك كده يبقى كل الناس فى بولاق حمير!! آل أحسن

واحد .. هيا.

تحسّس الشيخ حسنى أدوات عمله من الجبة والكاكولا ودقتر الزواج وطلب من أم خميس شرايا مليما بدلا من شرايه المقطوع والذي لا يستطيع الصلاة به أمام المصلين حرجا منهم لأن شيخهم الجليل يرتدى شرايا تظهر منه أصابع قدمه .. "يردد" كل شيء جاهز ولم يتبق سوى العمامة .. توجه إلى البلكونة لرفع العمة عن العمود الذى يحملها ويفاجأ بفرخة الجيران حضرت لزيارة بلكونتهم ولم تجد شيئا يناسب مزاجها لتخرج فضلاتها سوى العمامة وحزن وثار على زوجته .. قامت أم خميس تصلح ما أفسدته فرخه الجيران بينما الشيخ مازال يحاول الوصول إلى شخصية العريس صاحب النصيب والذي اهتم به المعلم وأقام الزينات فى الشارع من اجله.

وقف برهة وضرب قورته بيده قائلاً:

. غابت عنك فين يا شيخ حسنى، ما فيش غيره وأسرع إلى زوجته التى مازالت تقوم بنظافة العمامة من فضلات الفرخة مستخدمة (قولاحة) جافة وهى من أدوات مزاج الشيخ.

. ابسطى يا أم خميس عرفت العريس .. ياه .. فرك يديه فى بعضهما البعض وقال:

. حتبقي ليله أنس وفرفشة وفيها هبره وهبوه وياريت تكون من صنف حلو .. تنظر إليه أم خميس متسائلة:

. مين يا شمولو العريس؟ ضحك من حديثها بعد أن أخذ منها العمامة ووضعها على رأسه.

. حيكون مين غيره .. المعلم .. المعلم يا وليه .. عاد واقفا بعد أن كان مائلا جهتها .. ياه يا معلم والتبى صاحب مزاج .. ضربت أم خميس بيدها القوية على صدرها فأحدث رجة وصدى للصوت:

. أنت مش بتفهم يا راجل ..عايز تجوز وتطلق القبط .. أنت مش مكفيك اللي جراك المرة اللي فاتت؟ صرخ فى وجهها.

- إنتى مش بتفهمى حاجه .. إيه اللي دخلك فى شغل المأذون .. خليكى فى المحشى والبنتجان المخلل بتاعك .. الواد بيقول عامل هيصة وأتوار وزينات .. ده جواز .. فاهمه .. جواز حيكون مين غيره والنسوان راичه جايه عليه .. ابسطي يا وليه حا جيب تعميرتين حلوين ونقضى ليله أنس .. بس شطارتك توزعى العيال عند أمك .. خايبها ليلة "ريد نايت" لأننى ناوى أعمل عمایل واسوى الهوايل؛ ضحكت.

. حتبقى إيه يعنى .. القرد حسنى والا الأسد حسنى .. يزوم

. أسد طبعا .. ضحكت وهى تتحرك جهة المطبخ.

. بقيت تتكلم زى الخواجات .. يجيبها:

- أمال .. لازم الواحد يعمل حسابه .. افرضى واحد خواجه عايز يجوز .. أعمل إيه؟ مش لازم أكون مستعد .. تصرخ فى وجهه .. الله يخرب عقلك يا حسنى يا ابن هنومه .. روح للمعلم خليه يعملك كفته.

وصل الشيخ حسنى للحارة التى بها دكان المعلم حبشى حيث شاهد الأضواء والأنوار المتلألئة تعم الشارع وصوت الميكروفون يحمل أغانى الأفراح ومعالم الحارة وما عليها من نظافة تدل على أنه فرح على مستوى عال أسعده هذا وتمنى أمنية وهى لو الأقباط مثل المسلمين يتزوجون أربع نساء لكان هذا سعداً عليه حيث سينزوج المعلم كل شهر زوجة جديدة ويطلق وهكذا يحصل على عدة تعميرات مجانية بالإضافة إلى هبات المعلم المادية وتذكر صديقه الشيخ عطوه العيوطى مأذون الزاوية الحمراء الذى يتمتع بهيات من

أمثال المعلم حبشى لكنهم مسلمون كثيرو الزواج والطلاق وقد أصبح المأذون الملاكى لتجار الصنف هناك .. إيه دنيا .. قالها حزننا على حاله وأن المعلم مكتفى بواحده .. وصل إلى دكان الأسطى عجور المزين الذى كان يقف أمام المحل حيث لا زبائن عنده الآن وعرض عليه أن يدخل المحل يتعطر بعطر جديد مستورد حديثاً من الخارج وسأله.

. عطر فى جزازة خل .. عنفه عجور قائلاً:

- أنت عايز العطر وإلا الجزازة؟ المهم الحشو يا شيخ حسنى .. قام عجور بعمله مع تهذيب شاربه ثم اقترب منه متسائلاً بخبث:

- تفكر مين حيحوز يا شيخ حسنى؟ انتفخت أوداجه لهذا السؤال وهو العليم ببواطن الأمور.

- حيكون مين يا عجور غير المعلم صاحب المزاج الراقى، راجل دماغه مكلفه ترك عجور زجاجة العطر المستورد قائلاً:

- بتقول إيه؟! حبشى حيحوز على أم وديع، يخرب بيتك يا حبشى!! دا الست قايدة صوابها العشره له ولعياله، أخص على كده، ترك الشيخ حسنى يختبر كل أصناف العطور والغازلين ويمشط شعره فشاهد سعيد أبو النوم صاحب قهوة "الصبح بدرى" قائما جهته فسأله.

- على فين يا سعيد؟ أجابه بأنه محتاج ياخذ تعسيله حتى يفوق من النوم الكابس عليه .. ثم سأله أمال أنت جاى منين؟ أجابه: والله جاى من البيت وكنت نايم لكن حسيت وأنا ماشى فى الشارع انى محتاج شوية نوم، انتبه وسأل عجور.

. باين عليه فرح، هو مين حيحوز يا عجور؟ اقترب منه:

. حبيبك، هز رأسه قليلاً ثم سأل.

. حبيبي!! يعنى مين؟

. المفترى حبشى، انتبه سعيد حيث أخذته نوبة نوم كعادته.
. ياه!! هو لسه المعلم مجوز من أم وديع؟ على كل حال خير ما ح يعمل ..
ماهو راجل كسيب، حضر برعى صبى القهوة فطلب منه سعيد أن يخبر
صادومه ورزق أننا عايزين نعمل واجب مع المعلم، الليلة دية ليلته .. الصبى
مستفسرا.

. ليلته!! ليه ، هو رايح الكركون؟ ضحك سعيد.
. ليلته يعنى حيوز .. دخله ياد .. أفهموها .. دا جواز جاية من الجوزة اللي
عندنا فى القهوة .. افهموها يا عالم!!
- عجور .. لا يا معلم سعيد: دية جاية من جوز يعنى اتنين .. راجل ..
ومت .. بس يا ترى مين العروسة؟

مازال الغناء وصوت الميكروفون يذيع أغانى الأفراح "متزوقينى يماما قوام
يماما" وتوب الفرح يا توب ح ألبس لك الطرحة "ويادبلة الخطوبة" وساكن
قصادى وبأحبه .. إلخ .. شاهد عجور أم وديع قادمة فى اتجاههم فطلب من
الشيخ حسنى إخبارها بترك الحارة الليلة، خرج الشيخ حسنى إلى الحارة فشهد
أم وديع.

. أهلا بالست أم وديع .. ردت تحيته مع ابتسامة عذبة ظهرت أسنانها البيضاء
مع جمالها الطبيعى وأكملت حديثها.

. مالك متلمع كده الليلة، نظرت لما فى يده فشاهدت دفترأ ..
. يا ترى ده دفتر الطلاق؟ يجيبها بكل ثقة:

- لا لا لا .. طلاق إيه يا أم وديع .. ده دفتر الجواز .. سمعانى ب أقول
جواااز .. ليلتأ قل .. تجيبه.

- طيب يا خويا ومين يبقى العريس؟ ينفش نفسه كأنه سيلقى ببيان عمكرى

. حيكون مين غيره ' عترة الرجالة فى الحتة، نظرت إليه باستخفاف.

. يعنى مين؟ اسمه إيه؟

. حيكون مين غير المعلم حبشى!! وقفت لحظات مشدوهة فاقدة النطق وتدققت الدماء إلى وجهها الجميل وأطلقت عدة صرخات قلبت الحارة رأسا على عقب واندفعت جهة الشيخ حمنى وجذبتة من ملابسه فسقط على الأرض ويجواره الدفتر وحضر المعلم مسرعاً مستفسراً بصوته الجمهورى القوى.

. عمل فيكى إيه الوسخ ده؟ نظرت إليه بكل ضيق قائلة:

. ما هو أنت زيه، جذبتة من جلبابه وحاول الفكاك منها ..

. فيه إيه يا وليه .. يخرب عقلك يا مجنونه، طلب المساعدة: "ياد يا وديع" تعالى خد المجنونة دية بعيد عنى، حضرت باقى النساء تحتضن مريم وهى باكية وتلقى بكل اللعنات على زوجها الفلاتى أبو عين زايغة وتعدد موافقها معه وتحملها كبسات المباحث لمنزلها وأخرتها رايح يجوز علىّ مره تانيه بصقت جهته فوقف مذهبولا مما فعلته به زوجته وهو خال البال.

توقفت الأغانى وبثينة وخالتاها ينظرن من خلف شيش الحجرة على هذا

المهرجان العجيب ما بين الضحكات والأغانى إلى الصويت والعويل أما الناس فى الحارة فالجميع انتقد المعلم لفراغة عينه وآخر يقول.

. الراجل كسيب وعنده الصنف اللى يخلى الفار أسد، له حق ..

. شخص آخر: بس إزاي يجوز واحده تانيه ياناس، دوول قبط مفيش عندهم

اكازيون جواز زى عندينا، دوول لهم بطاقة جواز زى بطاقة التموين، تتجوز

وأنت وحظك ..

. يعلق آخر: يعنى زى المحلات اللى بتقول إن البضاعة اللى بتتباع مترجعشى

ضحك البعض بينما وقف الشيخ حمنى سعيداً بأن استطاع بذكائه وألمعيته أن

يكشف المستور حيث قال:

. المعلم حبشى مدوخ بتوع المباحث ومدوخ معلمين روض الفرج لكن انا الشيخ
حسنى واللى عارك وفهمك يا فلاتى يا بتاع النسوان .. هيا .. هيا .
وقف المعلم وسط الشارع وجماهير المدعويين وأصحاب المزاج
والمتطفلين يتجمعون لمشاهدة ما الذى سوف يحدث لهذا المزواج بينما عيونهم
تتفرس وجوه الموجودين حتى عثر على الشيخ حسنى فجذبه من بين عجور
وسعيد أبو النوم وصاح قائلاً:

. دوخت معلمين روض الفرج ووكالة البلح والسيدة والبوليس وكلهم ما اخدوش
معايا حق ولا باطل، محدش طلع على الغلب ويهدلنى وورانى النجوم فى عز
الضهر غيرك، أعمل فيك إيه؟ أرفدك من الحتة وأجيب حد غيرك، تدخل أهل
الحتة كعادة ولاد البلد الطيبين، طالبين من المعلم الصفح عنه، تراجع المعلم
قائلاً:

- معلش يا حسنى، أن مخليتك حتى متقدرشى تطلع السلم ما ابقاش انا
حبشى .. خلاص سماح المره دى .. ده كله علشان خاطر جوز العصافير
الحلويين .. ثم نظر إلى زوجته:

- حتفضلى مجنونه لإمتى؟ إحنا كلنا متفقين على الفرج وعارفين حنعمله
النهارده علشان خاطر حبايبنا اللى رجعوا ونوروا الحتة، اعلى وخليكى فاهمه
كل حاجه .. ويعدين هو إحنا بنروح لأ بونا لما حنطلب الشيخ حسنى .. عيب
متخليش الناس تضحك علينا .. صفقت جموع المشاهدين وطلب المعلم أن
تعود إذاعته الخاصة للإرسال حيث انتهت المعركة وفاز فيها العصفوران ولم
يهزم أحد.

وقف المعلم بعد أن وجه كلمته لزوجته والتى بدى عليها الخجل لتناولها
على زوجها وهى تعلم أن الشيخ حسنى لا يستطيع لا طلاقهما ولا زواجهما
وقف المعلم قائلاً:

يا أهل الحثة الجدعان، الليلة دية بتاعة أعز شباب فى الحثة الطوبين اللى حبوا بعضهم من زمان وشفناهم صغيرين وكبروا بينا، أه معلوم كبروا بنا أمال إيه، ويعدين تعبت الست بسبوسة " صفقت " نساؤه الأربعة .. المهم رينا رجعها لنا بالمسلامة ببركة الرب ويسوع، قاطعه الشيخ حسنى قائلاً:

. ببركة رينا وسيدنا محمد، ضحك حبشى وظهرت أسنانه الذهبية .. ببركة كل اللى قال عليهم الشيخ، صفق الجميع وقال أحدهم:

. " موسى نبى وعيسى نبى ومحمد نبى وكل من له نبى يصلى عليه " صفق الجميع وعاد حبشى قائلاً:

- باقول الليلة ح نحتفل بجواز ست الحثة الست بثينة والباش مهندز هشام مازالت أصوات الطبل والهتافات والزغاريد .. بينما هشام ينظر إلى بثينة وعمتيه بدهشة مستقراً .. إيه اللى حصل؟ يمكن غلظت فى المعاد مع وديع أو هوه اللى غلظ، أطلقت الزغاريد ووزع الشريات واستنقر المعلم من حريمه قائلاً .. فى المناسبات اللى زى دى الناس بتأخذ معها ازايز شريات وأنا باقول هما ملهمش فى الصنف إيه رأيكم أخذ معايا كام ازازة بيرة ساقعه، أسرع وديع قائلاً:

. والمسيح يا بويا بلاش الحكاية دية معاهم، هشام بيشرىب نعناع مغلى أو حلبة حصى .. هاهاها .. هاهاها .. نعمت عيون حبشى من الضحك وتبعته نساؤه الأربعة حيث علقن أن تلك المشروبات لا تساعد على الأمور الزوجية وهن يتضحكن بأنوثة.

توجه حبشى مع الشيخ حسنى وعجور وسعيد أبو النوم ووديع وسارة إلى شقة الأسرة مستأذنين فى الدخول حيث احتضنوا هشام وقبلوه وقامت سارة بنفس التصرف مع بثينة والتي كانت فى أسعد حالاتها منذ عادت إلى الحياة

وكتب الشيخ حسنى الكتاب وشهد على العقد عجور وسعيد أبو النوم وطلب هشام أن يشهد المعلم على عقد زواجه، تخرج الرجل خوفاً من غضب الشيخ حسنى ولكن هشام قال:

- مش حيزعل، وده جوازى وأنت قمت بكل ده علشان تسعدنا وتبسطننا وإحنا ممتنين لك ومش حنقدر نرد جمالك وأنا باعتبارك زى أعمامى من يوم ما وعيت .. وبثينة بتأيدنى فى كل ده وأنت المساعد لنا إحنا الاتنين؛ وأقل حاجه تشهد على جوازى من أعز الناس، أطلقت الزغاريد وسمعتها النسموة بالشارع فأكملت معزوفة الزغاريد المتتالية.

أقترب حبشى من هشام ودموعه تسبقه متأثراً مما قاله واحتضنه وقبله ثم أسر فى أذنه بأنه يحمل تعميرتين من صنف بريمو ولنح وآخر برفكس واسمه "انا وأنت والحب تالنتنا" ضحك هشام بينما أقبل وديع مسرعاً.

- جرى ليه يا با؟ .. لكن المعلم ابن البلد طيب القلب سأله:

- على فكره يا باش مهندز الواد ديعه بيقول إنك بتتعاطى صنف جديد اسمه نعناع أو حلبه حصى .. كويس الصنف ده؟ أما هشام قليل الخبرة مع أولاد البلد أجابه:

- لا يا معلم. ده مشروب اسمه نعناع والحلبه زيه، مش صنف من إياه فضحك المعلم ووديع على تلك اللقمة من حبشى وخرج الجميع بعد أن شهدوا أن بثينة منذ هذا اليوم أصبحت زوجة لابن خالها هشام راضى حمن صديق وأغلق هذا الزواج أمام بثينة باب الخوف من أن تأتى أمها أو شقيقها فاروق طالبين عودتها إلى العتبة لبيعها فى سوق النخامة مرة ثانية، قالتها بثينة وقالها هشام وهو يصلى ركعتين شكراً لله.

زفاف مع إيقاف التنفيذ

أصبحت العمة أو الخالة مندس الصورة المصغرة لأمها فردوس والدموع تملأ عيونها وتذكر وتفكر فيما حدث أمامها حيث غادر أبناء الحى الطيبين المنزل تاركين خلفهم قلبين كبيرين لشابين صغيرين وهما ينتظران ذلك اليوم وتلك اللحظة ويستعدان لها ولكن القدر وغواية الشيطان والكراهة والأثمانية ضرب بكل هذا عرض الحائط لكن إرادة الله فوق كل شيء.

تذكر هشام حديث زميله فتحى الذى كان يدرس بالمدرسة الثانوية بطنطا .. إرادة وقدره وحكمة الخالق فوق كل شيء .. تتهد قائلاً: كان القدر مؤلماً علينا وكان أيضاً رحيماً بنا فقد أرسل آخرين لا يمتون لنا بصلة بل ويتزعمهم شخص يخالف القانون وليس على ديانتنا ليكونوا رحماً بنا وقد بذلوا من الجهد الكثير وهم أبناء الطبقة الشعبية الفقيرة الذين لم يحصلوا على أى قسط من التعليم أو الثقافة ليقوموا بهذا العمل الخارق لإسعادنا مثل ما قام به المتخصصون فى مستشفى قصر العينى تحت رعاية وحب الطبيب الأب والذى آل على نفسه أن يبذل كل جهد فى خدمتنا وخدمة العلم مبتعداً عن ماديات هذا الزمن القاسى على الضعفاء بل وحمل هذا الطبيب رسالته على أحسن ما يكون وأنفق من جيبه الخاص كل ما كانت تطلبه بثينة أثناء مرضها لكى يرفع عنها آلامها وتعبها وتعاستها ويدخل البهجة والسرور إلى قلبها ضارياً بالقوانين الوضعية جانباً حيث وافق على أن أقيم بقسم علاج النساء لرعايتها وهي التى جار عليها الأهل قبل أن يجور عليها الزمن، هو الله الرحمن الرحيم الذى يسخر فى الأرض أناساً يرحمون ولا يظلمون حتى يعدلوا وينظموا دفة الحياة القاسية على بعض أبناء البشر التعساء، الذين دفعت بهم

الأقدار فى مهيب الريح العاتية الظالمة، هو الله القادر على كل شىء والذى دفع بكل هؤلاء ليسعدونا ويقيموا لناُ عرساً بهيجاً دون وجود الأهل ولم نتحمل من أجله أى نفقات.

جلس هشام ينظر إلى زوجته قائلاً لها: الآن أصبحنا زوجاً وزوجة أمام الله وأمام الناس، نظرت إليه قائلة: ياه يا هشام .. من أجل تلك الورقة نحلل ما كانُ محرماً تاركين القلب والفؤاد ينتظران إلى أن توقع تلك الورقة من الشيخ حسنى ووجود شاهدين عدل .. يجيب:

إنه القانون وهو مستمد من الشريعة وبدون قانون يظلم أصحاب الحق وتضيع الأنساب ويجب علينا ألا نضع همنا على الورقة ولكن نضع كل الخطأ على الذين يرتكبون التدليس فى الزواج، لقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام .. إن أفة الإسلام الكذب .. أى أن الكذب هو أكبر الشرور ولو لم يكذب عليك أهلك لما حدث ما حدث ولكنه قدر وقد ارتضينا نتأجه وقد حمانا الله وأنقذنا وأرسل من يساعدنا، اقترب منها قليلاً مقبلاً وجنتيها وملمسا على شعر رأسها فنظرت إليه بسعادة قائلة:

أمازال قلبك يهفو إليّ كما حدث منذ عامين؟ يجيبها بالإيجاب .. وتسأله: لقد رفضت أن تقترب منى وأنا جميلة وفى أشد حالات نضارتى وشبابى والآن تشعر بى وتقبلنى .. أهذا عطف أم حب؟

الحب موجود فى الحالتين، الحب يشمل العطف لأنه شعور إنسانى راق ولكنك الآن زوجتى وما هى عمتى زينب المراقب العام لأفعالنا وترانا والسعادة بادية عليها، لماذا؟ لأننا نتبع الشرع والعرف الذى هو قانون إلهى، اعتدلت فى جلستها مستندة بظهرها على خالتها زينب تنظر إلى زوجها هشام بكل معانى الحب طالبة منه ألا يكف عن الحديث، ابتسم قائلاً:

. من عيني يا بسبس .. أسعدتها كلمة التذليل التي سمعتها منه منذ أكثر من
عشرة أعوام وهما جلوس على الرصيف مع وديع وسارة وقالت له: أنت فاكر
كلمة بسبس فى فيلم بنات اليوم واللى كان أحمد رمزى بيقلها لكريمان ..
أجابها:

- فعلا أنا فاكرها، ثم مال عليها طابعا قبلة خفيفة أسعدتها وأعدت سؤالها
بطريقة أخرى.

. هشام أنت شايفنى جميلة وحلوة زى قبل كده؟
. بسبس حبيبتى .. إنتى زى الورد البلدى .. فجماله وعطره الفواح دايمًا ومغيش
حاجه تتافسه .. أممك يديها بكلتا يديه واسمعاها أغنية محمد عبد الوهاب:

يا ورد مين يشترك وللحبيب يهديك
يُهدى إليه الأمل والهوى والقُبل

يا وردى

جففت الخالة سندس دمة بثينة التي قالت :
. حلوه خالص يا هشام بس أنت عارف أن الورد البلدى كله شوك .. فأجابها
حلاوته فى شوكة، لم يعجبها التعبير؛ لكنه أوضح لها أنه لم يقل هذا .. فقد
قاله عبد الوهاب:

بأحب الورد علشان الشوك اللى فى الورد
وإن عشق القلب وأتمنى جرحه وتعنبيه
يودينى لعطف حبيبي يهون الجرح ما دام الجرح

ضحكت من معانى الأغنية والتي تقول إنه يحب الورد من أجل شوكة

مالت عليه قليلاً فاحتضنها برقة خوفاً على ضعفها ووهن صحتها وقبلها وهي
سعيدة لامعة العيون ثم سأله عمته:

. أنت ملاحظة تحسن صحتها كثير؟ أيدته العمّة قائلة:

- "إحنا كنا فين وبقينا فين .. بقت زى الفل وكلها شهرين وحتبقى أحلى من
الأول، قبلت خالتها قائلة:

- مش عارفه كنت ح أعمل إيه من غيركم؟ ادعى ربنا أنه يديم علينا نعمته
وربنا يخليكم.

نهضت سندس لتعد لهما طعام العشاء ومازالت أصوات الميكروفون
تصدح بالأغاني والناس سعداء لهذا الاحتفال ، سألتها زينب .
إيه الأكل اللي تحبيه؟

. هشام جوزى حبيبي يحب يأكل إيه؟ ضحك قائلاً:

. تعرفي عايز إيه؟ .. عايز أكلك .. بس كل يوم حته ..

. بس أنت حنقوم جعان .. عشان ما فيش غير عضم .. ضحك الثلاثة وتنامي
إلى سمعهم بعض طرقات على باب الشقة، فتحت زينب الباب حيث كانت
مشغولة بمتابعة ما يجرى فى الشارع وكان القادم كل من وديع وسارة حيث
سألا العريسين لماذا تختبئان فى تلك الليلة الوحيدة فى العمر .. الكل يريد أن
تشاركوهم .. نظر هشام إلى بثينة حيث أشارت إليه ماذا أفعل ولك القرار ..
سأل هشام صديقه وديع.

. طيب قلنا يا ناصح يا بتاع الفول والدره (حيث يعمل فى تجارة الحبوب مع
عمه ناسد) .. أجاب وديع :

- قول ودره!! هو أنا الأستاذ حمام نحن الزغاليل .. من غير جناح بنميل
ونظير والحب فينا طبعه جميل .. أستاذ حمام نحن الزغاليل .. قامت سارة

تشاركه الأغنية وترقص قريبا من بثينة التى كانت تصفق لها، أسرع زينب تخبر سندس بزيادة عدد الأقراد لتناول العشاء من أربعة الى ستة حيث أقبل عيلين من أصحابهم .. كان يطو للعمتين التحدث بهذا الوصف لصغرهما بالنسبة لهن .. تساءلت سندس كيف يمكن لبثينة وهشام المشاركة فى الاحتفال دون إرهاقها، أجابتها سارة بأنه يمكن وضع كرسيين لهما فى البلكونة الصغيرة المخصصة لنشر الغسيل والتى لا ترتفع عن سطح الأرض إلا بمقدار المترين أو أقل قليلاً .. أسرع زينب طالبة مساعدة سارة حيث نقلوا كل شئ من البلكونة فأصبحت فارغة ووضعوا كرسيين بها وأخبروا هشام وبثينة بهذا وأسعدتهما تلك الفكرة حيث سيشاركان فى الاحتفال المقام لهما دون خروج بثينة إلى الحارة لأن صحتها لا تتحمل مثل هذا المجهود كما وافق هشام على هذا ولكنه تراجع خوفاً على بثينة حيث كان الدخان الناتج من تعميمات المعلم حبشى والذى وزع منه الكثير على الحبايب بهذه المناسبة قد غطى المنطقة أشارت له بثينة بسعادتها أن ترى الناس سعداء حتى فيما يضرهم .. ضحكوا لهذا فأمسك هشام بيد بثينة وظهرها على أهالى الحارة وشاهدهم الجميع وكان أول من شاهدهم المعلم حبشى حيث هتف مصفقا بصوته الجهورى:

. الله أكبر .. عرايسنا الحلوين ظهروا زى البدر .. سلام مربع يا أسطى على يا ترمييته .. عزف السلام مع رقصات بعض أهالى الحتة من الشباب والذى يجيد الرقص عشرة بلدى .. كما صرخ المعلم فى النسوان الواقفات لمشاهدة الإحتفال قائلاً:

- زغربتوا يا نسوان وإلا حامنع التعميرة عن الرجالة وتبقى ليلتكم تشخير ورجالكم يعملوا زى ميمون!! .. ضحك الأسطى عجور المزين.
- كده حيعملوا نوم العازب .. ضحكت النسوة .. متسائلات:

- ليه يا معلم؟ .. خد زغاريد حيث ضج الشارع بزغاريد وتصفيق وضحكات بين سعادة وبهجة الجميع .. تساند الحاج فخرى بمساعدة أحد أحفاده حتى وصل البلكونة منخفضة الارتفاع عن الأرض حتى وصل إلى العريسين ووقف أسفلها مقدماً تهنئته لهما وهدية بتلك المناسبة قائلاً لهما: انتما فى عمر أحمادى وكنت أشاهدكما تلعبان وتمرحان وانتما صغيران والآن أصبحتما شابيين يافعين وتحفان بهذه المناسبة السعيدة فى حياتكما، أهنتكما من كل قلبى وقد سعدت مثل أبناء الحنة المخلصين الطيبين وأريد وعداً منكما بعد أن يمن الله عليك بالشفاء يا عروس الحنة أن تعودا ولو لمرة واحدة تلهوان وتلعبان بالعجل "الدراجة" مثل ما كنتما تعلان فى الماضى وسيدخل هذا العمل البهجة والسعادة إلى قلوبنا جميعاً لأننا سنتأكد أنك قد عُدتِ إلى سابق عهدك وأن الله أكمل شفاؤه عليك.

كان الهدوء والصمت هو السمة الغالبة للناس جميعاً أثناء حديث كبير الحنة إلى العروسين حيث توقف الغناء والتصفيق والزغاريد احتراماً له حتى انتهى من حديثه مع العروسين وضج الجميع بالضحك والتلهيل بعد حديثه وتساءل المعلم بصوته الجهورى .. فىن الأسطى توفيق أكس؟ فأسرع معاونون لإحضاره حيث قال له المعلم وهو يسير برفقته جهة الحاج فخرى .. سامع كلام كبيرنا وعمنا وتاج راسنا عم فخرى .. أعاد الحاج فخرى حديثه عارضاً أمنيته عليهما أمام الجميع بالعودة إلى ركوب العجل حتى يتأكدوا أنها بصحة جيدة وأن هذا سوف يسعد الجميع ويعيدنا عدة سنوات إلى الوراء ونتذكر ما كنتما تعلان .. تعهد الأسطى توفيق أكس بأنه من الآن سيجهز أحدث دراجتين لهذه المناسبة السارة لهما كما أقسم يمين تلاته بالطلاق من زوجته أنه لن يحصل منهما على أى مليم وسوف يقوم بها جدعه "كادوه يعنى"!!

وعلق الشيخ حسنى على قسم توفيق شكل تلاق بالتلاته قائلاً:
- بس أنت مش مجوز يا أسطى .. لما أروح أجيب نفتر الجواز ولكن المعلم
حبشى منعه قائلاً:

. دى ليلة عرايسنا ومافيس جواز إلا لهم وحدهم وخلقى توفيق فى ليلة تانيه ..
أه يعنى ليلة الغطاس عشان يغطس وما يقبش وأضحكت تعليقاته الجميع وقد
بدأت آثار التعميرة تظهر على البعض من الضحك بمعنى وبدون معنى .. ثم
مال حبشى على الحاج فخرى قائلاً:

. الليلة أمان يا كبيرنا؟ فنظر الرجل إليه مبتسماً قائلاً:

- والله علمتها عشان خاطر الاتنين الحلوين بتوعنا وطلبت من حمدى ابني
يعرفهم أن فيه فرح يهمننا وبلاش عكنته الليلة .. انفرجت أسارير المعلم
وظهرت أسنانه الذهبية اللامعة وصفق بشدة قائلاً: الله .. الله .. الليلة دى
بتاعتنا .. الكل بييجى وحأبسطة آخر انبساط حيث اقترب منه عجور قائلاً:
"يعنى فيه بلاوى حتحصل يا معلم"؟ فضحك قائلاً:

. أمال إيه .. دى ليلة أنس وفرشة والتقطت سارة الكلمة من المعلم وهى تقول:

ليالى الأنس فى فيينا ... نسيمها من هوا الجنة

المعلم : سمع هووووس .. يا ترمبته اضرب الأغنية بتاعة .. قوليله عليها يا
سارة .. وأسمعتة مطلع الأغنية حيث طلب ترمبته من بطانته ترك سندوتشات
الكفتة التى يأكلونها أثناء العزف والتفرغ لعزف أغنية أسمهان .. ليالى الأنس:

ليالى الأنس فى فيينا دى فينا روضة من الجنة

نغم فى الجو له رنة سمعها الطير بكى وغنى

ما بين رنين الكاس ورنه الألكسان

متع شبابك فى فينا دى فينا روضة من الجنة

أسعد الجميع غناء ورقص سارة على موسيقى الأغنية التي أشجبت الجميع من شدة رخامة وعذوبة صوتها وقبل أن تنتهي أغنيها أقبلت سيارة ملاكى وتوقفت بعيداً عن المنزل وهبط منها بعض السادة يرتدون ملابس أنيقة وتتبه المعلم لاحتمال بعض رجال المباحث ولكنه تراجع قائلاً:

. انا عارفهم كلهم .. كل مباحث المخدرات صورهم فى دماغى المكلفة .. روح يا عجور شوف الأفنديات عايزين إيه؟ ثم نظر إلى حريمه معلقاً، باين عليهم ملهمش فى الصنف والا يمكن عايزين بييرة تبرد على مراوحهم .. هاهاها .. هاهاها .. كله موجود.

غادر القادمون السيارة حيث أغلق الشارع من كثرة الناس والعامّة الذين افترشوا الأرصفة ما بين مدخن وما بين آخر يحتسى البييرة بين الضحكات والغناء كأنه موسم غنائى راقص لهذه المنطقة .. كان القادم هو طبيب بثينة وبعض معاونيه .. الطبيب الأب الذى أنهى العمل بعيادته وأقبل كي يطمئن على مريضة عمره كما كان يتندر بقول هذا لمعاونيه، قابلهم عجور مستفسراً عن أى خدمة يستطيع تقديمها لهم ولكن الطبيب أجابه بأنه جاء فى زيارة حيث كان ينظر إلى السماء وقد تلبدت من آثار الدخان الناتج من تدخين الجوزة المنتشرة حيث لحق به المعلم قائلاً:

. أهلا بالبهوات .. أى خدمة؟ .. لكم فى الشد والا الأربعة؟ .. نظر إليه مراقبو الطبيب الذين لا يعلمون شيئاً عن تلك المصطلحات والتي لم يدرسوها بالجامعة.

- والله انا مش عارف بنتقصد إيه؟ اعتدل المعلم وأستاذ ورئيس قسم المزاج العالمى يوضح لهؤلاء الجهلاء الغرض من سؤاله..
. شوف يا أفندى .. القريبة يعنى لا مواخذة تشريك كام إزازه بييرة مثلجه ..

تعديل المراوح .. آه معلوم تعديل المراوح وتبسط الزعلان .. لكن الشد .. ياه على الشد والمسحب حاجة كده طيران فى السما أمال إيه .. دا اسمه المزاج أو الكيف يعنى لا مواخذه .. أجهزلكم كام حجر بتعميرة حلوه زيكم ، الواحد يفضل أسبوع ناسى الهم اللي مراته عامله فيه أو قرف البوليس والحكوميه .. أمال .. ده شغل على نضيف .. طلبات الأفندية ..

ضحك الرجل حيث شاهد بثينة وهشام يتحدثان مع بعض الأصنقاء فصاح محبياً ومشيراً لهما وسعد الاثنان بحضور الطبيب الأب لزيارتها كما وعد سابقاً .. تقدم إلى منزلها يرافقه المعلم معتذراً عن جهله بشخصيته وقد أطرى وأشاد به كطبيب آخر قل وجدعنة .. وسأله الطبيب:

. إيه سبب كل الزيتة اللي فى الشارع؟ فاقترب منه المعلم:

. أصل عقبال عندكم المزمازيل بسبوسة أجوزت سى هشام النهارده، أسعد الخبر الطبيب كما أدهشه .. أيوافق على هذا الزواج أم يرفضه؟ إن بثينة غير مؤهلة للزواج الآن، صحيح أنها أصبحت أحسن حالاً لكن أن تتزوج وتعول وتحمل وتقوم بأعباء زوج وأسرة فليس هذا الوقت المناسب، فى الوقت نفسه الزواج من هشام هو الشيء المهم الذى أرسله الله لهم لكى تعود إلى ما كانت عليه أو على الأقل تتحسن حالتها .. كل هذا فكر فيه الطبيب أثناء مرافقته للمعلم الذى لم يتوقف عن الكلام والترحيب به من مكان وقوف السيارة حتى وصوله إلى باب الشقة، قدم الطبيب التحية لهما ووقف أمامهما وهما فى الكوشة المتواضعة .. وجه كلامه إلى هشام قائلاً:

. جواز مع إيقاف التنفيذ، ابتسم هشام قائلاً:

. موافق يا دكتور .. ابتسم الطبيب من إجابة هشام مستأذناً فى أن يقدم تهنئته إلى العروس وأفسح له مكاناً فى الكوشة حيث هناها مقبلاً رأسها وقال بكل حنان الأب.

. دلوقتي اطمأنيت عليك .. ثم نظر من أسفل الطرحة إلى شعر رأسها وهتف
الله .. كله كويس وماشيين عال، أحضرت خالتها سندس صورة لها قبل
سفرها التعيس وأشاد الرجل بجمالها وحسن خلق الخالق قائلاً: ستعودين إلى
هذا بعد شهر قلائل مستأذنا في أن يعود إلى منزله لأنه مرهق من العمل
نهض هشام لوداعه وراقبهم حبشى حتى باب السيارة.

استمرت الزيتة وسعادة أهل الحارة حتى قبيل الفجر بعدة دقائق، هكذا
تزوج هشام وبثينة في احتفال شعبي رائع أسعد الجميع وكان لأهل الحارة
الفضل في إتمامه ونجاحه بعد الله عز وجل.

مساء اليوم التالي حضر لزيارتها كل من وديع وسارة، هذا يوم
الصباحية كما جرى العرف .. انتحت سارة ببثينة جانباً ودار بينهما حديث
هامس لا يسمعه الشابان وظهرت علامات الخجل والحياء على وجه بثينة من
حديث سارة لها أثناء ذلك كانت سارة تحرك يديها الاثنتين علامة الخيبة الكبيرة
التي لحقت بصديقتها بينما سأل وديع صديقه.

. إيه الأخبار يا هندزه؟ .. دبحت القطة؟ نظر إليه هشام بضيق وتبرم قائلاً:
- إيه اللي بتقوله ده؟ حرام عليك! ده حيوان أليف إزاي أدبجه!! دا الجزار
ميرضاش يعملها، ضحك صديقه ضاربا كفا بكف واقترب منه ناظراً في عينيه
وممسكا بقميصه وجذبه ناحيته.

- ياد بأقول دبحت القطة؟ أراد هشام أن يعيد استنكاره لما يقوله وديع ولكن
وديع وضع يده على فمه حتى لا يتحدث واقترب من أذنه ليسر له ببعض
الكلمات فضحك هشام قائلاً:

. هيه دية القطة اللي بتندبح؟ دفعه وديع بعيداً برفق .. إمال إنا بنقول إيه من
الصبح؟ .. دا أنت نيله!! انا مش عارف أنت صاحبي إزاي؟ أجابه

. هو عشان أكون صاحبك لازم أدبح ققط وكلاب ضحك وديع:
 لا .. قطة بس ومافيش كلاب، حضرت سارة ونظرت إليهما لتستوضح عن
 السبب الذى أضحكهما فأخبر وديع زوجته.
 . الواد لسه ما دبحشى القطة يا سوسو .. مصمصت شفقتها ..
 . عرفت الموكوس موكوس .. يا عيني عليكى يا بسبوسه حتلاقيها منين والا
 منين .. نمشى ونسبهم يا ددعح يمكن يقدر يدبح فار والا خنفسه.
 ضحك بصوت عال فسمعه المعلم وهو جالس فى عرشه المفتوح
 - إيه يا ديعه؟ خليك حنين وحاسب على راحة المزمازيل ست العرايس ..
 ضحك وديع ثانية قائلاً لهشام.
 . مجيبش حاجه من عندى؟! أبويا فى الشارع بيقول المزمازيل يعنى عارف أن
 خبيتك راكبه جمل؛ نظرت إليه سارة.
 . طيب متجيب له تعميره يمكن تتصلح الأمور، ضحك وديع معلقاً:
 - طيب حاروح للمعلم وأسأله عن تعميرة حلوة تكون ماشيه مع الظروف دية
 تسأله سارة
 - تفتكر إيه التعميره المطلوبه للحاله المستعصية دية واللى نخر فيها الموس
 زى الحبوب اللى بتبيعها عند عمك ناشد؟
 . آه صحيح .. إيه ينفع معاه يا سارة؟ ايوه تعميرة ملوكى "الصح اندح أنبوه وادي
 الواد لأبوه " ضحكوا معا ودفعه هشام من باب الشقة قائلاً:
 . اتنين مجانين ومجوزين بعض .. علقت بثينة:
 . صحيح لكن دمهم خفيف وباحبهم موووت.

عصر اليوم التالى أتمر الأمطى عجور فى أذن المعلم بأن الشيخ حسنى

بعافية شوية حيث أخبره سعيد أبو النوم بذلك منذ قليل، اصطحب المعلم كل من سعيد وعجور وتوجهوا لزيارة الشيخ حسنى الذى كان راقداً فى سريره وظهر عليه الإعياء والضعف واستفسر أصدقائه منه عن سبب ما ألم به؛ فقد اعتقد المعلم حبشى أن حسنى قد تناول طعاما مسموما أو أن سحلية سقطت فى حلة الثورية أثناء إعداد أم خميس للطعام وزلطها حسنى ولكن الرجل نفى ذلك بل وأشاد بليلة الأمس وأن الصنف كان رائعاً ومن المحتمل أنه انحسد!!

لم يتبق على امتحانات آخر العام سوى شهرين بعدها يحصل هشام على درجة البكالوريوس ويعد نفسه لمجال العمل معتمداً على نفسه ويشق طريقه فى الحياة مثل من سبقوه .. أما بثينة فقد تدرجت فى التحسن وازداد شعر رأسها طولاً وجمالاً حتى وصل إلى قرب طوله السابق قبل المرض كما أنها تستطيع أن تمشى فى المنزل لمسافات قصيرة متبعة تعليمات طبيب العلاج الطبيعى الذى كان يقوم بزيارتها أسبوعياً ليرشدها إلى الطرق السليمة التى تساعد على الحركة والسير كما اقترح الطبيب الأب عليها ذلك .. كما تحسنت حالتها النفمية كثيراً وشعرت بالأمان وأنه لا تهديد بعودتها إلى العتبة ولكنها فى الوقت نفسه كانت تشعر بحنين إلى رؤية أمها ولكن خوفها مما تحمله الأم من أخبار سيئة قد يضر بمصلحتها جعلها لا تتعجل ذلك.

تضافرت جهود الخاليتين وتعاون هشام بالإضافة إلى متابعة الطبيب الأب الذى أرسل بأحد الأطباء من القسم الذى يتراسه لمتابعة الحالة أسبوعياً كل ذلك كان له الأثر الطيب عليها وأضيف إلى هذا شيئان هامين وهما .. عبق المكان أى المنزل والذى كانت بثينة تشعر فيه برائحة الجدة وأحاديثها وحنوها عليها .. والحارة أيضا .. حيث طباع الناس وأصوات الباعة، كل هذا كان

يذكرها بمراحل نموها والسنين العشر التي بدأت فيها مشاعرها تنمو في هذا المنزل منذ غزا هشام قلبها .. هكذا كان كل يوم يمر عليها يهبها قوة معنوية دافعة إلى الأمام وكان لشعورها أنها تحيا وتعيش مع أهلها وبينهم ومع أبناء الشارع والحي والسعادة واضحة عليهم لما أصبحت عليه.

مضى شهران على زواج بثينة وهشام مع إيقاف التنفيذ وبثينة تتاجى نفسها قائلة: آه يا ربى ماذا أقول وأتصرف عندما أحب شخصاً ونعيش معاً فى مكان واحد لا يحدث بيننا ما يحدث بين الرجل وزوجته وكنا نعيش متباعدين والآن عندما نتزوج يكون زواجا مع إيقاف التنفيذ .. تضحك لسخرية القدر وأن الإنسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً طالما لم يكن القدر قد قرر هذا فكل شىء جاهز ولكن للضرورة أحكام ولكن الأهم أننى أراه ويرانى وأسعد بخالتى وأبناء الحقة، هذا كل أملى ورجائى .. أقبلت عليها خالتها زينب قائلة:

. مالك يا بت؟ .. إهلويتى خالص فى اليومين اللى فاتوا من ساعة ما شفتك .. تسألها بكل حب.

. صحيح يا خالتي؟

- إلا صحيح .. صحيح ونص كمان .. قومى شوفى نفمك فى المرآة .. عاونتها لتقف أمام المرأة فشعرت أنها تحسنت كثيراً وتورد وجهها وطال شعر رأسها ولمعت عيناها فأمسكت الخالة ببعض أدوات المكياج لتساعدنا فى تلوين وإظهار حلاوتها مما أسعد بثينة وسألت خالتها.

- مش كده إيقاف التنفيذ خلاص؟ ممكنها الخالة من خدها معلقة مستفسرة: لما تظهر مشكلة كل شهر، بعد عدة أيام حضرت العمه لتخبر هشام بأن بثينة حالياً أصبحت حالتها الصحية على ما يرام وأعتقد بأن إيقاف التنفيذ قارب على الانتهاء.

جلس يفكر قليلا متسائلاً: أيصبح ما قالته عمته مؤيدا لهذا؟ اندفع إلى حجرة بثينة فشاهدا تجلس فى سريرها وياديا عليها السعادة والسرور؛ فردت يديها تستقبله بكلتيهما وهو الآخر اندفع جهتها يقبلهما وأعاد هذا إلى ذاكرتها الحدث الأول يوم الجمعة منذ عدة أعوام حينما كان علي أعتاب الجامعة وفى نفس المكان والمنزل مع تبديل الأدوار؛ هى تنام على سريرها من أثر المرض بينما وقف هشام يحدثها مما أثر فيه تأثيراً شديداً حيث ازداد حبه واندفاعه إليها فبادلته المشاعر وقبلها قبلة طويلة أسعدتها .. تذكرت أنها كانت تتمنى ذلك منذ عامين ولكن كل شيء بميعاد .. هو زوجها وهى زوجته .. مازال ممسكاً بيدها وتبادل الاثنان النظرات .. نظرات تعنى الكثير وكلها معانى وأمانى وأحلام .. استمرا على هذا لفترة ما وأخيرا قطعت بثينة حاجز الصمت قائلة:

. خالتي عرفتك؟

ابتسم لها مكتفيا بهز رأسه ثم أعاد تقبيل يديها ثانية فقالت:

. يخرب عقلك .. أتكلم أحسن وارحمني من بوس ايدى بتكهرينى بالحكاية دية الكلام ارحم ما أقدرش على بوستك النار، مازال ممسكا بيدها وضمهما إلى صدره فقالت:

. ياه عليك يا واد .. رد قول حاجه .. إيه؟ نزل عليك سهم الله .. يا واد بقولك خلاص .. إيقاف التنفيذ انتهى .. ناوى تعمل إيه؟ مازال ناظراً إليها غير راغب فى الحديث .. اضطربت قائلة لازم أنت العيان .. انا خلاص خفيت وبقيت صحتى حلوه .. تعالى نام فى السرير ونبعت نجيبك الحكيم يعالجك .. خلاص ماهى بقت شوطه .. مازال واقفاً لا يتحدث .. سحبت يدها من يديه برفق وفردت جسدها على السرير؛ تحدث أخيراً:

. مش عارف يا بسبوس أقولك إيه؟ لكن كل اللى انا حاسس بيه أنك بثينة من

سنتين .. بثينة اللي كلها أنوثة وجاذبية .. رينا يخليك .. باحبك .. اعتدلت
ثانية وقالت له:

- كل اللي قلتة ده عندي .. أنوثة .. وجاذبية ، أمال واقف مش بتتحرك
ليه؟ .. اعمل حاجه .. اتحرك .. شاور .. حسنى إن فيه بنى آدم قدامى ..
"أصوت وألم عليك الناس" !! .. دخلت الخالة فجأة وسمعت حديثها وامتنعرت
منها فأوضحت لها بثينة .. ضحكت الخالة وهمست فى أنها قائلة:

- إنتى زيه لسه عبيطه .. شوية ثقل يا بت .. إيه الطعامة والحلاوة دى ..
فراولة ولا مهلبية .. تركتهما عائدة إلى عملها فشعرت بثينة بالارتياح، عادت
بجسدها للخلف لتنام ومازالت تنظر إلى حبيبها الذي اقترب منها وكشف
الغطاء قائلاً :

- ياه يا بسبس، أنت بقيتى زى الأول وأحلى كمان وقد أسعدها مديحه فقالت
له:

- هشام حسالك سؤال ومش عايزاك تزعل أو تقول بثينة بتفكرنى بالحاجة
الوحشه دى ليه .. يجيبها.

. أى حاجه منك حلوه، قولى يا ستى .. إيه سؤالك؟ .. تتشجعت ومازالت تنظر
إلى الحبيب الذى لم يمل عينيه من حبيبته..

. وأنا مسافرة كلت أبله ليلان تطلب منك تسمع أغنية هدى سلطان ..

- حصل وسمعت .. ياه مش عارف أقولك إيه؟ والنبي يا بسبوس عيطت
وعينى احمرت من كتر الدموع وبقيت مش عارف أوقف الدموع إزاي وكنت
مكسوف وأقول إزاي راجل يعيط .. عيب كده ولكن تقولى إيه، حنفيه انفتحت
يا بسبس يا حبيبتي والأدهى من كده أن جارى فى المدينة الجامعية خبط على
الباب وهو بيعيط كمان .. ضحكت قائلة:

. عدوى ! يجيبها ..

- كان زى حالاتى حب ولا طلشى .. الحمد لله أن ماقيش حد سمع الأغنية
 غيره .. تبتسم مداعبة وهى تلمس على خده ..
 - ليه كنت خايف الناس تعرف أنك حبيت ولأطلتس؟ ضحك ومازال يلعب
 خصلات شعرها الأسود التى بدأت تتدلى على وجهها ..
 - أبدا خفت أنه يكون فيه غيرنا كثير وتبقى المدينة الجامعية كل شبابها بيعيط
 وبدلا منروح الكلية بيعتونا الحضانة ، ضحكت بأعلى صوت.
 - يخرب عقلك يا هشام .. لكن بعد العياط كان ردك أيه؟
 - فكرت يا حبيبتى أبعت لك جواب لكن مكنتش عارف العنوان وقلت فى نفسى
 أرد عليك زى ما أنت بعث لى جوابك المعبر لحنا وكتابة وأغنية .. عارفه
 بعث لك إيه؟ .. اسمعي .. بدا يطربها بأغنية المطرب المشهور عبد الغنى
 السيد:

ع الحلوه والمره مش كنا متعاهدين

ليه تتسى بالمرة عشرة بقالها سنين

ع الحلوة والمره

نسيت خلاص عهدنا ونسيت لينا

نسيت قوام ودنا ونسيت أمانينا

- إيه يا حبيبتى؟ زعلتك الأغنية؟ تجيب وهى مازالت دامعة ..
 - أبدا يا حبيبي مكنتش عارفه أن حبك ليا خلاك كده، اقتربت منه طابعة قبله
 خفيفة على خده فتذكر أول قبله منها فصاح رافعا صوته ..
 - يخرب عقلك .. رجعتينى خمس سنين ورا .. فاكرة يا بت لما عملتها
 بالليل .. وضعت يدها على فمه ..

. فاكره يا حبيبي .. فاكره .. فيه حاجات مينفعش فيها الكلام .. هشام، على فكره، انا حاسه ان صحتي أحسن لكن الحقيقه ح أتأكد أنها كويسة ورجعت تانى زى الأول تعرف امتى؟

. امتى؟ .. تجيبه ..

. لما تنفذ وصية عمى فخرى ليلة فرحنا ونرجع نركب عجل ونلف فى الشارع

وهو قاعد على الكرسي .. فاكرا يا هشام؟ .. أمسك بيدها قائلاً:

. فاكرا .. بس إزاي بنت طويلة وعريضة وتركب عجل .. دا أنت ناقصه تقولى

نروح الكورنيش ونقعد عند كازينو الشجرة .. ضحكت بسعادة لهذا الماضى

الرائع فى حياتهما.

جلس هشام على السرير بجوارها واستندت بظهرها على صدره وداعب

خصلات شعرها بين أصابعه ومن حين لآخر يقبلها من خدها تارة ومن شعر

رأسها تارة أخرى، شعر أن صوتها سكن .. مال ونظر إليها فشعر أنها خلدت

فى النوم بين أحلامها السعيدة، عدل من وضعها ووضع رأسها على المخدة

وفرد الملاء فوقها وترك الغرفة بهدوء.

من بولاق إلى شاطئ الغرام

مضى الأسبوع التي تحدثت عنه الخالة ومازال الحبيبان يستعجلان أمر إيقاف التنفيذ، كان من رأى سندس أنه يجب الحصول على موافقة الطبيب أولاً وأسعد هذا هشام بينما عارضته بثينة قائلة إن الطبيب سيؤدى بعض الاعتراضات.

توجه هشام إلى مستشفى قصر العينى وأخبر الطبيب الأب بالتطور الذي حدث لبثينة وأسعد هذا الخبر أكثر مما أسعد كل من العروسين حيث يدل هذا على أن العلاج النفسى الذى اتبع فاق كل ما اتبع من عمليات جراحية وأدوية ولهذا ركز على هذا قائلاً:

. هشام، استمرنا فيما أنتما فيه ومازال إيقاف التنفيذ سارياً ..

كان رد الفعل السلبي على هشام صعباً حيث كان يتوقع أن كل الأمور أصبحت طيبة ولكن الطبيب أوضح له أن بثينة الآن بخير وكل أعضائها الداخلية على ما يرام ولكن خوفاً من المستقبل وفى حالة الحمل فإن جسدها لن يستطيع أن يقوم بتغذية الجنين فى رحمها حيث إن كل يوم يمر دون تحملها مشقة جسمية أو نفسية سيكون عاملاً حاسماً ومفيداً فى أن تصل إلى الحالة التى نتمناها .

من الممكن استخدام عازل طبي ولكنى لا أنصح بذلك .. أقدر مشاعركما ولكن ما يريح قلبيكما هو مستقبل ما يأتى من هذا الزواج .. أى إنجاب أطفال أصحاء فلا تؤثر عليهم الحالة الصحية للأم، أرجو أن تكون مدركاً لما أقوله وأبغيه، أنتما جاهزان للزواج ولكن الخوف هو على الأطفال نتاج هذا الزواج قليل من الصبر يا أبنائي، أعاد كلمته بعد أن لاحظ دهشة هشام من قوله:

نعم أنتمأ أبنائى وهذا شعور تولد لى بعد المعجزة الإلهية حيث ابتعد الناس عن الله بما شغلهم من ماديات الدنيا، أنا أشعر أنى أب لاثنين من شباب هذا الجيل ولذا أرجو أن تصبعا النموذج العملى لعلاج مشاكل القهر النفسى واللى تزداد يوماً بعد يوم بسبب تغلغل المادية والبعد عن منهج الله ولك أن تعلم أن أطباء الطب النفسى مشغولون بدراسة هذه الحالة ويحصلون منا على كل المعلومات ليخرجوا منها باستنتاجات لدراستهم التى ستفيد الكثيرين فى المستقبل لما يعانیه عدد كبير من جراء تلك الأمراض التى ازداد انتشارها وهى أخطر من الأمراض العضوية حيث يتهاون الكثيرون بها وقد كنت شاهد عيان على تلك الحالة وأنت أحد أبطال فصولها وشاهدت وعانيت مدى نتائج القهر النفسى الذى يؤدى بصاحبه إلى الجنون أو الوفاة هذا بخلاف المرض العضوى الذى يتم علاجه بالأجهزة المساعدة أو الأدوية أو العمليات الجراحية ويخرج منها المريض معاف ولكن المرض النفسى اللعين هو أخطر تلك الأمراض، إننى أعتبره مرض كل أعضاء الجسد الإنسانى .. أرجوك ياهشام أن تكمل عونك معنا ومع حبيبتك حتى تنهى تلك الحالة بنجاح تام، عدة أشهر وسيتم المراد، أرجوك يا ابني أن تساعدنى فى شفاء ابنتى.

دمعت عينى هشام من تلك الحالة الإنسانية التى يتمتع بها هذا الطبيب العالم، تذكر أنه الطبيب الإنسان بكل معانى الإنسانية لقد كان يحمل قلب الأب ورقة الإنسان قبل العلم والتجربة، لقد استطاع أن يحصل على أحد أسماء الله الحسنى "الرحيم" .. شكره هشام على وعد بتنفيذ ما طلبه منه، اتجه إلى منزله يجر أنيال الحزن لنقل خبر لم يكن راغباً فى أن يعود به، إيقاف التنفيذ سار عدة أشهر.

بمنزل الجدة كانت بثينة تنتظر قدوم هشام بالخبر السعيد الذى سيجمعها

بحبيبيها، هذا الحبيب الذى يتمثل أمامها ولا تستطيع الاقتراب منه حتى بعد زواجهما الرسمى، آه يا حبيبي هشام، اليوم سيكون زفافنا الرسمى ولن أسمح له بأن يحصل على تعميرات من المعلم حبشى كما يفعل مع العامة ويقنعهم بهذا الهراء، ضحكت عندما تذكرت الشيخ حسنى الذى يحضر كل مساء ليحصل على تلك التعميرة.

وصل هشام إلى منزل الجدة وما زال متردداً فيما سوف يخبر به بثينة إنه يعلم علم اليقين أن استمرار إيقاف التنفيذ سيغضبها كما أغضبه ولكن ما باليد حيلة، وقف أمامها فنظرت إليه مستفسرة:

آه يا هشام يا حبيبي؛ لقد تأخرت على كثيرًا، ما وراءك من أخبار؟ هل ذهبت إلى الطبيب الأب؟ جلس بجوارها وأمسك بيدها مقبلاً وهذا فى غرفها قمة سعادة هشام كما أنه يعلم أنها سوف تسعد بتلك القبلة التى يطبعها على يدها وأصابعها الجميلة الرقيقة، آه يا بثينة يا حبيبتى؛ لقد ذهبت إلى الطبيب الأب " دكتور إسلام عثمان" وعرض على اقتراحين:

الأول: إلغاء إيقاف التنفيذ ونبقى زوجين فعلاً، صمت قليلاً ثم قال؛ أما ... نظرت إليه مستفسرة، أما ماذا؟ فأكمل حديثه:

الثانى: إذا رغبتا فى الإنجاب فعلىنا التريث بضعة أشهر أخرى حتى يقوى كل من جدار الرحم والبطن ليستطيع تحمل ثقل المولود، نظرت إليه حيث كان يحاول إخفاء ضيقه فإذا بشيء لم يكن يتوقعه أثناء عودته ولم يصل لفكرة وكيفية العرض عليها حتى هداه الله لقول ما قال؛ ربتت على خده قائلة له:

. معلشى يا حبيبي ، أشهر قليلة ونبقى لبعضنا وكل ده علشان خاطر "أطفالنا" إحنا عايزين نخلف دسته أطفال حلوين ونتمتع بيهم، لم يستمع هشام لباقي حديثها حيث ألتهته المفاجأة المسارة لتقبلها هذا الخبر بل هى التى حاولت

التخفيف عنه، فكر فيما قالتها، إنها الأمومة؛ فكل شيء أمامه يهون، إنها الأم المصرية التي تتمتع بهذا الحب الجارف للإنجاب، احتضنته وبادلها أحضانها قائلاً لها:

. خلاص عشان خاطر حبيبتى أتحمل شويه، نظرت إليه ..

. ايوه يا وله، شوية تحمل وبعدين أنا قدامك أشبعك حب وأبوسك كل يوم.

وضعت يديها متشابكة على صدرها مخاطبة (كله علقان خاطر كم يا عيالى يا حلوين .. معلش كام شهر وبعدين أكون مستعدة فى بدء الحمل والإنجاب) .. ياه .. قالتها بصرخة وفرحة، استمر هشام سعيداً ناظراً إليها وإلى أحلامها فى الإنجاب قائلاً سبحان الله، فالرجل ليس مهماً للمرأة بل هو وسيلة لغاية، والغاية السامية عندها الإنجاب وليس هذا بعيداً عن الإسلام والقرآن الذى أطلق على رحم السيدة اسم الرحيم حيث قال فى حديث قدسى إننى اشتقت هذا الاسم من اسمي ومن وصل رحمه رحمته ومن قطعها قطعتة .. الله أكبر .. دفعته قليلاً:

- مالك يا حبيبي؟ سرحت منى ورحت فين والا أنت ناوى تعمل حلقة نكر إيتسم لها مكرراً القول .. بضعة أشهر من أجل أبنائنا ليست بمدة كبيرة وأشكرك إنك اقنعينى، فأخذته من يده وقبلته قبله نهمة حاول الفكاك منها.

. يا مجنونة حنلغى الأشهر الباقية، تنبهت .. آه صحيح .. لا لا مش حاصوم وأفطر على بصله، نظر إليها معاتباً ..

. كده يا بسبوس، أنا برضه بصله؟ طيبت من خاطره ..

. ماهى بصله المحب خروف، أسعده هذا ثم تراجع، يعنى يا بصله ياخروف؟ مافيش حاجة تانيه غيرهم؟ صممت قليلاً:

. والله فيه حاجة كبيرة وقريبة منك فى الحجم ويتمشى فى الشارع وتجر عريبة الجاز، أكمل حديثها:

.. ويتاكل برسيم، ضحكت ..

حبيبي هشام ناصح ويفهمها وهيا طايره، أنت بتحن لأصحابك .. جذبها من شعرها برفق.

. أعمل فيكى إيه؟ استكانت لقوة رجلها وهذا الشيء الذى ترغبه المرأة من حين لآخر بأن تشعر بأنوثتها فى مراحل مختلفة من العمر سواء من ارتدائها للملابس الرقيقة واللى تظهر ما وهبها الله به من حُسن أو من علاقتها الزوجية وشعورها بتلطف رجلها عليها أو من حالات الحزم من الرجل وإشعارها بأن لها رجلاً قوياً خشن الصوت والملمس كل هذا يُمتع المرأة ويشعرها بأنوثتها وهذا ما حدث بينهما بأن استكانت لقوته وزجره لها رغم أن كل هذا يتم بركة، إنها حواء لغز الألغاز فى الدنيا وهى معجزة الله فى خلقه فتحزن عندما يُسر زوجها وتضحك عندما يغلفه الهم والنكد وكل هذا من أجل أن تتساوى الكفتان.

عصر هذا اليوم توجه عبدالله مشرف زوج ليلان والأخ الأكبر لعدنان الزوج السابق لبثينة .. توجه إلى منزل الجدة لإبلاغ العروسين كل أمنياتهما بالسعادة والتوفيق حيث له مكانة فى قلب كل من هشام وبثينة فقد ترعرا على أنه زوج الشقيقة ليلان كما أنه يتمتع بدمائه الخلق وطيب العشرة سواء لزوجته أو لأى شخص يتعرف عليه أو يتعامل معه كما أنه مثل البنك المتقل أو البقرة الحلوب لكل من أم ليلان وشقيقها مستجيبا لطلباتهم عن طيب خاطر.

وصل الشيخ عبدالله إلى الشارع وقربا من منزل الجدة حيث كان يرتدى زى أبناء الخليج الذى يميزهم، شاهده المعلم حبشى وهو قادم يتهادى بخطواته الهادئة وملابسه البيضاء .. وقف حبشى مثل القط الذى شاهد فأرا فجأة وينتظر خروجه من جحره بكل شغف والحريم الأربعة يجلسن حوله وعندما

شاهدته يقف هكذا فى وضع يدل على أنه مقبل على عركة ومشكلة قالت أمه:
- إيه يا حبشى .. واقف ومزنهر كده ليه؟ فيه حد من المباحث شايفه وبينه
وبينك تار؟ لم يجيها ثم خطا عدة أمتار ليقابل عبدالله حيث سأله بصوته
الأجش.

- أنت جاي هنا ليه؟ فوجئ الرجل بهذا السؤال الذى لم يعهده فى المصريين
فهم ولودون مع ضيوفهم .. فأجابه عبدالله:

- والله يا أخى انا جاي أسوى معروف مع الست بثينة، لم يكمل حديثه حيث
سمع كل من بالشارع صوت ارتطام شديد ثم سماع هبدة وكانتا ضرية رأس من
المعلم من العيار الثقيل تحمل كل غل وحقد أبناء البلد الطيبين لما حدث لابنة
حتتهم، سقط الرجل على أثرها أرضا تغلفه الدماء وأسرع الجميع لإنقاذه وسمع
أهل المنزل بأن طليق الست بثينة حضر وأن المعلم قتله بروسية وارتعدت كل
من بثينة وخالتها سندس وأسرع هشام لاستطلاع الأمر؛ حيث تبين أنه عبد الله
مشرف الرجل الوقور الحليم وحضر الأسطى عجور يعطره الفواح لإفاقة الرجل
دون جدوى واقترح المعلم بأن يضعوا فى فمه زجاجة بييرة متلجة وحتقوم
بالولجب حينما علم من هشام بأن الرجل ابن حلال وهو غير المغفل اللى
عذب بثينة ولكن المعلم أخبره أنه التار فى بلدهم كده وهو بيقى يروح بلدهم
يؤدب أخوه.

حضر رجال الإسعاف ونقلوا الرجل إلى المستشفى مضرجا فى دمايه
ثم أعقبهم رجال المباحث فألقوا القبض على المعلم وأقتيد إلى قسم البوليس
حيث تجمع الأحبة وأصحاب المزاج والتعميرة وعلى رأسهم متملق المقطم
الشيخ حسني وحاول الجميع أن يفدوا المعلم بأن يلقى تبعة ما حدث على نفسه
وتفتق ذهن سعيد أبو النوم فى لحظة إفاقة غير عادية بأن أوعز للمعلم بفكرة

بأن يقول كلاماً وإجابة تساعد على أن يفلت من مشكلة الجدعة التي قام بها حيث كان رجال سفارة عبد الله مشرف قد أقاموا الدنيا على تعرض أحد رعاياهم بالضرب من أبناء مصر وهم في وطنهم الأكبر وكانت تلك الحقبة في مصر تعطى لأبناء الدول العربية الأسبقية دائماً فهم أصحاب الحق وهم المفضلون على أبناء الوطن تحت شعار القومية العربية والتي كانت الحقبة الناصرية قد أخذت على عاتقها شعار الوطن العربي الكبير .. كانت فكرة سعيد أبو النوم أن المصاب تهجم عليهم باللفظ وأنه سب مصر وزعيمها جمال عبد الناصر .

عرض المحامي المرافق لأعضاء السفارة ما جاء على لسان المتهم وشهادة أكثر من عشرة من الشهود على مسئولى السفارة ما جاء في التحقيقات وأن تلك المسألة ستصبح عواقبها وخيمة ليس لأنه سب مصر فهذا أمر هين وبعض أبناء الدول العربية يفعلون ذلك أحيانا ولكن سب زعيمها فتلك هي الكارثة .. من يستطيع أن يلمح بمثل هذا حتى لو كان ملك تلك الدولة فالجميع يخشون ويهابون هذا الزعيم الأسطوري وبناء على تلك المعطيات أسرع رجال السفارة بسحب شكاوهم ضد المدعو حبشى نظراً لأنهم سيصبحون في وضع سيئ أمام الزعيم وأتباعه المتواجدين في كل مكان وأن ما تم هو رد فعل طبيعي لأبناء الشعب المصرى الذين يدافعون عن زعيمهم .. هكذا أفلت المعلم حبشى من تلك المشكلة بفضل أفكار أبناء حنته والذين يفكرون بعقلية ونكاه والمعية لما يغذيهم به من نفحاته وتعميراته القيمة!

خرج المعلم دون العرض على المحكمة بين أفرار أبناء الحنة وقابل المعلم هذا الصنيع من محاسبيه الأوفياء بتوزيع عدة تعميرات ملوكى مجانا ولكن صاحب الفكرة سعيد أبو النوم لم يستقد بها حيث كان نائما كعادته ولا

يستيقظ إلا قليلا يخرج ما فى جعبته من أفكار واقتراحات ثم يعود ثانية إلى التناوب وإغماض عينه والترنح والدخول فى نوم عميق.

حصل الشيخ حسنى على نصيبه الذى سيريز مواهبه وقدراته وقد حذره المعلم ومعاونوه من نسائه "على أقل من مهلك يا شيخ حسنى .. الجبل مش هين .. ده صعب ومحتاج مجهود .. على مهلك كل يومين تقوم بالمغامرة ورينا معاك" رغم أن التعميرة كانت من النوع الحديث والصنف المشهور فى ذلك الوقت "على حزب وداد جلى".

أثناء عودة هشام إلى منزل الجدة التقى مصادفة مع عمته عائشة فى الطريق العام بوسط البلد والتي بادرت بالتحية وسألته عن أخبار بثينة ابنتها وقلدة كبدها وأخبرته بأنها فى أشد حالات الحزن لأن ابنتها تزوجته منذ عدة أشهر ومازال يحرمها من رؤيتها وأن هذا لا يرضى الله، رق قلب الفتى لمناشدة العمّة ولكنه تذكر كلام الطيب الذى حذر من الانتكاسة التى قد تقابلها خاصة من الأشخاص الذين يذكرونها بالمأساة التى تعرضت لها وهم المتسببون بها حيث أخبر هشام مرات عدة بأن بثينة تعرضت لما يقال عنه طيبا "القهر النفسى" ولهذا فلم يكن غريبا أن يعلم أبناء الحارة ما حدث لابنة الحنة والماضى القريب لما حدث مع العمّة سندس من زوجها مازال حاضرا فاندفعوا رجالا لنجدتها ولم ينظر أحد من الحارة أن هذا مسلم وذلك قبضى فليس هذا من أخلاقهم وهى التفرقة بين أبناء الوطن الواحد .. فهم مصريون وهم أبناء حارة وحنة واحدة ومن أجل هذا تم حماية بثينة والمنزل بالمراقبة المستمرة حيث قام الأسطى عجور بالمراقبة نهائرا لحين حضور المعلم فى المساء ويرفقه بطانته من النسوة الأربعة كما كان يعاون عجور توفيق أكس

وشقيقه شنكل وإذا اشتبهوا في أحد غريب عن الحنة يرغب بالتوجه إلى منزل الجدة يسارعوا لاعتراضه وإخبار الخالة سندس حتى توافق على الزيارة من عدمه.

هشام وباقي أفراد العائلة سعداء بنجاحه وتخرجه مهندساً وأسعد هذا أبناء الحنة وعلى رأسهم حبشى ونساوه ووديع وسارة؛ هكذا بدأت بثينة تشعر أنها اقتربت من حلمها بزواجها من هشام وقرب انتهاء إيقاف التنفيذ وأنه أوشك أن يصبح معتمداً على نفسه وجامد ومستوى كما كان يعبر لها في كل أحاديثهما.

أثناء مطالعة هشام لإحدى الصحف قرأ إعلاناً عن وظيفة في احتياج لمؤهله وخبرته في الرسم على الفخار والأواني وعمل التصميمات وذلك في مركز أهلى خاص يتبع إحدى السيدات الأوروبيات التى تعشق هذا الفن وافتتحت لها مركزاً لممارسة هذا النشاط قريباً من منطقة العلمين وهذا المركز يُعد إنتاجه ويسوق عالمياً وأرقت بالإعلان كل التفاصيل وعنوان المراسلة والبيانات المطلوبة من المتقدمين .. عرض هشام رغبته فى التقدم لهذه الوظيفة حيث ينوى التقدم للعمل بهذا المصنع والذي تديره السيدة "كارين" الهولندية الجنسية كما أنها توفر السكن والمعيشة ولكن الأجر الذي يدفع رمزياً حتى يثبت المتقدم كفاعته ثم بعد هذا تزيد من راتبه .. اندهشت كل من عمته وبثينة لهذه الرغبة لأن المنطقة بعيدة ولا يعلمون عنها شيئاً ولم يشاهدها أو يقوم بزيارتها أحد من قبل كما أنها منطقة بدوية.

دار حوار ثلاثى بينهم لتلك الأسباب التى دفعته لمثل تلك المغامرة وأوضح هشام أن السبب الرئيسى فى ذلك هو حبه وعشقه للرسم ثم توجه إلى صندوق صغير كان محتفظاً به فوق الدولاب وفتحه أمامهما حيث عرض عليهما بعض

لوحاته التي قام برسمها وكلها توضح حبه لزوجته بثينة منذ الصغر حتى وقت قريب واندثقت عتمته وبثينة لما شاهدته من موهبة فطرية وروعة رسوماته وظلالها وألوانها وأوضح لهما أنه لو قدم أوراقه إلى مكتب العمل الحكومي مثل زملائه السابقين فسيعين مدرسا للرسم وسوف تذبل موهبته وتموت وأي موهبة لا يتم صقلها وتتميتها مصيرها إلى زوال، لقد درست السنوات الخمس وأصقلت موهبتي دراسة وعلمًا وتمرنيت سواء في الجامعة أو بالخارج وأريد أن أكرس كل هذا في عمل يشبع هوايتي ورغبتى حتى لو كان في آخر الدنيا .. نظر إلى بثينة قائلاً: يمكنك أن تظلي بجوار العمة وأذهب بمفردى وأعود لزيارتكما كل فترة زمنية؛ رفضت بثينة هذا العرض واقترحت أخذ رأى الطبيب الأب فإذا وافق سافرنا معاً وإذا رفض بقينا وأيدتها خالتها في هذا الرأى، وافق هشام ملقياً مصير السفر من دونه على رأى الطبيب.

أرسل هشام بأوراقة إلى المركز الذى قرأ عنه بعدها توجه لمقابلة الطبيب الأب الذي أسعده هذا الخبر حيث أفاده بأن هذا سيصب في صالح زوجته نفسياً وصحياً لما تتمتع به المنطقة من طقس صحى رائع يساعدها على نمو جسدها كما يمكنها السير لمسافات أمام ساحل البحر وسيقدم لها هواء البحر النقى المشبع باليود كل المساعدة الممكنة لكي تستطيع السير ورويدا تعود إلى حالتها السابقة مؤكداً أن كل شيء عاد إلى وضعه الطبيعى حيث لم يتبق سوى مشكلة الاعتماد على ساقها مثل سابق عهدها، ثم أسر فى أنه أنه يمكنك هناك رفع إيقاف التنفيذ مما أسعده كثيراً، غادر هشام مكتب الطبيب وهو أسعد ما يكون خبيراً وعلماً.

هكذا تقرر رفع الحظر عن محبوبته، كان يسير ولكنه فى الحقيقة كان يجرى وهو يعنى أغنية حبيب الشباب فى ذلك الوقت عبدالحليم حافظ:

ع الجنة الحلوة اسبقنى
انا جاى على طول يا حبيبي

اسبقنى يا قلبى اسبقنى
اسبقنى وقول لحبيبي

وصل الشاب إلى منزل محبوبته مرهق من الانفعال والسرور سعيداً بما سمع وأنه أصبح على باب الزواج الفعلى وسينهل من عسل حبيبته التى قامى الحرمان منها وهى قريبة منه وبين يديه زمنا بلغ الأعوام والشهور حباً وهياماً وعشفاً وخلالها تألم لألمها سواء فراقاً أو عودة .. أخيراً أراد القدر أن يخبرها أنه أن الآوان لأن ينهلا من بحر حبهما والذى وقفا أمامه عطشى سنين طويلة .. طرق الباب طرقات متتالية، فتحت العمة الباب متسائلة عن سبب لهفته للعودة بتلك السرعة حيث كان باديا عليه الإرهاق والتعب ولكن السرور والفرح كان واضحا وطفى على كل ملامحه من ألم وإرهاق حيث قبل بثينة لاهت الأنفاس وأخبرها بما قاله الأب الطيب سواء بالموافقة على سفرهما لتلك المنطقة العذراء النقية التى ستساعدنا على تقدم صحتها أكثر وأكثر أو بخبر رفع الحظر عن إيقاف التنفيذ ليصبحا زوجا وزوجة.

تهللت أسارير وجهها الجميل فرحة سعيدة وأخذت تقبله بكل سعادة بينما خالتها سندس تتابعهما وعيونها مليئة بدموع الفرح والسرور ولم تفارق البسمة الوضاعة وجهها لسعادة أبناء أشقائها اللذين دفعا ثمناً كبيراً حتى يحصلوا على التصريح النهائى لاستكمال الحب والفرحة التى غزت قلوبهما منذ سنين طويلة. قبلتهما مهنتاً سعيدة لهذا الخبر رغم حزنهما بأنهما سيفارقانها وهى التى كانت تشعر بكل معانى الحب وهى تشاهدهما معا كل يوم وتراقب نمو حبهما العذرى العفيف .. تردد بداخلها أن مصلحتهما أهم ولن أكون مانعة لهما أو لحبهما وسأكون مثلهما مضحية بهذا الحب ليسعدا وأمسد معهما.

اليوم التالي وصل خطاب من "ممر كارين" تخبر فيها هشام بقبول أوراقه
وبكلمات قليلة موجزة تعبر فيها عن سعادتها بأنها ستجد الذراع اليمنى لعملها
ونشاطها بشاب متعلم خريج حديثاً وله من المواهب الكثيرة التى أصقلتها
خبراته وأعدت العدة لاستقباله هو وزوجته فى منتجعها الذى شيدته على ساحل
البحر الأبيض المتوسط غرب منطقة الحمام بعدة كيلومترات، أرسلت إليه بكل
البيانات موضحة أن مندوبها الشيخ خيرالله سينتظرهما أمام محطة سكك حديد
العلمين فى التوقيت التى حددته فى خطابها موضحة له كيفية ركوب القطار
من القاهرة ومواعيد القيام وطول الرحلة وزمنها كما وأضحت له الأغراض التى
يمكن إحضارها معه لتسهيل الحياة عليه وعلى عروسه مع أن الاستراحة التى
ستوفرها لهما بها كل شىء وموثثة بكل الأثاث اللازم لحياتهما، هكذا أسرعت
الخطى لسفر الزوجين إلى تلك المنطقة ومكان العمل وهى حياة جديدة عليهما
بكل المقاييس.

أما على مستوى الحارة فكان الأمر مختلفاً حيث أصاب الحزن الجميع
سواء المعلم ويطانته أو وديع وسارة أو الشيخ حسنى والأسطى عجور، أما عن
سعيد أبو النوم فلم يعلم بهذا إلا بعد سفرهما بثلاثة أيام حيث كان بصحبة
الملائكة يأكل أرزاً ولبناً ويحلم أحلام الطفولة وبعد أن أفاق من غفوته وأخبروه
بما حدث حزن حزناً شديداً ويقال إنه بعد هذا الخبر قل نومه وكان أصدقائه
يغنون له أغنية أم كلثوم "يا مسهرنى!!"

التقى المعلم حبشى مع هشام قبل سفره بيومين مودعاً إياه وقد شمله
الحزن وعبر عن هذا بأنه لن يشعر بسعادة أثناء غيابه عن الحارة، طمأنه
هشام بأن فترة غيابه مدة عام يحصل خلالها على تدريب يخص عمله كما أن
تلك المنطقة جافة وهواءها النقى سوف تساعد بثينة على تحسن أحوالها

الصحية وسوف يُمكنها هذا من استعادة عافيتها وأن تعود لسابق عهدها قوية الأعصاب معتمدة على ساقها بدلا من حالتها الحالية حتى لا تظل كسيحة طوال عمرها.

دمعت عيونه حين سمع ذلك متمنيا أن يكفل الله فضله عليهما بتمام الصحة وأن يعودا كما ألفهما مثالا للنشاط والحيوية .. أخبره المعلم بأن يحاول معرفة أسعار الصنف في المنطقة التي سوف يعمل بها وأهم تلك الأصناف وأسمائها، أضحك هذا وديع وطلب من والده ترك هشام في حاله حيث إنه لا يعرف الفرق بين الشيشة والبورى والجوزة، أضحك هذا المعلم فظهرت أسنانه الذهبية كما تحشج صوته من هذا الجهل بمعلومات عامة تهّم أصحاب المزاج والكيف داعيا الله أن يفتح على هشام ولو بسيجارة حلوة وأتبعها بضحكة مجلجلة.

حضر الشيخ حسنى لوداع هشام بعد أن علم أنه وعرومه سوف يمسافران إلى آخر الدنيا في بلاد بعيدة قريبة من ليبيا وطلب منه إحضار أمبول أبى نواس حيث علم من صديقه الشيخ "على وزه" انه أمبول "ميه ميه" وأنه يفيد في حكاية التسلق لجبل المقطم وقد يغنيه هذا عن تعميرة المعلم حبشى خاصة عندما يمنعها عنه حيث يكون خجلاً وفي نصف هدومه مما يدفعه لاقتعال المرض من أجل التهرب من حكاية التسلق دون مساعدة التعميرة التمام.

ضحك هشام ووعده خيراً وقدم له النصيح بأن يبتعد عن حكاية الكيف هذه من أجل القيام بواجباته الزوجية موضحاً أن تلك الأشياء تجعل الإنسان أسير الكيف والمزاج، وهذا يدفع به إلى التصرف بطريقة غير كريمة تؤثر على احترام الناس لأنه رجل دين يؤم الناس في الصلاة ويجب أن يكون قدوة لهم .. شكره الشيخ حسنى مؤكداً عليه بالأل ينسى موضوع "أبو نواس اللى ميخليس الراجل محتاس ليلة الاستئناس".

جرت الأيام واقترب موعد سفر العروسين إلى منطقة العلمين حيث مركز الفنون الذى سوف يعمل به هشام، قبل سفرهما بيومين طلبت منه بثينة أن يتجها لزيارة قبر الجدة حيث كانت تلك أميتها بعد أن أعاد الله لها الحياة توجه هشام وبثينة وعمته سندس فى اليوم التالى إلى المقابر حيث قرء الفاتحة على روح الجدة الطاهرة وأتبعها هشام ببعض قصار السور وغادروا المكان بين المشاعر والأحاسيس الفياضة التى دفعت بكل من سندس وبثينة إلى ذرف الدموع على ذكرها التى لم ينسوها فى غمرة حياتهم ومشاعلمهم وأفراحهم مع أبناء الحارة ببولاق.

قبل السفر بيوم حضر والدا هشام لوداعهما كما حضر الأخوال والأعمام لوداعهما أيضاً خاصة الخالة زينب التى قررت قضاء تلك الليلة معهما تاركة صغيرها فى رعاية والدهما حيث ستمتع بعيق المكان والأهل فى هذا المنزل الريحب الذى جمع بينهما صغاراً ثم شباباً يافعا .. كما حضرت سحر لنفس العيب، اتفقوا جميعاً على أن يخبروا عائشة وابنها فاروق بأن هشام وبثينة سوف يتجهان إلى منطقة أسوان حيث سيعمل هشام مع جموع المصريين هناك فى تشييد السد العالى وهو مشروع قومى بكل المقاييس نظراً لأن إخفاء مكانهما شىء مهم لإبعاد المشاكل التى قد تدفع بمحبى النكد لافتعاله خاصة شقيقها فاروق الذى مازال عاطلاً فى منزله يعيش هو وأمه على تبرعات الشقيقتين سحر وويلان.

كل شىء أصبح معداً ولم يتبق سوى تلك الليلة التى تسامر فيها العروسان الحبيبان مع الخالتين سندس وزينب بين الضحكات والزيارات وشعرا بقرب السفر وبأنهما ماضيان إلى المجهول وشعرا أيضاً أن قلبيهما اختطفا من بين ضلوعهما وسوف يغادران هذا المنزل الحبيب بعد ساعات قلائل، هذا المنزل

الذى شهد حبهما وسعادتهما فهما يغادرانه إلى المجهول وإلى منطقة لم يسمعا عنها إلا قليلاً ولم يسافر إليها أحد من معارفهما قبلاً ولكنهما ارتضيا التجربة والمخاطرة.

صباح اليوم التالى وفى محطة السكك الحديدية توجهوا إلى القطار المتجه إلى مرسى مطروح وقام بوداعهما عدد محدود من الأهل كما كان فى وداعهما وديع وسارة، تبادل كل من وديع وهشام الأحضان فى لقاء تلقه كل مشاعر الحب والصدقة بين الشابين أما سارة وبثينة فوداعهما بللته الدموع وهما تنتاجيان باكييتين وقد خفت الخالة زينب من وقع هذا بأنهما مسافران داخل مصر أى بعد الإسكندرية بعدة كيلومترات.

تعاون وديع مع هشام فى حمل بثينة على الكرسى إلى داخل القطار هذا الكرسى أحضره المعلم لهذا الغرض وغير متحرك ويحتاج لحمله اثنان من الرجال، كانت تحيط ببثينة نظرات العطف والحب من المسافرين. تحرك القطار بهما بينما الأحباب مازالوا منتظرين على الرصيف حتى توارى عن أنظارهم مبتعداً عن أعينهم الدامعة.

تابع هشام المناظر الجميلة من شبك القطار بينما ظلت بثينة جالمة تتذكر الحارة وأهلها وبساطتهم وهى التى كانت تعتقد أن الناس أشرار وليس هناك أناس أصحاب قلوب طيبة غير أهل الحارة التى تقيم فيها لكنها شاهدت الناس فى القطار وهى لا تعرفهم وهم لا يعرفونها، وجدتهم أناساً بسطاء طبيى القلب .. لقد دفعتها الكارثة المؤلمة التى قابلتها للخوف من الجميع ولكنها شاهدت ودأً وحباً من هؤلاء المسافرين والنساء يساعدها أثناء ركوب القطار ويفسح الرجال لها المكان حتى تستطيع السير بمساعدتهن حتى الكرسى التى جلست عليه تركوه فارغاً ولم يجلس بجوارها أحد، من حين لآخر كانت تحضر

إحدى النساء بمشروب أو قطعة حلوى لتقدمها لها .. أشعرها هذا الحب بالسعادة والراحة النفسية التي افتقدتها منذ ساعة بعد مغادرة منزل الجدة.

طارت بعيداً بخيالها وطيف ذكرياتها تعاود ما كان يحدث في الحارة وهي تتابع هذا من خلف شيش الشباك مقتفية أثر خطى جدتها فرديوس التي كانت تفعل ذلك، تتذكر كيف كان يأتي أصحاب المزاج إلى المعلم حبشى طالبين منه صنفاً يعينهم على التمتع مع زوجاتهم، ابتمت وتذكرت هذا ثم قفز إلى خيالها ذكريات الشيخ حسنى الذى كان يحضر من حين لآخر لطلب العون من المعلم ويعد أن ينظر إليه المعلم كثيراً ويشاهد الحزن الذى ألم به لعدم قدرته التسلق أمس ومحاولته الهرب من تلك المهمة وإشعار أم خميس أنه نائم ومريض .. أخيراً يطلب المعلم من زوجته أم وديع أن تحضر تعميرة مخصوصة للشيخ حسنى من نوع "علمونى الحب" هنا تنفرج أسارير الشيخ حسنى بما سيقوم به تلك الليلة من غزوات لأم خميس .. تتحرك أم وديع بكل دلال وهى تتقصع لزوم إظهار المفاتن قائلة:

. من عيني يا معلم، ترك المعلم الشيشة مصفقا بكلتا يديه قائلاً:

. ايوه كده .. آه يا نسوان .. عليكم عمايل .. تخلى الراجل فينا ينهبل .. تعود أم وديع بكل أنوثة وتناوله ورقة السلوفان وتدفعه فى كتفه برقة الأنثى قائلة:
. آمال مباحوش الحاجات دى فى البيت ليه؟ وبتتام أول ما نوصل فيضحك هذا الشيخ حسنى قائلاً:

. بصرة يا معلم!! ضايق هذا المعلم، كيف أنه المعلم ويوضع فى نفس مستوى الشيخ حسنى .. نظر إليه نظرة نارية وبضيق صارخاً:

. خلاص منتش واخذ تعميرة .. هاتى واحده تانيه من صنف "و الله زمان يا سلاحي" فيستعطفه الشيخ حسنى بأن هذا النوع يجعله طوال الليل مستيقظاً ولا

يستطيع فعل أى شىء حتى النزول فى وادى خوف .. تضحك النسوة طالبة
عدم إغضاب الشيخ حسنى فيرضى المعلم راضخا لهن ويتاوله النوع الأول
"علمونى الحب" فيمسك الشيخ حسنى بالسوفان ويشم رائحة الصنف وهو فى
غاية السعادة فيتعرض خلالها لغمزات بعض نساء المنطقة فيضحكن منه
وإحداهن تقول له:

- " يخرب عقلك يا شيخ حسنى، مش عارف تكتب الكتاب وتعلى الجواب "
ينظر إليها بضيق قائلاً:

- مين؟ .. البت حسنية .. امشي يابت وأنت زنانه وغاويه مشاكل .. اجري
وشوفى جوزك قبل ما تتأوزى على الشيخ حسنى العترة .. تضحك بكل
ميوعة.

. ماله جوزى .. دا صابر جوزى شاطر ومعتمد على نفسه وفل الفل مش زيك
خيبان وكل شويه عايز تعميرة علشان تطلع المقطم!! أضحك هذا المعلم ..
تكمل حديثها آل كل شويه حاطلع المقطم.
نظر إليها الشيخ حسنى بكل حسرة.

- ماهو يا بت لو مجوز جاردن سیتی مكنتش أحتاج التعميرة .. تضحك
ضحكة كبيرة لها معنى تلفت انتباه الآخرين

. يخرب عقلك .. الراجل عينه منى يا معلم .. ضحك حبشى لحديثها
- سيك منه .. سيبيه خليه مشغول فى جبل المقطم اللى عنده .. تتركهم
حسنية محاولة ضبط الملاءة اللف وتطرق بلبانتها .. "وبصوتها المرتفع.
"آه .. جيا لك يا صابر .. يضحك حبشى معلقاً.

. آه يا صابر على غلبك ... تضحك مجموعة النسوة بكل أنوثة.
ما زالت بثينة جالسة تعيد شريط ذكريات الحارة وما يحدث بها وهى التى

لم تشاهد هذا التصرف خارج تلك الحارة وتذكر لواحد وهي طبق الأصل من حسنية فى أسلوب حديثها المكشوف مع المعلم والشيخ حسنى حيث تحضر طالبة تعمیرة دويل من أجل زوجها ممش الذى سيحضر باكر من سفر بعد غياب عدة أيام، تتذكر يوم أن حضر الشيخ حسنى طالباً تعمیرة نوعها جيد وعلى الحساب وأسعد هذا المعلم بأن الشيخ حسنى سيدفع تلك المرة مؤجلا الدفع فيطلب من شقيقته رينيه أن تدخل المحل وتجب حنة نمرة واحد عشان خاطر الشيخ حسنى فيدعو له الشيخ حسنى بان يريح وتزيد مبيعاته.

رينا يكرمك وتزور الكعبة .. يدفعه حبشى قليلاً.

- أروح الكعبة إزاي وعشان إيه؟ .. أنت بتخرف .. فيحضر الأسطى عجور ممسكا بمنشته التى طارت معظم شعيراتها
بالبطياره يا معلم .. كل يوم الطيارات رايعه جايه وسبيك من القطر .. يعتدل المعلم فى جلسته قائلاً:

أيوه صحيح .. القطر مش قيمتى وأنا راجل كسيب.

تحضر رينيه التعميرة فينظر إليها الشيخ حسنى سعيداً وداعياً لها بأن تتول المراد وتروح مع المعلم وتزور الكعبة، تصرخ فى وجهه، يا راجل يا مجنون وتخلع فردة الشبشب من قدميها وتطارد الشيخ حسنى الذى يقف بعيداً مندهشا من هذا التصرف بينما الناس تتمنى هذا .. يتضايق المعلم حبشى من شقيقته أن تتصرف هكذا بصديقه والذى يدعو لها بأن تذهب وتتفصح معاه فى الطيارة .. كما تضايق الأسطى عجور متسائلاً:

ليه يا بنتى بتعملى كده مع حبيبنا الشيخ حسنى ؟ فتتظر إليه بدهشه:

أنت مش سامع بيقول إيه؟

- أيوه سامعه بيقول تروحي الكعبة مع المعلم واهى فسحة وترجعى مع أخوك بألف سلامة، يعلق حبشى:

. آه معلوم، باين عليها حتىقى فسحة آخر منجهة .. تحدثه رينيه بغضب.
- أنت مش بتفهم؟ الكعبة دية بتاعة المسلمين .. وإحنا قبط .. فهمت؟ أفاق
المعلم وتذكر أنه قبطى، نظر لشقيقته.

. بت؛ ارقعى كام صوت .. قامت رينيه بتنفيذ تعليمات شقيقها وعلى إثر ذلك
تجمعت بعض النسوة العابرات كذا عدد من أصحاب الدكاكين فى الحارة
وبعض المارة ليعلموا ما وراء تلك الصرخات النسائية وبعض الرجال أحضر
الثوم استعداداً لعركة يتعرض لها المعلم كعادته، الكل يتسائل: خير .. خير ..
فيه إيه؟ وقف الشيخ حسنى بعيداً عن المحل يلزمه الاضطراب ولم يستوعب
السبب فى هذا الانقلاب المفاجئ عليه وتأكد له أن التعميرة ستضيع منه
وصل سعيد يا مسهرنى " أبو النوم سابقاً " قائلاً:

. فيه إيه يا معلم؟ نظر حبشى جهة الشيخ حسنى قائلاً:

. حادبج الزايل ده .. نظر سعيد إلى حسنى:

- إيه يا معلم .. ده الشيخ حسنى .. مش الفرخه حسنى!! ضج الجميع
بالضحك .. أكمل المعلم كلامه .. تصوروا، عايزنى أزور الكعبة .. صفق
الجميع مهللين بأن المعلم صبر ونالها وقدموا له التهانى والبعض هنا الشيخ
حسنى على هذه الفكرة العظيمة، قاطعهم المعلم.

- إيه يا عالم!! زيارة الكعبة للمسلمين وإحنا مش مسلمين إحنا قبط، يعنى
مينفعشى، سكت الجميع لهذه المعلومة وسأل سعيد "يا مسهرنى" الشيخ حسنى.
. صحيح يا شيخ حسنى؟ اعتدل الشيخ حسنى وقد عاد إليه وقاره المفقود

. لا مش صحيح، طيب انتم فاكرين رئيس أمريكا الرجل الحلو اللى كان مجوز
المست الحلوة أوعدنا يارب" ضحك من جموع الواقفين بينما عجور موضحاً.

- ايوه الرئيس بتاع أمريكا .. قصدك الرئيس كيندى اللى مات بالرصااص...

حسنى معلقاً:

. أيوه مطبوط، اهو راح زار السعودية وقابل الملك .. والرئيس قبطى!!! ومش مسلم، تبقى تتفع والا لأ.

مهمم العامة، ايوه صحيح؛ طيب ما الشيخ حسنى عارف كل حاجه ومغلطشى، قال حبشى:

. دا بيقول الكعبة مش قال السعودية، أوضح حسنى.

. ماهو يا معلم الكعبة بلد صغيرة من السعودية .. زى ما تقول كده أنت رئيس الحثة دية والناس الواقفين كلهم تبعك، عجور:

. ايوه كده مطبوط والشيخ عداه العيب، هتف أبناء الحارة بحياة المعلم حبشى وباركوا له زيارة الكعبة، رضى المعلم عن حسنى وناوله التعميرة فسأله عن اسمها فأخبرته نساؤه " قولوا لعين الشمس ما تحماشى " صفق الجميع ضاحكين.

كل هذا تذكرته بثينة ومازال القطار يقطع الطريق وهشام ينظر إليها بسعادة حيث انشغالها بذكريات الحارة جعلها تتسم وتضحك فى بعض الحالات فأثر أن يتركها وأحلامها معتقداً أنها تفكر فيه وما سوف يحدث بينهما فى العلمين ودخول زواجهما حيز التنفيذ، لكن بثينة ما زالت تفكر فى تلك الذكريات وفى أبناء الشعب المصرى الطيبين الذين لا يفرقون بين مسلم وقبطى فالجميع مصريون وتذكرت أن العديد من أبناء الحارة كانوا يذهبون إلى مولد العذرا الذى يقام سنويا فى منطقة مسطرد وأن الجميع مسلمين وأقباطاً يهرعون إلى هذا الإحتفال غير عابئين بأنه للأقباط طالما أنه للمصريين فيجب أن نشارك فيه.

شعرت بثينة أن الحياة جميلة ومبهجة ووجدت العوض عن أهلها بأهل الحارة ولم يقف أحد منهم قائلاً إن بثينة مسلمة ونحن أقباط أو أنها من العتبة

ونحن من بولاق، إنه الإتمان ولا دخل لدين أو موقع جغرافى، لم تنس أن المعلم حبشى كاد أن يدفع من حريته على الأقل ستة أشهر حبس فى اعتدائه على زوج شقيقتها اعتقاداً منه أنه زوجها الذى عذبها، لم ينس الثأر كما قال لها هشام، إنها مصر .. ما أحلى تلك الأخلاق مهما انتشرت بها بعض العيوب والتصرفات غير المقبولة لكن فى النهاية يدوم الحب وغفران الخطأ والتسامح الفورى .. أضحكها ما كان يفعله الشيخ حسنى من إحضار دفتر الطلاق لكى يطلق حبشى من زوجته ودفتر الزواج لزواج حبشى من زوجة جديدة .. لا يوجد فرق .. نحن أبناء مصر.

عبر القطار منطقة الإسكندرية ومازال متجها إلى بغيته حيث أرقها الإعياء من الجلوس وهى التى لا تستطيع مقاومة هذا المجهود وتعاطفت معها بعض النساء وجلسن حولها ووضعنها فى وضع النوم وغطين جسدها ببعض ما يستخدمه من طرح وشيلان حتى وصل القطار إلى العلمين.

قبل مغادرة القطار قدمت شكرها لكل من ساعدها كما تمنى لهما الجميع عملاً موفقاً وحياة هانئة وأن تعود إلى القاهرة بصحة وعافية كما تعاون بعض الرجال فى حمل الكرسى التى كانت تجلس عليه إلى الرصيف

هبطاً إلى الرصيف فحضر إليهما رجل كبير السن وعليه من المهابة والوقار الذى يغلفه ويعطى إichاء بأنه مسئول ومعه اثنان من رجاله وتعرف عليهما هشام وعرفهما بنفسه وحملوا أمتعتهما حيث كانت تنتظرهم سيارة وانطلقت بهما إلى مكان سكاهاما المُعد لهما مسبقاً أما الرجل العجوز فكان الشيخ خيرالله واثنان من مساعديه.

نظرت بثينة إلى المنطقة وشاهدت عن بعد مياه مطروح الرائعة وتذكرت رائعة ليلى مراد:

بأحب أنتين سواء يا هنايا فى حبهم
الميه والهوا طول عمرى جنبهم
أتجهت عيونها الجميلة اللامعة تنتظر جهة البحر ومياهه الرائعة وهى تستقل
السيارة متجهة إلى حياة جديدة مع الزوج والحبيب هشام.

الجزء الثانى

حياة جديدة

و

موقع آخر

العلمين

توقفت السيارة وغادرها الزوجان ليشاهدا معالم المنطقة والمنزل الذي تقرر أن يعيشا حياتهما الجديدة به بعد ترك بولاق ومنزل الجدة وما يحمله لهما من معاني إنسانية وذكريات عزيزة على قلوبهما؛ المنزل يقع على ساحل البحر الأبيض مباشرة والمسافة التي تبعده عن نهاية خط المد لا تتعدى المائتى متر كما تنتشر فى المنطقة أشجار النخيل الباسقة وأشجار الزيتون التى تجود زراعتها هناك، على بعد مائة متر تقريبا إلى الجنوب من منزلهما تقع بعض المنازل المنتشرة بمسافات متباعدة وأقرب جار لهما الشيخ خير الله الذى أوضح لهما أنه فكر فى اختيار المنزل الذى يقيم به مجاوراً له حتى يستطيع تقديم يد العون والمساعدة لهما كما أن عائلته على أتم الاستعداد لمساعدة السيدة زوجته.

أعجبهم تصميم المنزل قبل أن يدخلوا إليه واستفسر هشام منه عن صاحب هذا التصميم مؤكداً أنه يعلم أنه من إبداع المهندس "حسن فتحى" وأيده فى ذلك الشيخ خيرالله موضحاً أنه أقام العديد من ذلك الطراز فى مناطق الواحات ليصبح نموذجاً لمن يرغب فى إنشاء أبنية جديدة؛ حيث إن التصميم أعد لكى يقلل من درجة حرارة الصحراء الغربية المرتفعة صيفاً وموضحاً له أن المنزل مقام على البحر ولهذا ستصبح درجة الحرارة منخفضة مقارنة بداخل الصحراء .. ثم أكمل الرجل حديثه قائلاً:

المنطقة أمامكما تعتبر من أحسن الأماكن لرياضة الاستحمام والتمتع بمياه البحر كما أن السيدة كارين "مديرة مركز الفنون" يحضر لزيارتها العديد من أصدقائها من الخارج ويتمتعون بمياه هذا الشاطئ؛ ضحك الرجل قائلاً:

ستشعرون بأمان والمنطقة مُسلية لوجود الضيوف حولكما.

اعتمد المنزل فى تصميمه على طراز القباب فوق الحجرات والصالة حيث يرتفع الهواء الساخن إلى تلك القباب ومن منفذ صغير يخرج الهواء الساخن إلى الخارج ليحل محله الهواء البارد من أسفل حسب نظرية علمية وقد أثبتت تلك النظرية صحتها ونجاحها فيما أنشأه هذا المهندس البار كما أن المبنى أدخل فى إنشائه الخامات المحلية بخلط الرمال بقليل من الطفلة، هذه الخلطة تعمل على منع انتقال الحرارة من الخارج إلى الداخل لأنها مادة عازلة للحرارة وتحمل بعض خواص الأسمنت فى المقدره على التحمل، يتكون المنزل من دور واحد لهذا قل تأثير ارتفاع حرارة الصحراء صيفاً أما شتاء فإن الأمر يختلف حيث تقل درجات البرودة المنبعثة من خارج المبنى لنفس خاصية المواد المستخدمة مع غلق فتحات التهوية حتى يحتفظ المبنى بدرجة الحرارة الداخلية، المبنى له باب من الخارج ثم خلف هذا الباب منطقة مفتوحة تسمى "حوش" يحيط به سور يستطيع قاطنوه أن يجلسوا براحتهم دون أن تشاهدهم عيون الغريباء والتمتع بأشعة الشمس شتاء وبالهواء القادم من البحر صيفاً كما يمكن إعداد الطعام أو غسل الملابس ونشرها، فى نهاية الحوش يوجد باب المنزل ويدخل الإنسان فتقابله صالة فسيحة وحجرتان يمين ويسار الصالة ثم فى النهاية تجد المطبخ يمينا والحمام يساراً مع شباك مرتفع ليساعد على التهوية وتجديد هواء المنزل من الداخل.

انتهى مساعده الشيخ من إنزال حقائب وأمتعة الزوجين إلى داخل المنزل وقاموا بوداعهما بعد أن أوضح لهم الشيخ بأن زوجته تعد طعام العشاء وسترسله مع أحد أبنائها؛ قام هشام بمساعدة بثينة للدخول للبيت والذى بدا

واضحاً أن السيدة كارين والشيخ اهتما بكل شيء داخله سواء من الفرش البسيط والنظيف والمُختار بعناية كما كانت كل أدوات المائدة والمطبخ متوافرة ولمبات الكيروسين المستخدمة في الإضاءة حيث لا يوجد بتلك المنطقة كهرباء ولا إرسال تليفزيوني.

بدا واضحاً علي الزوجين السعادة بأن أصبحا بمفردهما كحبيبين وزوجين ثم الأهم العمل الذي سوف يتسلمه هشام بعد باكر؛ يحدث زوجته:
- خلاص يا بثينة، بقينا لوحدنا ولبعضنا وحنبنى عشنا، ضحكت وهى تستمع لكلماته والتي أخذ بعض مقاطعها من أغنية للمطربة شادية، جلست تستريح من عناء السفر وجلوسها فترة طويلة وهى التى تشكو من سقم وتعب ساقئها طلب منها هشام الجلوس للراحة كى يتجول بداخل الشقة.

عاد بعد أن اطمأن على أن كل شيء على ما يرام كما تأكد أن هناك مياهاً فى الحنفيات حيث أخبره الشيخ بأن المياه تأتى من مشروع انتهت منه الحكومة حديثاً لتزويد التجمعات السكنية بها لأن مياه الأرض مالحة لقربها من البحر، عرض هشام على عروسه مساعدتها للحصول على حمام مُنعش بعد عناء السفر الطويل؛ نهضت مسرورة تستند على ذراعيه القويتين، بعد أن قام بواجب رعايتها مثل ما تفعل الأم مع أبنائها أعادها إلى سريرها مُعداً لها كوباً من الشاي وجوارها راديو صغير تسمع منه أخبار العالم وأعذب الأغاني لبعض الألحان المصرية والعربية خاصة المطربة فيروز التى كانت تعشق أغانيها حيث انسابت أغنية شط إسكندرية للرائع سيد درويش.

توجه هشام إلى الحمام ليحصل على قسط من النظافة ينعش به جسده المتعب من عناء السفر ثم عاد وجلس بجوارها يرتشف كوب الشاي وتملطن
"كما قالت له" لدى سماعها أغاني الإذاعة.

سمعا طرقتا على باب الاستراحة فخرج هشام يستطلع الأمر؛ شاهد الشيخ خيرالله ويصحبته ابنته وهى فى العاشرة من عمرها تحمل صينية عليها عشاء ومغطاة بقطعة قماش "قوطة" تحدث الرجل مكرراً قوله بأنه قريب منهما وإذا احتاجا لأي شيء ما فيجب إخباره وسيقوم بتزليله لهما كما أخبره بأنه سيحضر صباح الغد لمرافقته إلى مركز الفنون لمقابلة السيدة كارين ثم ودعه وانصرف. هذه ليلتى وحلم صباى!! هذه هى الليلة الأولى لهما حيث تناولا عشاءهما وجلسا قليلاً يتحدثان ويتبادلان عواطفهما الجياشة التى استمرت ما يقرب من ثمانية أعوام عندما شعرا بشيء يتحرك بداخلهما كل جهة الآخر .. تجاذبا أطراف الحديث والقليل من علاقة حب الأزواج حيث كان الاثنان مرهقين لدرجة كبيرة.

صباح اليوم التالى تحركت بثينة بجوار هشام إلى المطبخ تحرك ساقيها ببطء تعاونه فى إعداد طعام الإفطار وعندما لاحظ أنها متعبة وأن وقوفها قد طال أحضر لها كرسيًا جلست عليه وتابع عمله كما كانت تساعد وهى جالسة حتى انتهى من إعداد طعام الإفطار وتناولاه ثم استعد لحضور الشيخ خير الله الذى حضر فى موعده فاصطحبه معه إلى المركز وقبلها حذر بثينة بعدم فتح الباب لأى إنسان حتى تتأكد من شخصيته.

بعد أن غادر هشام المنزل جلست بثينة بمفردها لا تسمع سوى أصوات أمواج البحر التى وصل هديرها من على بُعد والسكون مُطبق والمكان مختلف عن المكان التى تعودت عليه فى بولاق ولم تسمع أو تشاهد بشراً وتاقت لرؤية بعض السيدات تتجاذبن معهن أطراف الحديث.

تحاملت على نفسها مستندة على الحائط تارة وبالكرسی تارة أخرى لتجلس أو تستند عليه وشملها شعور عارم بالسعادة رغم شعورها بالإرهاق حيث

ضاعت نفسها من الجلوس لفترات طويلة وهى ابنة الاثنتين والعشرين ربيعا
والتي يتفجر جسدها حيوية ونشاطا، قررت أن تقاوم هذا الكساح المؤقت بكل
الطرق متبعة نصائح طبيب العلاج الطبيعى الذى أوضح لها أن التدريب
المتواصل على السير كل يوم مع زيادة المسافات التى تسيرها تباعا هو الحل
وعند شعورها بالتعب تحاول السير قليلاً ثم تجلس لتستريح.

أوضح لها هذا وطلب منها ألا تستكين كما نصحتها الطبيب الأب قبل
سفرهما بأن تحاول التخلص من هذا الكساح قبل الحمل حيث سيزداد وزنها
ولذا يجب عليها الاستعداد لهذا الحدث السعيد والجديد فى حياتها؛ أصبحت
مشاعرها فرحة بالمستقبل وبقها هذا لأن تحاول الالتزام بالعلاج الطبيعى
استطاعت أن تقطع مسافات أكثر من المعتاد كما أنها قامت بتجهيز وإعداد
الطعام لزوجها بعد أن حضرت ابنة الشيخ خيرالله حاملة بعض لوازم المنزل
من لحوم وخضراوات وفاكهة ، تحدثت نفسها .. كل شئ جاهز الآن لأعد
الطعام لزوجى وحبيبى، استكانت قليلا مستندة بظهرها على الحائط وتذكرت
أن لها زوجا ومنزلا وأنه الآن فى عمله، الفرحة دفعت بالدماء المتجددة إلى
عروقها فأعطت الأعصاب قوة أكثر مما سبق وتحركت وسارت، انحنى
وقامت مثل الأسوياء والأصحاء .. ازدادت سعادة وربة فى استكمال منهج
عملها فى هذا اليوم .. إنه اليوم الأول الذى تعيش فيه بعيدة عن عون الخالة
الرفيقة سندس .. انتهت تقريبا من إعداد نصف الطعام ولم يتبق سوى وضعه
فوق وابور الجاز المزود به المنزل حيث لا يوجد بوتجاز فى تلك المنطقة
وليكن ولو على كانون بلدى ساعد الطعام لحبيبى أبى أبنائى إن شاء الله.

تذكرت الأبناء ولم تشعر بمساعدة مثلما شعرت بها الآن حيث كانت
تلاحظ حب شقيقاتها لأبنائهن وكل من تعرفهم كيف كانوا يسعدون لهذا الحدث

العظيم .. تحركت إلى السرير وجلست تستعيد قواها التي بدأت تخور من وطأة ما قامت به من مجهود، سكنت قليلاً: وتذكرت كلام الطبيب الأب ونصيحته: ابنتي بثينة أريد منك قبل الحمل أن تقوى ساقيكِ حتى تستطيعي تحمل أعباء الحمل خاصة عند زيادة الوزن ، فردت ساقها أمامها وشعرت بسعادة بأنها مازالت ذات ساقين جميلتين وليس هذا اعتراف هشام فإنه لا يعرف السيقان الجميلة من عيدان القصب!! ولكنه رأى الخالات وسارة وكل النساء اللاتي عرفتهن؛ بل كانت تشعر وهي تسير في الطريق بصحبة هشام أن الكثير من الرجال ينظرون إليها وإلى ساقها وكان هذا يسعدها، هذا تقدير لجمالها وجمال ساقها، صفتت يديها بسعادة لإطراء الآخرين لجمالها وفتنة بنات حواء نظرت إلى صدرها الفاتن من أعلى ملابسها وتمتمت:

سوف أحمل وأرضع أبنائي من هذا الثدي، إنه شعور جميل لم أشعر به من قبل لكنني واثقة بأنه سيكون رائعاً، لم يتبق أمامي كي أحقق كل هذا سوى بضعة أشهر وعلى أن أعيد لهاتين الساقين الجميلتين الحيوية والقوة وكما قال عمي فخري سأكون سعيداً عندما أراكِ أنتِ وهشام تعودان ثانية وتركبان الدراجة في الحارة وتدوران حولي وأنا جالس أدخن سيجارى أتابعكما؛ وقتها سأشعر أن الله من عليكِ بالصحة وسوف أشعر أنني عدت للوراء أكثر من عشرة أعوام، نهضت سعيدة ووقفت وسارت عدة أمتار بخطى ثابتة وهي على يقين من قوتها ودون الاعتماد على كرسي، استكملت إعداد الطعام وسارت بأرجاء المنزل بعض الوقت ونسيت أوتناست أنها ضعيفة الساقين، فجأة شعرت بأنها لا تستطيع الوقوف .. صرخت: هشام .. هشام .. ولكن هيهات فهو في لقاء اليوم مع مديرة المركز ، سقطت أرضاً باكية ليس من قوة السقطة ولكن من فشلها في تحقيق حلمها، جلست قليلاً تسوى هنادامها الذي تلف من

أثر سقوطها وتزليل بعض ما علق بها من أثر السقوط أرضاً، أثناء وجودها على هذا الوضع الممتكين تحت قوة الصدمة والضعف البدني الإنساني اشتهمت رائحة الطعام وأنه على وشك الاحتراق، زحفت وهي جالسة أرضاً حتى وصلت إلى الترابيزة التي عليها الإناء فوق وإبور الجاز وبكل صعوبة استطاعت فتح نفس الهواء وأطفئت النيران التي كادت أن تقضى على مجهود هذا اليوم وعلى آمالها بأن تعد لزوجها وحبیبها طعامه.

مازالت جالسة وأدركها الخوف بأن تحاول الوقوف فتسقط خاصة أن إناء الطعام كاد أن يسقط عليها من فوق النيران لولا عناية الله بها .. سمعت دقا على الباب أقرب إلى من يدق قطعة موسيقية .. فرحت؛ لقد عاد هشام .. عاد الحبيب الوفي عاد الأمن والحماية، أه على مدى حبی لك يا هشام.

دخل عليها ينادى .. بعبس حبيبي .. أين أنت؟ تجيبه من داخل المطبخ .. انا هنا يا حبيب قلبي، حضر إليها فشاهاها جالسة على الأرض فنظر إليها قائلاً:

. أكيد وقعتي؟ تشير إليه بصحة قوله، جلس أمامها أرضاً وأمسك بيديها يقبلهما وهي تحاول جنبها من يده ولكنه ماض في إظهار عواطفه، شملها الخجل.
- أرجوك يا هشام يا حبيبي استني شويه لما اغسل أيدي كلها بصل وتوم وطماطم، مازال يفيض بحبه عليها مغلفها بقبلاته:

. أنا مش شامم غير كل حاجه حلوه .. تضحك من إطرء زوجها لها وتمد يدها إليه طالبة منه مساعدتها، قال لها:

- لا لا لا .. خليكي هنا لحد ما تقدرى تقومى لوحدك .. تستجد به ولكنه تركها ليبدل ملبسه ويتوضأ ويصلى العصر .. أصابها الحزن والألم ثانية حتى حبيبي وزوجي تركنى .. هذا معناه أنه لا اعتماد بعد الله إلا على

نفسى .. حاولت أن تنهض ولكنها فشلت بكت دون إحداث صوت وقامت ثانية وبعد أن قاربت من الاعتدال وفرد ساقيها خانتها هاتان المساقان الجميلتان وسقطت وآلمها ذلك، جففت دموعها ومازلت جالسة وقررت أن تظل هكذا حتى يعود زوجها العبيط متذبذب العواطف، إما أن يقبل يدي وبها آثار الطهى أو يتركنى أرضاً هكذا.

ظلت على هذا الحال ما يقرب من الساعة وقبلها نصف ساعة جالسة أرضاً وحينما طالت بها الجلسة وشعرت بالآلام أسفل ظهرها تلممت يميناً ويساراً لتقلل تأثير هذا على مقعدتها من جراء صلابة أرضية المطبخ. خيل إليها أنها شاهدت شيئاً يتحرك واعتقدت أنه ثعبان؛ صرخت صرخة مكبوتة وقرعت فنهضت وشاهدت نفسها وقد وقفت وجرت فى اتجاه زوجها الذى كان يغط فى نومه .. دفعته.

. هشام الحقتى ثعبان .. قفز من السرير يسألها أين الثعبان؟ أشارت إليه بأنه على الحائط فضحك قائلاً: تلك سحلية لا تؤذى ولا تضر، استرجعت أنفاسها المتلاحقة من الخوف المفاجئ والذى أصابها فى المطبخ، جلست قليلاً وتذكرت أنها كانت بالمطبخ لاهية لا تستطيع الوقوف، صغقت بيديها الرقيقتين ياه .. حصل ونهضت دون مساعدة .. ياه .. أخيراً وقفت مرة واحدة .. أسعدها هذا ومازال هشام نائماً وعيناه مفتوحتان يرقب كل ما قالته وتقوله كانت السعادة تغمرها ولكنها فوجئت أنه يقظ فضايقها وآلمها هذا فتركته عائدة إلى المطبخ والثقة تملؤها فلحق بها قائلاً:

- على فين يا مجنونة؟ تعالى .. كانت رافضة رجاءه بالعودة حزناً لتصرفه معها عندما تركها فى المطبخ على هذا الوضع، لم يتركها بل أخذها عنوة إلى السرير ومازلت ضاحكة وصوتها الرقيق يداعب حوائط المنزل والأثاث تردد ..

إيه يا مجنون .. أنت يا أوله .. عايز إيه؟ يقبلها بنهم قائلاً:
. عايز حلالى .. نظرت إليه بإعجاب وأنوثة طاغية، وقام بها بين الضحكات
والسعادة المتبادلة، راحا فى نوم عميق يغلفه المنكر والسعادة .. استيقظاً قبيل
غروب الشمس غير مصدقين ما حدث.

أراد أن يساعدها فى الحصول على حمامها فأصابها الخجل ومازال فى
دهشة من أمرها حيث ساعدها قبل ذلك عدة مرات أثناء مرضها ولكنها تمنعت
عليه وتوجهت بمفردها للحمام وطلب منها عدم إغلاق الباب لينقذها إذا حدث
لها أى مكروه، نظرت إليه بكل معانى الأنوثة والرقّة، ضحك من زوجته
وأفكارها وأخبرها ونبهها إلى أنها زوجته ولكنها لم تكثر بكلماته وتوجهت إلى
الحمام وهى تتغنى بصوتها الجميل العذب أغنية شادية:

ياسارق من عيني النوم إن نمت دقيقة تصحيني

ويقالى كام ليله ويوم ياسارق النوم من عيني

أنهت حمامها فقال لها:

. صباحية مباركة يا عروسة؛ ضحكت قائلة:

- إحنا مش الصبح يا عريس .. قول عصرية أو مغربية مباركة يا عروسة
ضحك واقترب منها يغمرها بقبلاته بكل شوق وسعادة وأغرته التجربة الأولى
بأن ينال من السعادة ما كان خافيا عليه ولكنها تمنعت وأخبرته بأن الأيام جايه
وأسعده هذا، دفعته إلى الحمام ثم عادت إلى حجرتها وفتحت حقيبة صغيرة
وأخرجت بعض أدوات مكياجها التى لم تكن تستخدمها إلا نادراً وأعدت زينتها
وشعرت أنها أصبحت بثينة التى كانت منذ عامين مضى وتمتت بداخلها.

لقد عادت إلى أنوثتى ورشاقتى وسحرى، هذا المسكين لن يفلت من يدى
وسوف أشبعه من جرعات الحب كنوماً كثيرة، إنه حبيب الصبا والشباب وأب

الأبناء القادمين والتي غرست أول بذرة منهم اليوم، توجهت إلى المطبخ وأعدت أطباق الطعام الشهى، أنهى هشام استحمامه فشاهد حورية أمامه وأطباق الطعام، ظلت صامته تنتظر إليه وتنتظر أيهما يفضل، بعد تردد قفز على المائدة يلتهم الطعام وضحكت بصوت مرتفع قائلة:

. فعلا الرجاله كده .. وقديما قالوا ادخلى لعقل وقلب الرجل من معدته، جلست أمامه تتناول طعامها سعيدة بأن لها ابنا كبيراً يتناول الطعام التى قامت بإعداده .

لم يكن التحسن التى شعرت به بثينة أثناء وجودها بالمطبخ إلا تحسنا وقتياً ورد فعل لخوفها من هذا الشيء الذى كان يتحرك بأن يكون ثعباناً وهى رقيقة المشاعر والتى تخاف الفأر فما حالها من الثعبان، أخبرها هشام بأنها سلبية .. عاد إليها إحماسها بضعف ساقها عن تحمل ثقل وزنها ولكن مازال الأمل يراودها بأن تتحسن حالتها الصحية وبالأخص بعد زواجها الفعلى وأنها سوف تصبح أما بعد عدة أشهر حيث كان هذا دافعا قويا لها.

أخبرها هشام بلقائه بالميدة كارين ومدى سعادتها بما أحضره معه من بعض أعماله التى رسمها وخططها والتى تظهر مدى حبه وآلامه لبثينة كما رافق كارين فى جولة داخل المركز حيث شاهد وعين نشاطهم وأعمالهم وأدهشه نشاط هذه السيدة الأجنبية العاشقة لعملها وفنها كما أسعده حبها للشعب المصرى؛ شاهد أيضا فتيات كثيرات تدرين على فنهن ونشاطهن لما يتميز به أبناء تلك المنطقة من الذكاء وطول البال والتحمل وحسن الخلق الذى ساعدها كثيراً فى تطوير عملها وفنها وأنه لا يوجد رجال يعملون إلا قليلاً فى الأعمال التى تناسب طبيعتهم من حيث صنع الأواني الفخارية والتى يقوم بها

أحد العمال المصريين المهرة الذي تخصص فى صناعتها ويقوم الرجال بحمل تلك الأوانى لحرقتها فى الفرن المعد لذلك .. كما يقوم آخرون بنظافة وصنفرة تلك الإبداعات وتلميعها مع توفر كتالوج يزودهم بالتصميمات والرسومات المطلوب إنجازها وقد كلفته كارين بتولى إدارة هذا القسم نظراً لما يمتاز به من موهبة والتي أصقلها بالدراسة التي زادت من خبرته كثيراً .. أخبر بثينة بأنها قررت له راتباً معقولاً يزيد عن زملائه الذين يعملون فى الحكومة مع تخصيص نسبة من الأرباح المحققة له تدفع كل عدة شهور ؛ كان واضحاً أن عرض السيدة كارين حاز الرضا والقبول.

اتفق هشام مع بثينة بالألا تحمل نفسها مشقة العمل فى المنزل ويعد عودته من عمله سيقوم بتلك الأعمال طالبا منها المحافظة على صحتها كما أخبرها أنه تعمد تركها فى المطبخ بعد عودته كى تحاول الاعتماد على نفسها فقد أخبره طبيب العلاج الطبيعى بذلك ولكن أعمال المنزل شاقة عليها ومن أجل هذا فإنه يطالبها بالاسترخاء وما عليها سوى السير داخل المنزل أو الحوش حتى تقوى أعصاب الساقين.

سارت الحياة بالزوجين على هذا المنوال، صباح كل يوم يغادر هشام منزله متجها إلى عمله بينما تحضر ابنة الشيخ خيرالله ما يحتاجه المنزل من طلبات فتقوم بثينة ببعض الأعمال مثل تقميع البامية أو تتبيل اللحوم أو القيام بأى عمل لا يحتاج إلى مجهود أو الوقوف فترات طويلة، بعد عودة هشام من عمله كان يُنهى جميع الأعمال تحت إشرافها وتوجيهها ويقوم أيضا بغسل الملابس ونشرها، كل هذا كان يتم بين ضحكاتهما وسعادتهما التى كانت تزداد يوماً بعد يوم سواء من هشام الذى شعر بسعادة فى عمله أو لشعوره بأنه يؤدي الواجبات المنزلية بدلا من حبيبته مما يؤدي إلى أن يدفع بها إلى التقدم صحياً

ونفسياً .. أما عن بثينة فقد شعرت بمدى ما يكنه لها هذا الزوج من حب وهو يقوم بكل هذا العمل مما جعلها سيدة لهذا القصر المتواضع والذي ظلته نسمات الحب والإخلاص؛ بدا واضحا أن بثينة حامل من الآثار والأعراض التي تحدث للسيدات فى تلك الأحوال من دوخة و قىء والشعور بمغص.

مساء كل يوم يقوم هشام بمساعدة زوجته فى السير حتى مياه البحر فتضع ساقها فيه بينما يلهو بجوارها، هذا النشاط كان له الأثر الطيب على صحتها حيث ازدادت المسافة التى تقطعها سيراً على أقدامها معتمدة على نفسها وهشام يراقبها حتى إذا شعر أنها لا تستطيع أن تكمل مشوارها لحق بها حاملاً إياها على ساعديه وهما يتضحاكان بسعادة .. ليلاً يقوم باصطياد الكابوريا من على شاطئ البحر مستغلاً المشاعل بعد أن نبهه ودره أبناء المنطقة على هذا حيث كان يعد لها هذا الطعام البحرى الشهى الذى كان يمدها بكل مقومات الصحة وقوة البدن، لقد تغير لون جسدها من الأبيض الباهت إلى البرونزى من أشعة الشمس التى اكتسبتها ومن ارتدائها لملابس البحر "المايوه" والنزول الى المياه .. استمرا على هذا الحال طوال فترة شهور الصيف مما ساعدها على القيام ببعض الأعمال نيابة عن زوجها حيث تبادلوا العمل وكل شخص ساعد الآخر .

تعددت زيارات سيدات المنطقة إلى العروس الصغيرة التى كانت مسارحهم وعطفهم لصغر عمرها وما شاهدوه من حالها وعدم قدرتها على السير إلا لمسافات قليلة، كان هذا مدعاة إلى تقديم يد العون لها والكل تسابق إلى هذا وهم أبناء الواحات ومنطقة الصحراء الغربية طيبو القلب والعشرة والتى تتأصل فيهم روح الشهامه العربية وقد أصبحوا أهلا بديلا وأصدقاء لهما ..

شعر الزوجان بأن الله أبدل أبناءهم الحارة فى بولاق بهؤلاء القوم.

سارت الأمور على مايرام وزالت رهبة الغربة والخوف من المجهول ومازال هشام يتقدم فى عمله وأقام الكثير من الصداقات وكان يحضر أفراح البدو دون حضور بثينة، كما أقامت بثينة بالعديد من الصداقات مع بعض الفتيات الأكبر عمراً لتسليتها فيقصون عليها أخبار المنطقة ويتغنون ببعض أغاني التراث الخاصة بهن وفى بعض الأحيان يرقصن أثناء الغناء حيث لا يوجد رجال بالمنزل وهن فى غاية السعادة أن تعرفن علي هذه العروس القادمة من القاهرة وزوجة المهندس الذى كان يلقيه الجميع بهذا اللقب فهو المهندس الوحيد بالقرية .. كما حضرت كارين لزيارتها.

تكررت تلك الزيارات مصطحبة معها بعض الساعات من وطنها هولندا والتي استطاعت بذكائها أن تشجعهم على الحضور لتلك المنطقة وفى نهاية زيارتهم يشترتون بعضاً من منتجاتها والتي لاقت استحساناً فى بلادها، بهذه الطريقة استطاعت كارين أن تشارك إحدى سيدات وطنها فى إقامة معرض دائم لمنتجات الأوانى الخزفية للوادي الجديد ومرسى مطروح فى مدينة أمستردام عاصمة هولندا حيث إن هاتين المحافظتين لهما طبيعة واحدة خارج التقسيم الإدارى للدولة.

كل شهر يصل فوج سياحى سواء من هولندا أو ألمانيا يقيم فى استراحة أعدتها كارين لهذا الغرض، بهذا أصبحت استفادتها مضاعفة بأن استطاعت إقامة منتج سياحى يدر عليها عائداً مادياً مجزياً كما أنهم يشاهدون خطوات الإنتاج ويختارون مايرغبون فى شرائه من تلك المنتجات التي لم تقف عند هذا الحد حيث توسعت الدائرة بأن قامت بثينة مع بعض الزوجات الصغيرات والفتيات بإعداد ملابس لأبناء المنطقة سواء للسيدات أو الرجال ومطرزة بطرز فنية مبتكرة أقبل عليها المسائحون كما أن منتجات المنطقة من مصنوعات الخوص الناتج من نخيل المنطقة ٩٥ تهافت عليه هؤلاء القادمون من أوروبا

بالإضافة إلى منتجات زيت الزيتون والبلح ومشتقاته مثل العجوة التي لا يعرفون عنها شيئا .. هكذا تطورت نوعية المنتجات سواء فى المصنع حيث يرسم هشام بيده الماهرة الدقيقة على الأوانى الفخارية من الكتلوجات التي أحضرتها كارين أو لمساهمة بثينة مع السيدات فى إعداد طرز الملابس وتشكيلاتها وتنوعها.

كان لوجود بثينة فى المركز الذى أقيم قريبا من منزلها لهذا الغرض أثر مهم فى جذب السائحات للشراء من منتجاته لما تتمتع به بثينة من جمال أخذ وهبها الله لها مع رقة فى الحديث كما أنها تستطيع التحدث معهم بما تعلمته من اللغة الإنجليزية أو الفرنسية فى مرحلة التعليم الثانوى، وهى الفتاة التى تقيم بالقاهرة .. كل هذا دفع إلى زيادة النشاط الاقتصادى وكان له الأثر الطيب على المنطقة الصغيرة والمناطق القريبة فقد ازدادت فرص العمل خاصة أمام الفتيات والنساء اللاتى كن ينتظرن فى بيوتهن قابعات إلى أن يأتى العريس المرتقب لينقلها من منزلها إلى منزله ويحولها من فتاة ساكنة إلى زوجة تحمل بالأعباء سواء من خدمة الزوج أو الإنجاب وتعاود سيرة أمها وجداتها دون إضافة أى شىء نافع للمجتمع .. تبدل هذا النمط وغزا التطور المنطقه رويداً رويداً وأصبحت الفتيات والنساء منتجات ويحصلن على دخل يُحسن من الحالة الاقتصادية لهن وبالطبع كان لبثينة الفضل الأكبر فى هذا.

السيدة كارين تخطت الأربعين عاما من عمرها وتقيم فى تلك المنطقة منذ عشرة أعوام تفهمت كل طباع أبناء البدو فسارت على نهجهم حتى لا يحدث بينهم شقاق، أعطتهم من فكرها خطوة خطوة حتى إذا شاهدوا ثمرة ما تقوم به كان استعدادهم كاملا لأن يتعاونوا معها، ومنذ عدة سنوات أصبح الشيخ خيرالله هو المساعد لها وأسبغ هذا على نشاط "كارين" الصفة القانونية فى مجتمع القبيلة والتي لا يعرف ٩٦ سوى القانون المتعارف عليه ولا سلطة

سوى سلطة شيخها وقد أسهم هذا فى توفير كوادى العمل من الجنسين وتوفير متطلبات ما تقوم به وهذا دافع لئلا يتعرض أحد لضيوفاها من المنطقة خاصة السيدات اللاتى كن يرتدين ملابس البحر العارية والمخالفة للتقاليد والأعراف.

أصبح هناك منتجع سياحى بسيط وطبيعى أقيم فى المنطقة المواجهة لمنزل هشام .. تلك المنطقة المخصصة لارتياح النساء الأوروبيات للسباحة ولهذا لم يفت كارين أن تحدد مكان سكنى هشام وزوجته فى تلك المنطقة وهما من أبناء القاهرة حتى تصبح الصورة راقية أمام ضيوفاها.

سارت الأمور طبيعية واستكملت بثينة الشهر الخامس من حملها وعانت منه كثيرا لكن سيدات القرية كن معها قلبا وقالبا يشاركنها تلك الفترة المهمة فى حياة أية زوجة حديثة الزواج فقدمن لها الكثير من النصائح والخبرات التى توارثت على مر الأعوام .

يوم الجمعة أصبح يوم المتعة للزوجين لأنه يوم الراحة من العمل ولهذا فهما معا لا يفترقان إلا ساعة واحدة يذهب خلالها هشام للصلاة فى المسجد الصغير القريب من المنزل ويعود إليها مباشرة وكان الأصدقاء من البدو يتركونه على راحته؛ حيث يعلم الجميع أن زوجته تحتاج العون فهم يشاهدونها والفتيات يساعدها يوميا أثناء الذهاب إلى مصنع الملابس وأثناء العودة وكل مسافة تجلس تستريح على أحد الكراسى التى تحملها إحداهن لهذا الغرض.

عادة ما يأخذ هشام بيد بثينة ويذهب بها إلى شاطئ البحر بخطوات سريعة ثم تقل تدريجيا إلى أن تنتهى بالجلوس والراحة ولكن حدث تغير فى هذا اليوم فقد استمرت فى سيرها حتى وصلت إلى المياه، جلست تستريح فقد أرهقت ساقها من الجهد ولكن مازال الأمل يحدها فى أن تصبح قادرة على تحمل الجنين الذى يتحرك فى أحشائها وهى تتاجيه من حين لآخر "بس ياولة عامل دوشه ليه " ومثل بعض تلك الكلمات التى تسمع الأم جنيها ليعتاد

على صوتها، هذا يشعره بالأمان وقد علمت هذا من بعض سيدات المنطقة ..
لكن ما أسعدها أنه رغم ثقل وزنها إلا أنها استطاعت أن تسير تلك المسافة،
هذا عامل مهم فى تقدم صحتها .. أمضى الزوجان قرابة الساعتين، بعدها
طلبت من هشام أن يعود بها إلى منزلها فتسير تارة وتجلس تارة وتتقدم تارة
حتى وصلت وساعدها على الاسترخاء على سريرها يداعبها وفردت ساقها
أمامها فنظر إليهما بإعجاب قائلاً:

. خلاص يا بت .. رجلك زى الفلّ ويقوا حلوين .. تسألته:

. حلوين بس؟ .. يضع يده عليهما قائلاً:

. قشطة .. زى ما كنتى .. ريحتك حلوه وعلى رأى سارة .. مراتك يا هشام رينا
معطرها من عنده .. تسألته:

. يعنى أنت شامم عطر دلوقتى؟ يجيبها ومازال فى وضعه المائل على السرير
واضعا يده على ساقها

. ايوه .. ريحتك حلوه خالص يا بسبوس .. تسألته:

. طيب ريحتى أحسن وإلا عطر الأسطى عجور، ضحك حتى استلقي على
ظهره من فارق المقارنة قائلاً:

. "ارجوكى ؛ لما أكون مشغول بيكى متخليش حاجه تغير تفكيرى .. أنا مفتون
بيكى .." مازالت تلاعب شعر رأسه وتحديثه:

. "بقيت تعرف تتكلم يا منيل، دا أنت كنت من كام سنه دُهل وبتتلخبط آخر
لخبطة وخالتى سندس بتقول إن هشام ابن أخويا غلبان ودهوان، ضحك قائلاً:

. " كل ده كان فيا؟ دا أنا إجمويه خالص" .. استأذنها بأنه لديه بعض الأعمال
المطلوب الانتهاء منها راجيا منها الراحة والهدوء .. تركها تستجمع قواها ويدا
عليها السعادة لما بذلته من جهد، هكذا مضى يوم آخر فى حياتهما تغلفه
المعادة والحب.

الأسبوع التالي وبعد صلاة الجمعة كان الطقس دافئاً رغم فصل الشتاء وخرجنا سوياً أمام منزلهما ووضع هشام كرسيين ومنضدة مصنوعة من خامات جريد النخيل، كان أمامهما طبق برتقال والراديو يذيع أغاني جميلة واستمعا إلى أغنية "انا لك ع طول" للفنان عبد الحليم حافظ .. هتفت .. هشام .. أغنيتي المفضلة، أشار إليها بأنه يهدى إليها تلك الأغنية .. طلبت منه أن يقوم بغنائها، خفضت من صوت الراديو لسماع اللحن وبصوت هشام .. وبدأ هشام فى محاكاة صوت عبد الحليم حافظ لكن النظرات بين الاثنين كانت عاملاً مهماً فى إشعال نيران الحب بجانب الأغنية واللحن والمكان:

*انا لك على طول خليك ليا واسعدنى يوم وطل عليا
وكذ الاثنين واسأل فيا من أول يوم راح منى النوم*

انفعلت أحاسيسها وتداخلت مشاعرها وهى ترتجف، طلبت منه أن يعيدها إلى منزلهم وأشارت إليه بالأيتكلم .. نفذ ما طلبته، كانت تسير الهوينا بجواره ليس تعباً ولا إرهاقاً بل انفعالا ونشوة وطرباً من الحدث، استلقت على السرير بينما ظل هشام جالماً أسفل قدميها يداعب ساقيهما بكل مشاعر الحب والإحساس الرقيق التى تفهمه وتدركه .. ومن هى؟ إنها بثينة التى تفهم ما يريد هـشام قبل أن يقول أو يفعل.

هكذا نهل الاثنان من رحيق الحب والسعادة جرعة بعد جرعة وأمضيا يومهما فى هذا السرير يحتضنها ويمس على شعرها ويقبل أناملها الرقيقة مهدداً على كتفيها مقبلاً لها من حين لآخر حيث لم تكن تريد سماع أى شىء بعد سماعها لتلك الأغنية والتى ذكرتها بفيلم أيام وليالى وبما كان بينها وبين هشام عندما استقلا الفلوكة وأبحر بهما الرئيس حسونة منذ عدة أعوام.

استمر هشام فى عاداته ونشاطه فى اصطيد الكابوريا مساء كل خميس فيعد لزوجته أطباقا منها وكانت تسميغ تلك الأظعمة البحرية، فى صباح اليوم التالى سارا على شاطئ البحر تضريهما الرياح القوية الباردة وتفتح الوجوه يتحدثان ويتلاطفان فتمر الدقائق مسرعة قاطعة معها مسافات أكبر وبالتالى تزداد مقدرتها على السير، هذه علامة على براءة ساقىها الجميلتين والتى كانت تفخر بهما أمام هشام.

فى الشهر السابع ورغم زيادة الوزن من آثار الحمل وعودة نموها البدنى إلى سابق عهده قبل المرض إلا أنها أصبحت تقوم بكل شىء فى المنزل معتمدة على ساقىها دون أن تحصل على راحة إلا كل فترة زمنية لا تقل عن نصف ساعة .. دفعها هذا إلى أن تسير حتى المصنع مع اللقيات دون معاونة وكن يسنر معها لتأمينها خوفا من سقوطها فجأة، كان هذا دافعا قويا إلى السير مما أشعرها بالتقدم وبقوة تحملها وقد أصبحت فى نهاية الشهر السابع تذهب وتعود من المصنع دون مساعدة كما تستطيع حمل بعض الأشياء المطلوبة إلى منزلها.

أسعد هذا هشام كثيرا حيث كان يخشى من أن يزيد الحمل من وزنها فلا تستطيع الساقان تحمل هذا الثقل ولهذا فقد داوم على تشجيعها على هذا النشاط وهذا التقدم وأقربت من نهاية الشهر الثامن وعادت إلى سابق عهدها وأخبرته برغبتها بعد الوضع بعدة أشهر بالسفر إلى مصر، هناك فى حى بولاق نفذ ما سبق أن وعدنا به العم فخرى وأيدها فى هذا.

أخبرت القابلة "الداية" زوجة الشيخ خيرالله بأن تعدوا أنفسكم نهاية الأسبوع لاستقبال المولود الأول للست بثينة فلم يتبق إلا أيام قليلة وتضع مولودها تهلل وجه زوجة الشيخ بهذا وشاركتها بثينة تلك المشاعر فقد سيطرت عليها مشاعر الأمومة .. فى نهاية الأسبوع شعرت بثينة بالآلام الوضع

فأسرع هشام لمنزل الشيخ خيرالله الذى أرسل بزوجته وزوجة ابنه ويرفقتهما القابلة ومكثوا فى مهمتهم ثلاث ساعات أقيمت بعدها زوجة ابن الشيخ تزف بشرى نجاح مهمة الإنجاب وتخبرهما بأن السيدة أنجبت مولوداً ذكراً.

حضر المهنتون من كل لون وطيف سواء من البدو وعائلاتهم أو السيدة كارين وبعض من ضيوفها الأجانب كما حضرت الفتيات اللاتى يعملن مع بثينة وقسمن أنفسهن ورديات للإشراف ومساعدة الأم الصغيرة حتى تتخطى فترة نقاهة تستطيع بعدها أن تقف على قدميها واستمروا على هذا الحال أسبوعين حتى أصبحت بثينة قادرة على الاعتماد على نفسها، كما كان هشام يقدم يد المساعدة الممكنة بعد عودته من عمله.

فى المساء يعود هشام مسرعاً من عمله ليس للقاء الحبيبة فقط ولكن أيضاً للقاء المولود الصغير وينظر إليه فى مهده ويتذكر قدرة الخالق وهو ناظر إلى تلك العينين الصغيرتين ويفكر هل تلك العينان التى هما أصغر من حبة الترمس ستكيران فى يوم من الأيام لتكون مثلى .. وهذه الأذن والتى فى حجم ورقة البوسنة ستكبر وتنمو لتكون فى حجم أننى التى فى حجم .. تقاطعه بثينة (فى حجم ورقة الخس) .. ضحكا معاً .. أما قمة سعاده عندما يرضع الطفل من ثدى أمه .. ويشاهد هذا الشره الذى يتعرف على الثدي ويقوم بمص ما به من نعمة خلقها الله عز وجل خصيصاً له .. كيف يتعرف على هذا المكان الذى به طعامه وكيف يحتج إذا أفلتت منه حلمة الثدي أو إذا شعر أن اللبن بهذا الثدي قد نفذ .. ثم كيف يترك الثدي وينام بعد أن امتلأت معدته .. هذا الهاجس الذى كان يفكر فيه هشام يومياً أصبح كل همه مراقبة طفله أثناء تناول طعامه؛ وإذا بكى فهذا معناه أنه بلل فراشه أو أنه جوعان لقد كان يمتلك إنذاراً قوياً يدفعهم إلى سرعة تلبية طلباته بل وأمره دون التحدث.

نظر إلى هذا الثدي الجميل ١٠١ الذى هو عنوان من عناوين جمال

حواء .. أه لقد تغيرت وظيفته ولم يعد هو الجاذب والساحر لقلب الرجل جهة المرأة إنه معطاء للحياة لهذا المخلوق الملائكى الصغير .. يا لقدرة الخالق .. لقد تغير من وظيفته فبدلاً من الجاذبية والإثارة أصبح حانياً مغذياً لاستمرار الحياة علم أيضاً من حديث بثينة حين بكاء الطفل جوعاً تشعر بأن صدرها قد فاضت منه قطرات اللبن ليقول له أنا مستعد لك أيها الرضيع الصغير والله فى خلقه شئون.

عمت الفرحة والسعادة جميع الأقارب والأحباب بخبر إنجاب بثينة سواء فى منزل الجدة أو الطبيب الأب عندما حادثه هشام تليفونيا، لقد تأكد أن بثينة تستطيع القيام بواجباتها كام كما أتلج صدره كل ما حدثه به هشام مع أمنياته لابنته بثينة بالصحة والسعادة، أخبر هشام بأنه سوف يضيف هذا الحدث إلى بحثه عن حالة بثينة والذى بدأ بتدريسه فى الكلية وسيضيف هذا الجزء الخاص بالحمل والإنجاب.

الأيام تضى وهاهو راضى الصغير يستطيع التحدث ببعض الكلمات خلف والديه واقترب من نهاية عامه الأول وتمتع بصحة جيدة وكذلك بثينة أصبحت فى أوج صحتها وقمة جمالها والذى كان يخشى منه هشام أن يكون وراء هذا الجمال وهذه الصحة المتنامية شىء خطير قد يلوح فى الأفق لكنه أعاد الطمأنينة مرة ثانية إلى نفسه الجزوعة.

إبليسُ يحطم ما بناه الملائكة

المكان؛ خمارة مسيو "نظيف" للمشروبات الروحية بميدان العتبة والتي تشكو قلة الزبائن نظراً لكره الكثير من الناس للخمر التي حرمها الإسلام ولكن بعض زبائنه من الأجانب أو المصريين الذين لا صلة لهم بالدين سوى الأسماء وخانة الديانة بالبطاقة الشخصية.

فاروق عبدالغنى يعمل موظفاً بمكتب الشهر العقارى بالعتبة وعرف عنه أنه رجل سكير وعرييد، دخل خمارة مسيو نظيف وهو زوج شقيقة بثينة الكبرى طلب من الجرسون مقابلة المسيو نظيف بعد أن يعد له كأساً من البراندى حضر نظيف متنقلاً وفى عينيه ضيق من هذا الزبون الكريه شكلاً ورائحة حيث كانت القذارة الشخصية صفة من صفاته وعُرف هذا عنه، بادره نظيف:

. أيوه يا فاروق، عايز إيه؟

ابتسم له ابتسامة مخيفة لا تقل خطورة عن فتح الأفعى لفتح لعض

أحد الأشخاص .. أجابه:

. مهالك على يا نظيف، اطلبلى كاس على حسابك، رفض نظيف بعد أن أشاح بوجهه مويخاً إياه بأنه لم يفتح خمارته شئناً اجتماعية أو صدقة وهدده بأنه سوف يطلب من عماله طرده خارج المحل بعد أن يجردوه من كل ما معه ولكن الرجل قال له:

. سؤال واحد وترد علىّ ومش عايز لا كاس ولا غيره وحادف تمن اللى شريتته بضيق سأله نظيف:

. اسأل وخلصنى ورايا زباين .. قال فاروق:

. حماك!! يعنى أبو مراتك اسمه إيه؟ نظر إليه نظيف والغیظ يكاد یقتله وهو يعرف كل شىء عن سلوكه المشين مع ساقطات عماد الدين .. نهرة بشدة وغادر المكان ولكن فاروق بصوت مرتفع قال:

. مش اسمه عبدالحمید عوف، توقف الرجل عن السير وعاد إليه وأوجس خيفة من هذا الثعبان القذر، أمسك به من قميصه مهدداً له ولكن الرجل أخبره قائلاً:
- دا انا جايبك خبر حيسعدك وبخليك من الأعيان ومش حيكيفنى صندوق براندى .. لا براندى إيه .. صندوق ويسكى .. جلس نظيف أمامه وسأله:
إيه الحكاية اللي ورا كلامك؟ قال فاروق:

. وظيفتى مسئول المراجعة بمكتب الشهر العقارى والتوثيق، قريت اسم واحده اسمها بثينة عبدالحميد عوف وشارية حنة أرض مساحتها ستمية متر فى أحسن حته فى إسكندرية قلت فى بالى يمكن بنت عم عوف بتاع البن نسيك كما وقع شاهد على العقد شخص اسمه راضى حسن صديق، تحشرج صوت نظيف حيث إن كل ما نطق به فاروق صحيح، سأله نظيف:

. ومين البايع؟ فتح ورقة كانت بيده وقرأ منها

. البايع يا سيدى .. البايع يا سيدى .. فطلب نظيف من عامله إحضار كاس براندى على حساب المحل .. قال:

. البايع السيدة فربوس أحمد كمال .. سقط فى يد نظيف .. سأله أن يحضر له صورة من هذا العقد وسيكافئه بزجاجتين براندى ولكن فاروق طالبه بأن يبذلهم بالويسكى و من النوع الفاخر .. وافق نظيف على طلبه كما راجاه بإحضار صورة العقد بمرعة كما أعفاه من حساب مشروبات الليلة .. غادر فاروق المحل بعد أن أفرغ الكأس فى جوفه واقتحمت الهواجس رأس نظيف الفارغ .. محدثاً نفسه قائلاً:

.. ياه .. حتة ارض فى الإبراهيمية .. دا أحسن مكان فيكى يا إسكندرية .. دا
المتر يسوى الشىء الفلانى .. ضرب الترابيزة بعد أن فكر كيف يسطو على
جزء من هذا الميراث والذي يحق لزوجته أن يكون لها نصيب فيه .. طلب
نظيف من عامله تجهيز زجاجتى ويسكى من إياهم .. وأشار إليه بيده دليلاً
على لمهم من غسيل تربييزات المحل معلقاً:
. عشان الحرامى اللى كان معايا من شويتين.

أسرع نظيف إلى منزله يداعب زوجته آمال والتي لم تكن بينها وبينه أى
علاقة حسنة أو صفاء فى يوم من الأيام، حمل معه رطلى بسبوسة بالقشدة
من محل حلوانى الشامية الكائن بممر الكونتينتال، أسعدها هذا التغيير
وصفحت عنه إهماله لها ولأبنائها وفى لحظات الود بين الزوجين فى حجرة
نومهما عرض عليها ما سمعه من موظف الشهر العقارى معلقاً على ذلك بأننا
بهذا منصبح من الأثرياء .. جلس يحلم بالحصول على الكعكة بمفرده وأنه
سوف يتوسع فى تجارته ويقبل عليه أكابر القوم ويصبح أشهر من الخواجة
ارمانيوس الكائن بشارع الفلكى بينما زوجته جالسة بجواره على السرير تفكر
بأنها ستحصل على كل شىء من بثينة المجنونة التى لم تستمر فى زواجها
أكثر من أسبوع ثم أودعها زوجها المورستان فى بلدته .. نام الزوجان
متجاورين أجسادا ومختلفين فكراً ولكن يجمع بينهما الشيطان.

مضت ثلاثة أيام بطيئة ثقيلة على نظيف وزوجته؛ كما حضر فاروق
بعد أن نقل مسودة عقد تنازل الجدة لحفيدتها بعقد هبة مشروط وقدمه إلى
نظيف الذى احتج على هذا طالبا منه العقد الأصلى، أخبره الرجل أن العقود
الأصلية تودع فى قسم خاص تابع لوزارة العدل ولا يحتفظ بها فى مكاتب
الشهر العقارى، هذا قانون ولا يستطيع الوصول إلى العقد الأصلى لهذا نقل

صورة العقد .. سكت نظيف على مبيض وهيا نفسه أن هذه الصورة بها كل البيانات من حيث المساحة والمكان والجيران واسم البائع والمشتري .. دفع له بالزجاجتين اللتين يعلم نظيف أى سائل تحوى وأن السكر الذى أمامه يشرب أى شىء يحمل رائحة الكحول.

عاد نظيف إلى زوجته سعيداً بما حصل عليه من فاروق وعرض عليها صورة البيانات التى أحضرها طالباً منها التوجه لأمها صباح الغد كى تعرض عليها ما تم مطالبة بنصيبتها وتخبرها بأننى مستعد لعرض الأرض على تاجر ثرى يدفع فيها أكثر من سعر السوق بعدة مرات .. هكذا توجهت آمال الشبيه الأثنوى بشقيقها فاروق إلى أمها واستقبلتها أمها بكل ترحاب كعادتها، خلال اللقاء كان شقيقها فاروق جالماً بجوارها ينعى حظه بأن شقيقاته الأكبر منه لا يقدمن له أى منفعة ولا معونة سوى النذر اليسير فعلقت شقيقته آمال: معايا خير كويس وجيت أجرى بالمشوار؛ اندهشت أمها حيث تعلم أن ابنتها ذات الرأس الكبير لا تملك حتى الأفكار الصغيرة، سألتها:

- خير يابنتى؟ عرضت عليها آمال الورقة فناولتها عائشة إلى ابنها فاروق والذى قرأ ما بها وعلق قائلاً:

.. " إيه الكلام ده ؟" وأعاد قراءتها لأمه التى ضربت على صدرها

- آه من المجرم راضى، عملها وخلقى المرحومة نينة تكتب كل حاجة لبثينة وبعدين جوزها لابنه .. آه منك يا تاجر الزيت يا مبيع .. ده ميراثى من جدى أبو امى يقوم راضى يبيع كل حاجه؛ تشاور ثلاثتهم فى الأمر وأخبرتهما آمال بأن الممسو نظيف على علاقة بكبار الشخصيات وأنه مستعد لأن يساعدا فى بيعها بثمن كبير؛ دارت الرعوس، طلب فاروق تركه كى يفكر فى كيفية الوصول إلى عنوان بثينة حيث إنها تركت منزل خالتها سندس ولا يعلم إلى أين سافرت أو فى أى مكان تقيم. - ٢٠٦

جلس فاروق يفكر فيما سيفعله ولكن نكاهه المحدود لم يسعفه وعرض على أمه مايفكر فيه وأنه لو سأل إحدى خالتيه فلن تدلى له بأى معلومات وأخواله غاضبون منه وحائقون على تصرفاته معهم ومع بثينة، إذاً كيف لى معرفة عنوانها؟ عرضت عليه أمه خطتها بأن يذهب إلى الحارة فى بولاق ويسأل أى شخص هناك وليكن عجور المزين فهو كثير الكلام مثل باقى الحلاقين، سيدتلك بكل ما تريد وإذا سألك من تكون أخبره بأنك زميل هشام بالجامعة وأنك حضرت لتسلمه أوراقا مهمة وهو الذى أعطاك عنوان عمته فى هذا المكان، أعجبتة الفكرة وشعر أنها مناسبة ويستطيع تنفيذها.

فى صباح اليوم التالى توجه فاروق إلى الحارة التى تقيم بها خالته نظر يميناً ويساراً فشاهد عجور الذى تطوع بالحضور إليه مستفسراً عما يريد فساله فاروق:

- أنت من الحارة؟ أفاده عجور بذلك مع زيادة فى بعض المعلومات وعندما عرف منه أنه يمتلك صالون حلاقة ابتسم قائلاً:
- "والله كده كويس عشان عايز أقص شعرى، أفسح له الرجل الطريق متوجها إلى دكانه الذى تغلفه الأتربة والعنكبوت وجلس فاروق وقام الرجل بفرد الفوطة على صدره، أكمل موسوعته المعرفية وأخبره الطازجة عن كل شىء سواء مهم أو غير ذلك ثم وجهه عجور سؤاله للشاب.

. أنا ملاحظ أنك غريب عن الحتة؟ وافقه فاروق.

- فعلاً أنا مش من هنا، أنا من الصعيد ، رحب به الرجل الذى إستمر فى أسئلته حتى حصل على أكبر معلومات تفيدته فى تسلية زبائنه وهم جلوس على كرسي الاعتراف ويعبث بشعورهم ويغطى على أخطاء عمله بالحكايات التى يرويها لهم حتى لا ينتبه الزبون إلى ما فعله بشعر رأسه ويكتشف هذا بعد وصوله إلى منزله.

- آه يعنى أنت غريب؟ والله الصعايده اجدع ناس، شكره فاروق على هذا الإطراء

. لكن مقلتيش أنت كنت جاي تزور حد فى الحارة؟
. فيه واحد زميلى فى الجامعة اسمه هشام وأداني عنوانه على بيت عمته الست سندس وعرفنى لو الجائزة بتاعة الجامعة وصلت آجى أعرفه وجيت على العنوان وملقيتس حد فى البيت، وقف عجور عن العمل وساد الصمت للحظات.

. آه يعنى أنت تعرف سى هشام؟ أجابه.
. آه أمال إيه، إحنا زملا فى الجامعة وأصدقاء مدة طويلة وأخباره عندي وقلت آجى أفرحه وأسلمه الجائزة، شوية فلوس تنفعه فى جوازه ورينا يشفى مراته توقف عجور عن العمل.

. الله أنت تعرف حكايته وحكاية عيا مراته الست .. يكمل:
. آه .. الست بيثينة مراته، كان بيقولى على كل حاجة، المهم أنا ح أرجع وأسلم الفلوس لهم فى الجامعة وهما يتصرفوا، بس أنا خايف يتأخر وتضيع عليه وده مبلغ مش بسيط، والا إيه رأيك؟

وقف عجور يفكر فيما يقوله للشاب الجالس أمامه حيث أنه يعلم بكل التفاصيل عن هشام وزوجته وهذا يؤكد له أنه الصديق المخلص لهشام ..
لكن هل يخبره بمكان عمله أو يمتنع عن ذلك خاصة أن المعلم نبهه على الجميع لو الجن الأحمر جه محدش يعرفه بأي حاجة لكن هذا ليس الجن الأحمر بل أنه الجنيه الأحمر أو الجنيهات الحمراء، لا يجب أن أضيع تلك الفرصة على أحبائى هشام وبيثينة وسوف تسعدهما تلك المكافأة وتنفعهما فى الغربة وعلمت منذ أيام بأن الله منّ عليهما بمولود، لا لا يجب على أن أخبره.

مال عليه قليلاً وكأنه يخبره بسر القنبلة الذرية التي كانت حديث الناس
من نجاح الصين في تصنيعها .. شوف يا أستاذ .. يكمل فاروق
". خليل .. " اسمى خليل مصباح .. من المنيا.

- أيوه يا أستاذ خليل .. الحقيقة هما بيشتغلوا فى حتة بعيدة وطالبين محدش
يعرف مكانهم، أجابه فاروق:

. أيوه انا عارف أن عيلة مراته تعيينه شويه .. أضاف عجور:

. تعيينه شويه .. بيبيوه دول عالم مؤذية والأدهى أن الست بيثينة لها أخ اسمه
فاروق تشوفه والعياذ بالله .. تقول تور من غير قرون .. وقريبه هنا بيقولوا إنه
زى عجل أبيس وبقه زى بُق الخرثيت .. حاجه كده والعياذ بالله تقرف غبى
وفاشل فى التعليم والحمار بيْفهم عنه.

توقف عجور وهو يشاهد فاروق حيث إن جميع الصفات التي حدثه عنها
موجودة به، الرأس الكبير مثل الثور والجسم مثل عجل أبيس والفم الواسع مثل
فم الخرثيت، اضطرب فاروق وهو جالس.

. عارف .. عارف .. بس حرام نجيب سيرة الناس .. على كل حال خلى سرهم
عندك وأنا ح أرجع الجامعه وأعرفهم أنى معرفتش أستدل على مكانه وهما بقى
يعينوه أمانات أو يسلّموا الجايزه إلى الزميل اللى بعده .. نظامهم كده .. توقف
عجور عن العمل.

. لا لا لا .. اوعى ترجع الفولس لهم، انا ح أقولك على مكانهم.

. بس أنت بتقول إن أخوها مؤذى، طيب حاروح انا فين منه؟ ما يمكن أكون
زى أخوها، وقف عجور ناظرا إلى وجهه قائلاً:

. ايش جاب لجاب .. بقولك عامل زى التور .. اللهم صلى على النبى الوجاهه
والوش السمح ده حاجه والمغفل الثانى حاجة تقرف .. المهم هما موجودين فى

حتى اسمها العلمين .. يعنى ناحية مرسى مطروح .. تعرف مرسى مطروح؟
.. لا والله يا أسطى ..

.. اسمى عجور .. مرسى مطروح بلد الست ليلى مراد مش بتسمعها وهى بتقول
(يا ساكنى مطروح جنية فى بحرکم والناس تيجى وتروح وانا عاشقة حیکم) ..
ضحك فاروق.

.. أى والله فعلا وعلى كل حال اللى يسأل ما يتهشى
.. شوف يا سيدى .. تنزل محطة السكة الحديد اللى فى مرسى مطروح وهناك
تسأل عن قبيلة الشيخ خيرالله الوزان حيدلوك .. وتأجر حمار بربع جنيه
والحمير هناك عارفة الطريق، نظر إليه فاروق بدهشة، يكمل؛ أيوه حمير
أجنبية ومعلمينها أسماء الحنت والشوارع حمير محترمة، أيوه مش مصدقنى
طيب مش فيه خيل بتجر عربية الجاز والا الزيالة، يومى فاروق برأسه دليلاً
على هذا، لكن فيه خيل بتاعة السبق وفيه خيل بيقولوا تمنها يزيد عن آلاف
الجنيهات .. الحمير دية من نفس النوع .. ينهى عجور روايته التى تبين ثقافته
الواسعة.

نفض الفوطه إيدانا بانتهاء عمله .. أغدق عليه فاروق فى الأجر وتركه
مودعاً مع طلب من عجور بأن يوصل سلامه إلى العروسين ويبلغهم سلام
أهل الحنة كلهم.

خرج فاروق سعيداً حيث حصل على كل المعلومات التى يريدتها وأكثر ..
أما عجور فكان فى منتهى السعادة لأنه سيكون السبب فى أن يحصل هشام
وبثينة على مبلغ المكافأة المهدى له من الجامعة .. وقف مزهواً بنفسه .. لكنه
اضطرب بعد مغادرة فاروق الدكان وهو يعيد على ذاكرته الصفات المعروفة
عن فاروق والشخص الذى شاهده اليوم؛ صورة طبق الأصل من تلك

الأوصاف .. تراجع عن هواجسه مبرراً ما فعله لصالح العروسين الحبيبين ولو كان هذا الشخص فاروق لحصل على ما يريد من خالته .. لا لا الحاجات البسيطة دية متعدينش .. إيه .. دا أنا عجور اللي الشبراويشى بتاع العطور خايف منى لأفتح مصنع وأنافسه .. إيه .. دنيا.

توجه فاروق إلى منزله وهناك سرد على أمه كل المعلومات التي حدثه عنها عجور وأمعدها حصوله على تلك البيانات وأن خطتها نجحت فقالت:
- خليك ورا أمك .. حتكسب .. قلبى راضى عنك، شرحت له خطة التنفيذ فطلبت منه إحضار عقد بيع وتنازل من بثينة عبدالحميد عوف إلى كل من عيشة حسن صديق وفاروق عبد الحميد عوف وطلبت منه أن يجبرها أن توقع على العقد ويحمل معه ختامة حتى يضع بصمتها على العقد .. سألتها وأن امتنعت؟ نظرت إليه قائلة:

. اضربها لحد متخلص عليها وتاويها فى الصحرا .. هناك الصحرا واسعه على الأقل نتهم هشام ونكون خلصنا منهم وترجع وتتجوز وتعيش أنت ومراتك معايا يا حبيب قلب أمك.

أحضر فاروق العقد وقام بكتابته كما رغبت أمه بعدها استعد للسفر بين دعوات الأم طالبة منه أخذ حذره من الشيطان ابن الشيطان هشام زوج ابنتها بعد أن غادر المنزل أحضر فاروق عقداً جديداً وكتب نفس الصيغة السابقة مع استبعاد أمه وهكذا جعل العقد ثنائياً فالبايع بثينة والمشتري فاروق.

تبارت العائلة في الحصول على ميراث بثينة من جدتها الراحلة .. رغب نظيف في الحصول على تفويض لبيع الأرض حتى يتمكن من الاستيلاء على ثمنها بالكامل وزوجته أمال راغبة فى الحصول على ثمن الأرض بالكامل لإتمام زواج بناتها، عائشة تريد أن تحصل على نصيب الأسد من ميراث أمها

وتعطى الفتات إلى فاروق، أما عن فاروق فهو يريد الحصول على كل ثمن الأرض ليستعد للزواج من إحدى المطلقات والتي تعلق قلبه بها بعد أن هجرته الحبيبة الأولى والتي كانت تعمل بائعة بأحد محلات العتبة، اجتمعت الشياطين الأربعة على الفتك ببثينة مرة أخرى.

توجه روميل العصر الحديث لغزو العلمين وللسطو على حقوق الآخرين عنوة ولتدمير بثينة مرة ثانية وقد عقد العزم على أن ينهى تلك المهمة بقوله "يا قاتل يا مقتول" فليس أمامه شيء يخشى منه، فلا عمل ولا أسرة وشقيقته ليلان وسحر ساخطتان عليه من كثرة ما يدفعانه له ولأهمها خاصة أن هذا بدأ يؤثر على استقرار حياتهن الزوجية عندما علم الأزوج بتلك النفقات المتزايدة وأن شقيقتي فاروق رجل طويل وعريض يجلس في المنزل مثل العجائز دون عمل. وصل فاروق إلى محطة سكة حديد العلمين وهناك سأل عن قبيلة الشيخ خير الله الوزان فأرشده بعض البدو إلى مكان القبيلة التي هو شيخها؛ سأل عن كيفية الوصول إلى هناك .. البعض أشار إلى حمار "عجور" والبعض أشار إلى استخدام الماكينة" الموتوميكل" وهذا مرتفع الثمن .. استقل الماكينة وتوجه إلى مصنع الخزف حيث أشار إليه عجور .. هناك قابل أحد البدو مُعرفاً بنفسه بأنه تاجر من الإسماعيلية قادم للتعاقد مع المصنع فمن هو المسئول الذي يحدثه .. أشار أحدهم إلى مسز كارين ولكن الآخر أشار إلى المهندس هشام بعد أن علم من فاروق أنه لا يستطيع التحدث بالإنجليزية.

أخبرهما فاروق بأنه راغب في أن يقابل هشام بعيداً عن الآخرين؛ حيث يريد الحصول منه على المزيد من المعلومات لأنها المرة الأولى التي يتاجر فيها في الخزف ولذا فهو راغب في أن يقابله في منزله حتى يأخذ راحته في الحديث، أخبراه بأنه مشغول في المصنع ولا يوجد أحد في المنزل سوى زوجته

وظفله الرضيع .. علق قائلاً: سوف أنتظره قريباً من المنزل حتى يعود .. وهكذا وصفوا له المنزل.

توجه مباشرة إلى المنزل وطرق الباب بطريقة مخالفة لما يفعله هشام تخوفت بثينة رغم أن الكثيرات من البدويات يحضرن إليها طارقات الباب ولكنهن يتحدثن أثناء ذلك وتتعرف عليهن حتى تأمن على نفسها وطفلها .. اقتربت من الباب تسأل عن من الطارق فسمعت صوت بكاء رجل:

أنا فاروق .. دهشت متسائلة .. لماذا حضرت وماذا يبكيك؟ أجابها: لقد أصبحت وحيداً يا اختى الصغيرة، انزع قلبها .. كيف؟ أجابها ماتت أمى منذ ثلاثة أيام ومنذ ما يقرب من الشهر نقول يومياً "عايزه أشوف بثينة .. فين بثينة بنتى .. حرام أموت من غير ما أشوفها" ثم أكمل خديعته وأخبرها بأن خالته سندس أعطته العنوان لكي يحضر إليها ويواسيها حيث أصبحت أيتاماً، انهارت من البكاء وأظلمت الدنيا سواداً فى عينيها وفتحت الباب لتستأنس بشقيقها الذى حضر من القاهرة ليكون بجوارها.

شاهدت شقيقها يقف أمامها والتي لم تشاهده منذ أكثر من ثلاث سنوات منذ كارثة زواجها الأولى، لقد شاهدته، إنه هو والشر فى عينيه فامتلاً قلبها رعباً وولعاً وتراجعت للخلف قائلة:

. ابعد عنى .. بعد أن لاحظت أنه لا أثر لدموع فى عينه ولا أثر لحزن على أمها .. عادت بذكريتها للخلف .. تحدته .. إيه يا فاروق .. عايز إيه؟ أمسكها من معصم يدها بقوة.

. فين يا بت ورقة الورث بتاعة ستى فردوس .. صرخت .. - أرجوك ، سيبنى، دراعى حينكسر؛ ونظرا لفهمه البطيء لم تصل إليه توسلاتها، تستغيث قائلة: الورقة مش معايا .. صرخ بها.

- حاموتك وأدقك هنا، أمك قالت لى اعمل كده، سمع صراخ طفلها فتركها
وذهب إليه وحمله بعدم اكتراث وعناية متسائلاً:

ده ابن الحبيب اللى بعنى أهلك عشانه، فين يا بت العقد؟

- صرخت، أرجوك سيبه ده طفل ملاك متقربوش، هدها بأنه سيحطم رقبته
فى لحظة إن لم تخرج الورقة، انهارت باكية متوسلة إليه بأنها لا تملك الورقة
أسرع بإبراز العقد الذى فى جيبه طالباً منها التوقيع ولكنها رفضت والطفل
مازال يصرخ ألما حيث رفعه فاروق بيد واحدة وقد ألم هذا ظهره وتلوى فى يده
ومازالت بيثينة تستعطفه وتصرخ محاولة الإمساك بطفلها فقذف به على السرير
بقوة دون أى مبالاة أو رحمة، صرخت باكية محتضنة وليدها فأقبل عليها بكل
قوة ووضع يدها على الختامة التى معه، قاومه فوجه لها لكتين فى وجهها
فتعجرت الدماء من أنفها وفمها وراحت فى غيبوبة، قام بطبع بصمتها على
العقد وغادر المنزل بأقصى سرعة تاركا الباب مفتوحاً على مصراعيه ومازال
الطفل صارخاً وبثينة بجواره تنزف دماً وفى حالة إغماء.

من حسن الحظ حضرت إحدى الفتيات البدويات ممن تعودن الحضور
لمنزلها ومساعدتها فشاهدت الباب مفتوحاً على غير عادته وطرقته فلم تسمع
صوتها ولكنها سمعت صوت صراخ الطفل فاعتقدت أن أمه مشغولة بالحمام
أو بالمطبخ فتشجعت ودخلت وفوجئت بهذا المنظر الذى أثار ذعرها فأطلقت
الصرخات فأقبل عليها الجميع خاصة النسوة اللاتى لا يعملن .. وصل الخبر
إلى المصنع فأقبل هشام مسرعاً وفى حالة شديدة من الاضطراب ولحقت به
مسز كارين وصديقتها التى كانت فى ضيافتها والتى تعمل "ممرضة" فى إحدى
مستشفيات هولندا ومعها بعض أدوات الإسعاف التى تلتزمها فى حالات
الطوارئ تلك.

بعد مضى وقت قليل استطاعت الممرضة الهولندية إفاقة بثينة وتضميد جراحها ولكن الفتاة أصابها ذعر متسائلة عن ابنها راضى .. قدمته إليها إحدى السيدات فاحتضنته بعنف مما دفع الرضيع إلى البكاء وهى تنتظر إلى من حولها بخوف فشهدت هشام فصرخت به قائلة:

. فاروق .. فاروق وهى تشير إلى علامات حبر الختامة فى يدها .. تطوع أحد الحاضرين بشرح وتوضيح قصة تاجر الاسماعيليه وقص كل ما حدث كما وصف شكله فأيده هشام بأنه فاروق سليل إبليس اللعين .. طلب الشيخ من رجاله إعداد ثلاث سيارات جيب وإحضار السلاح للبحث عنه ولكن هشام أخبرهم أنه من الصعب العثور عليه وأفضل مكان يتواجد به هو منزله فى القاهرة.

أقسم خيرالله إنه سيحضر به حيا أو مقتولا .. أعطاهم هشام عنوان عمته فى العتبة ووصف مدقق إلى هيئة فاروق كما استطاعت بثينة أن تخبرهم بقصة عقد هبة الجدة وأنه قام بوضع بصممتها على العقد الذى كان بحوزته.

ترك القوم الزوجين يحصلان على قسط من الراحة كما توافقت الأطعمة على المنزل وأقبلت الفتيات الصغيرات اللاتى يعملن معها فى المصنع لحمل ورعاية الصغير حيث كانت الكدمات تملأ وجهها من أثر تعدى فاروق عليها كما قامت النساء بإعادة المنزل إلى حالته التى كان عليها وتطوعت إحداهن لمساعدة بثينة فى حصولها على حمام وإزالة آثار الدماء من على وجهها المنفوخ، عين الشيخ خيرالله حراسة على منزل هشام طوال أربع وعشرين ساعة حيث كان أهل المنطقة فى دهشة من أن يقوم شقيق بعمل هذا الجرم مع شقيقته المريضة والتى ظلت ثلاث سنوات تتلقى العلاج من آثار نكبتها الأولى.

طلب هشام من ممز كارين أسبوعاً إجازة حتى يكون برفقة زوجته ويساعدها على تخطى هذه المحنة الصعبة .. وافقت السيدة متمنية سرعة شفائها، الشيخ خير الله ورجاله ومن بينهم الشخص الذى شاهد وتحدث مع فاروق أسرعوا بالسيارات الثلاث يفتشون فى أنحاء المنطقة عن المدعو فاروق ولكنهم لم يعثروا على أثر له وهكذا توجهوا للقاهرة إلى منطقة العتبة على عنوان منزله.

وصل الشيخ خيرالله ومعاونوه إلى العتبة بمساعدة العنوان المذكور وتوجه احدهم للاستفسار عن الأسطى فاروق عوف وأفاده أحد عمال "الفوندى" (عامل أذية) والذى يعمل بمنطقة البرابرة حيث أخبره بأنه لم يظهر اليوم ولكنه سيعود حالاً واستفسر العامل عن معرفته له شخصياً ولكنه أخبره بأنه جاء على الاسم حيث إنهم قرروا إنشاء ورشة خراطة وأيد الرجل بأنه كان يعمل فى هذا النشاط منذ فترة وعرض عليه أن ينتظره على قهوة عزوز المواجهة لمحلته وعند حضوره سيرفهم به.

جلس الرجل بينما انتظر الباقيين فى سيارتهم حتى لا يثيروا الشبهات بعد أن هبط الظلام بساعتين أشار العامل إلى المراقب بأن هذا هو فاروق فلقق به الرجال فى مدخل العمارة واستوقفه احدهم قائلاً له أنا من طرف .. ولم يمهل الباقون إذ ضربه احدهم على مؤخرة رأسه بينما الآخران وضعوا كاماة فى فمه وعصبوا عينيه وحضرت السيارة مسرعة وقذفوا به إلى داخلها وفروا مسرعين قبل أن يكتشفهم أحد نظراً لازدحام المنطقة بالمارة.

أثناء الطريق أوسعوه ضرباً حتى اعترف بكل شىء ومن أوشى بالعنوان وحصلوا على العقد الذى بصم عليه شقيقته عنوة .. وصل الرجال بسيارتهم

إلى مكان قبيلتهم صباح اليوم التالي، اجتمع الرجال للبحث فى أمره حسب الأصول المتعارف عليها بينهم لمن يعتدى على أحد أبنائهم وفى منطقتهم حكم عليه بالنفى فى الصحراء دون ماء أو طعام حتى يهلك .. أثناء تلك المداولات التى قام بها رجال القبيلة عُلق فاروق على إحدى أشجار النخيل من ساقيه متدلى الرأس فظل يصرخ من الألم الذى ألم به سواء ضرباً أو ركلاً أو من تعليقه مقلوب الرأس.

حضر أفراد القبيلة صباح اليوم التالى وشاهدوه بوضعه هذا وعلمت بثينة بما حدث لمشيقها وقرارهم بأن ينفى بالصحراء حتى يهلك فطلبت أن تشاهده وحملوها على الكرمى بمساعدة بعض نساء القبيلة وعندما شاهدت شقيقها على هذا الوضع المزرى تعاطفت معه راجية من شيخ القبيلة ألا يصيبه أى أذى لكن الرجل أشار إلى أن هذا حكم القبيلة واستعطفتهم وشاركها هذا الرجاء هشام كما تدخلت مسز كارين طالبة منهم توقيع عقوبة غير مهلكة لأن وضعه فى الصحراء القاحلة هو حكم مؤجل بالإعدام .. اجتمعوا ثانية وقرروا أن يزوجه من أسوأ امرأة فى القبيلة .. وافق هشام وبثينة وكارين على هذا.

مستورة الحمقى

وقع الاختيار على عروس فاروق، إنها "مستورة الحمقى" وقد لصق بها هذا الاسم نظراً لبذاءة ألفاظها في التعامل مع الآخرين وغبائها في التصرف بالإضافة إلى سوء شكلها وفضاظة قولها مما أبعد عنها الرجال ولم يتجرأ أى شخص على الاقتران بها وقد تعدى عمرها الخامسة والثلاثين عاما ومن فى عمرها من نساء القبيلة لديهن من الأبناء والبنات من هم على وشك الزواج. أجبر شيخ القبيلة فاروق على توقيع إيصال أمانة إلى شقيقته بثينة بمبلغ عشرين ألف جنيه إذا حاول أن يعود ثانية والتعرض لها كما أهدر دمه لو ابتعد عن مستورة الحمقى أكثر من خمسين متراً وطلب منه أن يلتصق بها مثل جلبابها التى ترتديه كما أمرها بالألا تتركه يهرب وإلا سيلقى حكم الإعدام من أحد البدو الذين سينفذون تعليمات شيخهم.

كانت مستورة الحمقى ترعى الأغنام فى الصحراء ولا تأتى إلى القبيلة إلا فى المناسبات ولا تخشى على نفسها من الاعتداء فهى سيدة قوية البنية قبيحة الوجه واللسان حيث كان وجهها دميما من أثر أصابتها بمرض الجدري والذى أثر على بشرتها وجعلها منفرة ولها عين واحدة والأخرى فقئت أثر عراكها مع أحد البدو حيث عضته عضه قاتلة مما دفع الرجل بأن يضع إصبعه فى إحدى عينيها أثناء استغائته، كما أنها طويلة القامة مثل النخلة ولا يميز جسدها ما يميز النساء من انحناءات وصدر وخصر كل هذا غير متوافر لديها أما صوتها فيشبهه (صوت الرحى) التى تطحن الحبوب عند البدو أو صوت مدشة أو مفرمة اللحمه فهو صوت محشرج يخيفك ويبعدك عنها قبل أن تتأمل منظرها المخيف كما أنها لا تعرف للاستحمام طريقاً ولا تقترب من الماء إلا

للشرب ورائحتها أقرب إلى رائحة الماعز والخراف التي تتولى رعايتها، عندما شاهدت فاروق استاعتت من شكله ولكنها قالت أضيفه إلى حميرى الثلاثة لأكملهم ثورة وتعالى الأربعة حمير حيث إنها تسب أى إنسان تراه بسبب أو بدون سبب ولهذا أطلق عليها الحمقى نسبة إلى الإنسان الأحمق .. ومن يجرؤ على مهاجمة مثل هذا النوع من البشر وهى التى تعتبر أصلب عوداً من الرجال .. حتى أن الكثير من الرجال أشفقوا على فاروق منها وأنه لو اختار الإعدام لكان هذا أفضل وأيسر له، طلب الشيخ من مستورة أن تتعد عن القبيلة مسافة مائة كيلو قريبا من واحة الفرافرة، هكذا وقع الشيخ وثيقة زواجهما واصطحبته مستورة إلى المجهول الذى لا يعلم عنه شيئا.

بعد مسيرة أربعة أيام فى جوف الصحراء الغربية والعواصف الرملية التى تهب من جهة الغرب تلهب أجساد ووجوه المقيمين بها سار الاثنان .. مستورة برفقة زوجها فاروق الذى كان يبكى بكاء الأطفال طوال سيرهما بصحبة العديد من الماعز والأغنام والحمير الثلاثة وكلبها.

من حين لآخر كان يثيرها بكاؤه فتنهره بصوتها الجاف الأعوج قائلة له: كفى بكاء أيها المريض .. ألا تستحى من هؤلاء الذين لا يبكون ولا يتذمرون وهى تشير إلى من حولها من الحيوانات.

جلسا ليستريحا بعض الوقت من لهيب الصحراء وقد أضناه الجوع والعطش فهو غير معتاد هذه الحياة بخلاف مستورة التى نشأت بها منذ نعومة أظفارها .. قدمت له عبوة بها بعض ألبان الماعز وقد تأفف من منظر يدها وخشونته ومن منظر الإثاء وقذارته والذباب يحيط بمحيط الإثاء بل أن البعض سقط بداخله .. أراد أن يعبر لها عن رفضه لهذا وعندما لاحظ فى قسماات وجهها برودا وخوفا أصابه الهلع فأخذه منها محاولاً إخراج ما سقط بداخله من نيااب.

جلس يستجمع قواه بعد أن أتى على الإناء لشعوره بالعطش والحرارة تلهب جسده وحنجرته وشعر بأنه لن يأتى عليه نهار اليوم التالى .. صرخت به طالبة منه أن ينهض ليحلب لبن الماعز فأشار إليها بما يعنى بأنه لا يدري هذا ولم يقم به من قبل .. أخبرته بأنها ستدرسه على هذا ولكنه تجاهل كلامها ممتعضا منه ومن شكلها الذى أثار استياءه منذ أول وهلة؛ لكنها مستورة الحمقى التى لا تفكر بعقلها بل تتصرف كرد فعل ومعروف عنها ردها العنيف .. صاحت به ناهرة إياه طالبة منه أن يعمل مثل ما يأكل ويشرب مويخة إياه بأن تلك الحمير تؤدى عملها بإتقان دون أى تردد وإذا لم تفعل مثلهم فسوف أعلمك كيف تقوم بعملك أيها القرد الدنيء!

بُهِت الفتى بصياحها وحديثها وأثناء هذا الحديث قارن بينها وبين الفتاة التى كان راغبا بالزواج منها وكان الفارق شاسعا وهو الذى نشأ فى بيت كل نسائه جميلات حتى والدته العجوز وتساعل: كيف أقبل هذا القبح والدمامة؟ لم يعرها اهتماما وقاض بها الكيل فنهضت مسرعة وأحضرت العصا التى تهش بها على غنمها وأطاحت فى جسده ضربا مصحوبا بفحيح صوتها الذى كان يخيف البدو من على بعد .. صرخ يجرى هربا من أمامها ولكنها لم تتركه وطارده وهى أسرع منه حركة ورشاقة وخبرة بالسير فى الرمال.

سقط على وجهه ومازالت تهوى بعصاها على جسده فكان يصرخ طالبا النجدة وأي نجدة بتلك الصحراء القاتلة، استطاع أن ينهض وجرى ثانية ولكن الكلب الذى معها طارده وأدى هذا إلى سقوطه وصمته متوسلا لها أن ترحمه وسيلبى لها كل ما تطلبه منه.

تبعها ومازال يذرف الدموع فاتجهت إلى قطيعها تدريبه وتعلمه كيف يقوم بحلب الشاة أو الماعز، استمرت فى تدريبه على هذا العمل حتى استطاع بعد

جهد ومثابرة أن يقهمه وصرخت بوجهه بأنها كانت تعتبره الحمار الرابع بين قطيعها ولكن ثبت لها بأن حميرها أذكى منه وأكثر نفعاً؛ صاحت ناقمة على شيخ قبيلتها الذى أوقعها فى هذا الزوج الغبى الكسول.

شعر فاروق أن حياته انتهت وما عليه إلا الطاعة وإلا سوف يُهلك مع هذه السيدة التى لا تتمتع بالخلق والخلقة .. طوال هذه الأيام كان ينام بعيداً عنها خوفاً من منظرها وهياتها كما أن رائحتها إصابته بشبه زكام من قسوته، تلك الليلة طلبت منه أن يقبل جبتها، حاول التمتع ولكنها أخبرته إن لم يفعل فسوف تسلمه لرجال القبيلة للقصاص منه وقتله لعدم تنفيذ أوامر شيخها بأن يلتصق بها مثل جلبابها .. حادثها قائلاً: إن جلبابك لا يشم ولا يحس ولكن أنا لا أستطيع الاقتراب منك وطوال حياتى لم أشاهد مثلك، اقتربت منه وكان الليل مضياً ونظرت إليه فشاهد عينها التالفة التى فقتت قبل ذلك، صرخ طالبا النجدة ولكنها لم تتركه وشعرت بأنها أنثى ويجب أن تتال حقا من زوجها.

نجحت أخيراً والتصق بها والتصقت به .. خف صياحه وتلاشى توتره وشعر أن من تنام بجواره حورية الجنان وقد تحسس جسدها متخوفاً أن يكون ممتلئاً شوكا ولكنه شعر بأنه شىء مخالف بل أنعم ملمسا من القماش الحريري الرطب، تشجع واقترب أكثر فأكثر ونسى أو تناسى وجهها القبيح الدميم والليل ستار .. انتهى ما بينهما وشعر بأنها مثل الكنز الرائع المدفون أسفل الرمال فالناس لا ترى إلا الصحراء وحرارتها ولكن ما بالداخل وما هو مستور عن المشاهدة لهو أروع ما يكون، إقتريا من بعضهما البعض وشعر بالسكينة التى بددت خوفه السابق وهى بالأحرى شعرت بأنها أنثى مطلوبة ومقبولة بل شعرت بأن هذا الشاب الذى شبهته بالحمار منذ قليل ما هو إلا إنسان رقيق الإحساس وتفاعل معها بكل رقة، أعقد عليها بحبه وحنانه مما أبدل الكثير من صفاتها غير المحببة التى عرفت عنها.

اتجهت به وبما ترعاه إلى عين ماء جميلة وسط الصحراء الجافة المهلكة شاهد فاروق بعض الزراعات والخضرة وشرب من مياه مثلجة طيبة المذاق بينما تخلت مستورة عن ملابسها وقفزت تسبح في مياهه، نظر إليها ولم يصدق أن التي أمامه هي مستورة الحمقى بل شعر أن جميع رجال قبيلتها حمقى لأنهم لم يكتشفوا هذا الجسد اللامع الأبيض الرقيق وحركاتها أثناء السباحة، طلبت منه أن يلحق بها، قفز مباشرة ولم يكن يجيد السباحة من قبل وكاد أن يغرق لكنها أنقذته.

ظلا بجوار تلك العين لفترة طويلة تمتعا فيها بالمياه الصافية كما أنها ابتاعت من بعض البدو ما تحتاجه من أدوات للنظافة الشخصية ومأكولات نظير مقايضة بعض الغنم كما هو متبع، اهتمت بنفسها وتحمنت رائحتها إلى الأفضل وعدلت من مسار حياتها وحديثها إلى الأحسن فأصبحت أرق صوتا ونغمة وكلمة، بادلها المشاعر الرقيقة الندية ولم يعد يشاهد تلك العين المقفوءة بل شاهد كل محاسنها التي خلقها الله وأصبحت كل سيئة تحملها حسنة ومبعثا على الحب والتلاقي.

شعر أن الله راض عنه ولهذا فلن يعذب شقيقته الصغرى مرة ثانية وندم على كل ما فعله واستعطف الله كثيرا في صلاته التي واطب عليها بعون زوجته وقرر بينه وبين نفسه أن يدلل زوجته باسم آخر غير مستورة الحمقى ظل يفكر في اسم يلائمها ويتماشى مع حروف اسمها ولكن عقله لم يسعفه وأخيرا اهتدى إلى الاسم .. إنه "محبوبة" وكيف لا وقد شعر بحبها الذي إذا اغدقته على قبيلتها لأسعدتهم جميعا.

أخبرته بالخبر اليقين المفرح .. فاروق انا "حُبلى" .. فى بداية الأمر ظل صامتا لفترة ولكنه تنبه إلى أنه سوف يصبح أباً بعد أن أصبح زوجا ..

ستحضر له زوجته طفلاً أو طفلة، ما هذا الخبر السعيد، وقف صائحا يحمد الله وأمسك بزوجه "محبوبة" يحتضنها يقبلها فرحاً سعيداً وهى بالتالى زادت من سعادتها وبهجتها.



أعاد هشام العقد إلى زوجته والذي أراد فاروق الاستيلاء به على أرض الإسكندرية وقد غمرته الدهشة مما احتواه مستفسراً منها عن كل ما قرأه أخبرته بالقصة وأنها تعهدت أمام الجدة بالأخبار أحداً مهما كان بناء على رغبتها .. شكرها على التمسك بحفظ تعهداتها مع الجدة وترحمها عليها كثيراً لكن مازال الأثر النفسى لهجمة فاروق التنترية على بثينة مما أعادها إلى وضعها السابق من حالة الكساح التى لازمتها حتى أصبحت لا تستطيع أن تقوم بخدمة نفسها وإنهاء احتياجاتها الشخصية خاصة أنها الآن أم وزوجة وقد أحنها هذا كثيراً، نظر هشام إليها وهى طريحة الفراش لا تستطيع أن تتوجه للحمام معتمدة على نفسها وأشفق على هذه الإنسانية البائسة التى تأتيتها كل الأوجاع من أمها وشقيقها وكان الله قد خلق هذين الشخصين لتعذيبها أو خلقها لى يعذبها كل من الأم والشقيق.

قرر أن يستشير الطبيب الأب لهذه المعضلة المولمة على حياتهما والتى تهددهما سواء نفسياً أو معيشياً حيث أصبح مشغول البال والفكر لما حدث. أرسل هشام بخطاب إلى وديع حبشى الذى كان دائماً على اتصال به بالخطابات وأخبره فيه بما حدث لبثينة واضعا اللوم على عجور الذى تسبب بطول لسانه فى هذه الكارثة التى حاقت بهم، كما أخبره بأنه وبثينة غاضبان من فعلته الشنعاء، أخبر وديع المعلم حبشى بما فعله "عجور" بهشام وبثينة وغضب المعلم لهذه الفعلة النكراء وهاج وماج فى الحارة وتجمع كل أبناء

الحارة مستكرين فعلة عجور الحمقاء والتي كادت أن تودى بحياة عروستهم الجميلة مورد التهلكة وخير المعلم عجور بين أمرين لا ثالث لهما .
إما أن يغلّق المحل ويغادر الحارة بلا رجعة أو يدخن تعميرة من إختيار المعلم، استعطفه الرجل طالباً من أهل الحارة التّدخل مُعرباً عن حبه للعروسين وأنهما مثل أبنائه وأنه بغلّق الدكان يقطع سبل العيش عن أسرته ومازال فيهم صغار يعتمدون على قدرته وإبدعائه فى تزيين رعوس أبناء الحارة أما التعميرة فليس فى احتياج إليها حيث يستعين فى عملية التسلق بعطره الفواح الذى تنتجه أصابعه الذهبية!!!

ضاعت كل توسلات عجور هباء خاصة عندما أقسم المعلم بحياة المت بسبوسة وهو ما يعنى بالقسم الغليظ لما تمثله تلك الفتاة من قيمة لديه وعند أهل الحارة، هى الجميلة المصابة بلعنات العائلة، توجه عجور إلى السيدة سندس يستعطفها وهى التى تتمتع بقلب رحيم بأن تطلب من المعلم أن يعدل عن حكمه الظالم ضده ولكنها كانت غاضبة مثل الآخرين قائلة له:
بعملك السيئة كدت أن تقضى على أجمل زهرة فى حياة العائلة والحارة .. حرام يارجل .. اتقى الله واذهب ونفذ حكم المعلم، لم يجد صدى طيباً ولا قلباً شافعا يقلل من تأثير الكارثة التى أطبقت عليه ولكن سعيد "يا مسهرنى" مال عليه قائلاً:

. تعميرة تقوت ولا حد يموت .. أجابه:

بأن التعميرة ستقضى على مستقبله العطرى الفواح وكيف سيقابل أهل منزله وأنه بتلك التعميرة لن يستطيع أن يقوم بما تريده منه زوجته ياسمين وكيف يكون حاله أمام بناته ورده وريحانه وست الحسن وزهرة ونرجس وعبير .. إنها مشكلة كبيرة .. حضر الشيخ حسنى على نيا الخبر السئى بما فعله عجور

مزين الحمير كما كان يطلق عليه ذلك عقب كل حلاقة يقوم بها كي يتهرب من دفع أجر الحلاقة، اقترب منه قائلاً:

- وافق .. وأنا حناولك حجر معسل من غير تعميرة وأنا أقوم بالواجب معاك .. شفت الجدعنة وأنا عندى طلعه استكشافية الليلة على المقطم عشان أشوف هلال الشهر الجديد، ضحك "سعيد يا مسهرنى " لحديث حسنى، سأله سعيد عن أخباره مع البت لواحظ فأجابته قائلاً:

. ماهو أنت عارف إنها أطلقت من الواد ممش جوزها، سأله عجور :

. على كده أنت ناوى تجوز البت لواحظ؟ أكد كلامه وأن العملية فى بيتها وأن البت وفت عدتها من كام يوم والدفتر معايا وأنت وسعيد شهود وتعميرة من المعلم وكله بيقي قل، اقترب منه عجور .

. البت لواحظ مش حتأخذ منك مجهود زى أم خميس، ضحك حسنى؛ وصل إلى مسامعهم صوت المعلم صائحا محدثا عجور .

. جرى إيه يا مزين حارتنا .. اخترت إيه؟ أجاب:

- خلاص تعميرة .. هيا موته والا اتنين، طلب المعلم من زوجته مريم أن تحضر التعميرة إياها، أقبلت ومازالت تتقصع فى سيرها كعادتها .
. التعميرة أهه يا معلم، ناول عجور التعميرة مشدداً عليه ..

. عجور حتى آخر نفس .. فاهم .. ثم نظر إلى حسنى قائلاً:

. حسنى، بحق البيرة والتعميرة اللى بينا تخليك جنب الرجل أبو لسان فلتان لحد ما يخلص .. فاهم .. يشير حسنى بذلك مضيفاً بأنه سيمعد بأن يشم رائحة الدخان المتصاعد من قم عجور .

جلس كل من حسنى وعجور القرفصاء أمام قهوة "الصباح بدرى " وكان الوقت فى المساء وأعد صادومه جوزيتين واحدة معسل سادة والأخرى مغمسة

بالتعميرة العقاب، تبادل الصديقان الجوزتين وهما يدخنان وعجور يشاهد كيف
يسحب حسنى النفس ويقلده والسعال ملازما له، امتلأت عيناه بالدموع ولكن
الشيخ حسنى شعر بالتعب والإرهاق وأن رأسه ثقيلة وفرد ساقيه ووقعت الجوزة
جانبا ووجد صعوبة فى التنفس .. أسرع صادومه يخبر المعلم الذى طلب منه
إحضاره فوراً حيث استفسر متسائلاً:

. مالك يا شيخ حسنى؟ أجابه بصعوبة.

. أصلى شमित تعميرة عجور، باين عليها أنها شديدة حبتين، على فكره يا معلم
اسمها إيه التعميرة دية؟ ضحك المعلم بعد أن طلب من صادومه فتح زجاجة
كازوزة له حتى يفيق.

- دى اسمها "يا خاين مالکش أمان" وأكمل ضحكته وأستكملتها بطانته
بأصواتهن العالية التى يغلب عليها المجون والخلاعة.

أرسل عجور برعى صبى القهوة إلى منزل لواحظ للحضور عند دكان
المعلم بناء على طلب الشيخ حسنى ثم تسلل إلى منزل الشيخ حسنى طالبا من
أم خميس أن تحضر عند دكان المعلم بعد ربع ساعة لأن الشيخ موجود هناك
ويريدها فى أمر مهم .. وصلت لواحظ تتمايل بفتنتها التى تحسدها عليها نساء
الحارة وشاهدها الشيخ حسنى بعد أن أفاق من التعميرة وهتف صائحاً:

. ليلتنا أنس، اقتربت منه وسبقها عطرها الجميل فقالت له:

. عيب يا راجل حد يقول الكلام ده لواحد غريبه عليه .. خليه لمراتك واتبعته
بضحكة ماجنة حيث كانت أم خميس مختفية بجوار دكان عجور .. ولكن
حسنى أجابها:

- من الليلة مش حنبقى أغراب .. حاروح أجيب الدفتر ونكتب كتابنا وندخل
الليلة يا جميل .. آه على اندفعت ام خميس مثل ونش البلدية على

الشيخ حسنى حيث دفعته فى صدره عدة أمتار سقط أمام نسوة المعلم حبشى أرضا ثم جلست فوقه والرجل يصرخ ألما طالبا الغوث والنجدة فحذرهما المعلم الذى جرب هذا النقل قبل ذلك قائلا لها:

- بلاش تعملى معاه كده لأنه مش حيقدر يطلع المقطم بعد كده .. أشاحت بيدها فى وجهه قائلة:

- جته ستين نيله عليه وعلى طلوعه المقطم .. دا بيطلع روحى عبال لما يطلع .. حاطلقك يا حسنى يا ابن هنومة الطرشة .. وتدخل أولاد الحلال لإنقاذ الشيخ حسنى حيث قالت مريم لأم خميس:

- احرميه من المقطم شهر يا أم خميس، هتف الجميع بأن هذا الحل سيؤدب الشيخ حسنى كما تعهد المعلم بمنع التعميرة عنه.

هكذا تعاطف أبناء الحارة والحي مع بثينة وأراد المعلم أن يرسل صادومه ورزق لتهديب مسيو نظيف وفاروق عبدالغنى موظف الشهر العقارى سيئ السلوك بعد أن علم من مسارة بهذه المعلومات والتي سمعتها من سحر شقيقة بثينة أثناء زيارتها لخالتها سندس ولكن أمه طلبت منه بعدم توسيع دائرة مشاكله مع الحكومة مذكرة إياه بأن نظيف هو زوج شقيقة بثينة الكبرى، كما تأثر عجور المزين بهذا وابتعد عنه الناس كما فارقه زبائنه وأصبح الدكان خاويا.

عودة الروح

تحسنت الحالة الصحية لبثينة بعد مرور شهرين على تعدي شقيقها عليها فاخفت الكدمات وزال الورم ولكن المشكلة التي استمرت هي حالة الكساح التي عادت إليها ثانية من أثر ما حدث كما قلت نوبات الفزع والكابوس التي كانت تهاجمها من حين لآخر، كل هذا كان بفضل تحسن حالتها النفسية نظراً لوجود أناس يحبونها ويعطفون عليها وقد عوضها هذا عن الجفاء الأمرى الذى لم تعرف له سبباً حتى الآن.

اتصل هشام بالطبيب الأب وأخبره بما جرى وما نتج عن هذا الحادث وتأثر الطبيب لهذا السلوك الشائن من هذا الشقيق، طلب من هشام أن يحضر برفقة بثينة كي يعرضها على رئيس قسم الأمراض العصبية ليرى الحل الأمثل لعلاجها، وعده هشام بأن يتم ذلك فى أقرب فرصة وعرض عليه الطبيب جدول عمله بالمستشفى ليرى التاريخ المناسب لحضوره وإذا أمكن أن يتصل به تليفونياً قبل الحضور لإعلامه بالموعد المحدد لهذا التاريخ.

اتفق هشام مع بثينة على القيام بالزيارة لطبيبها ثم زيارة الأهل فى بولاق أبى العلا لأنه فى شوق لرؤية عمته وأعمامه وأصدقائه، أسعدها هذا الخبر حيث إنها لم تكن أقل منه حباً وشوقاً لرؤيتهم خاصة خالتيها وما يمثلها هذا المكان الساحر على قلبها وعقلها.

عرض هشام على مسز كارين رغبته فى الحصول على إجازة دون مرتب لفترة شهر لرغبته فى عرض زوجته على الأطباء لبحث حالتها الصحية وعدم مقدرتها على السير بعد مرور أكثر من شهرين على حادث التعدي عليها، وافقت على منحه تلك الإجازة رغم ما يمثلها هذا من إرباك فى خطة

تسويقها وارتباطاتها بالتعاقدات المتفق عليها مُسبقاً لكن أمام ظروف هشام العائلية لن تستطيع أن تعارض مثل تلك الرغبة متمنية له ولزوجته إجازة سعيدة وأن يعودا ثانية وهما فى أحسن حال برفقة طفلهما الرضيع راضى.

كان هشام يستمتع لحديث السيدة كارين ويعلم ويشعر بما يعتمل فى نفسها حيث إن مبيعاتهم ازدادت فى الشهور الأخيرة بما يجاوز الضعف بسبب تحسن الإنتاج سواء فى الجودة أو فى جمال التحف ورخص الأسعار بالإضافة إلى ما تقوم به كارين من نشاط ودعوة مجموعات سياحية من أوروبا للتمتع فى منتجها على شاطئ البحر البعيد كل البعد عن المدينة العصرية، حيث يعتمد على الخامات المحلية فالأثاث مصنوع من سعف النخيل بدلاً من الخشب سواء من أسرة أو كراسى أو تربييزات كما أن مفروشات الأرض من الأكلمة الصوفية من وبر الأغنام والجمال بالإضافة إلى نوعية الطعام المعتمد على البيئة الصحراوية كل هذا دفع لزيادة أعداد الوفود السياحية القادمة التى نشطت حركة البيع والشراء كما أن بعض الوفود من أبناء دول المحور أو الحلفاء سابقاً خلال الحرب العالمية الثانية قدموا ومازالوا يحضرون لزيارة مقابر ذويهم الذين قضوا نحبتهم فى أتون تلك الحرب المدمرة التى كانت العلمين مسرحاً مهماً لها .. كل هذا كان هشام يعيه ولكن ماذا فى مقدوره أن يفعل وقد أصبحت زوجته قعيدة الفراش، أصبحت هى وطفلها حملاً ثقيلاً عليه .. وقد اثر هذا على حالتها النفسية وقد بلغ عمرها الثلاثة وعشرين ربيعاً وهى التى ترنو إلى النشاط والحركة وتشعر بسعادة بما أسبغه الله عليها من جمال ورشاقة كل هذا أصبح حبيس المنزل لا تغادره إلا برفقة هشام حيث يحملها على ظهره مثل أى حمال يحمل جوالاً .. إذأ فالعرض على الطبيب ليست بالمعألة الهينة وليتأخر العمل قليلاً أو يستبدل بشخص آخر لكن المهم هى زوجته وطفله الرضيع.

أعد الشيخ خير الله سيارة "ستيشن" كبيرة الحجم وأفرغ منها الكراسى الخلفية ووضع بها مرتبة صغيرة ومخدة حتى تستريح بثينة وطفلها طوال الطريق الذى لا يقل عن خمس ساعات سفر كما وضعوا ستائر على النوافذ الخلفية حتى لا يشاهدها المتطفلون بأعينهم وأذانهم وزودت بمفرش سرير لتغطى نفسها .. كما زود السيارة بحارس خاص من أتباعه لتفادى مشاكل الطريق وحمايتهم من أمثال فاروق .. قام أبناء المنطقة بوداعهم متمنين لهم عود حميد فى القريب العاجل.

انطلقت السيارة تشق الطريق من العلمين فى اتجاه القاهرة حتى وصلوا عصرأ إلى مستشفى قصر العينى، هذا هو الموعد الذى سبق وأن حدده مع الطبيب الأب الذى استقبلهم بحفاوة وبصحبته لقيف من الأطباء من مختلف التخصصات وبالأخص من قسم الأعصاب، تهلل وجه الرجل عندما شاهد الرضيع معها وسعد أيما سعادة بهذه النعمة الإلهية، تفحصها الأطباء مستخدمين كل الأجهزة الحديثة التى وصلت إلى المستشفى، اتجه هشام إلى مرافقيه من أهل العلمين مقدما شكره وطلب منهما العودة إلى القبيلة حيث إنهم بالمستشفى فى أيد أمينة وأمامهم وقتا طويلا ثم بعد خروجهم سيتوجهون إلى بولاق مستخدمين تاكسي وما أكثره بالقاهرة .. شكره الرجلان وتمنيا الصحة والشفاء للميدة وعادا إلى موطن قبيلتهما.

حضرت العماتان سندس وزينب إلى المستشفى حيث أبرق لهما هشام بهذا الموعد منذ أسبوع بعد اتقاقه مع الطبيب الأب واحتضنتا بثينة بالقبلات والابتسامات التى حرمت منها خاصة من أمها الطبيعية حيث كان يلقبانها بابنتي العزيزة كما طال هشام بعض تلك القبلات، لكن الذى حصل على النصيب الأوفر الصغير راضى الذى خطف قلوبهم.

أظهرت كل نتائج الفحوص أن بئينة سليمة ولكن المشكلة أمامها هو ضعف تام فى أعصاب العضلات بالساقين وقرر أطباء الأعصاب عرضها على قسم الأمراض النفسية وبعد أن فحصوها أيدوا قرار زملائهم فى قسم الأمراض العصبية بأنها أصيبت بشلل مؤقت فى ساقها لحالة القهر النفسى التى طالتها من هجمة شقيقتها فاروق والذى يمثل لها كل الخوف والرعب منذ صغرها وأن الحالة لن تشفى وتحتاج إلى معجزة إلهية فالحالة ميئوس من شفائها لأنها نفسية فى المقام الأول وقرروا صرف كرسي متحرك تستكمل به حياتها، كانت صدمة قوية عليهم جميعا خاصة الطبيب الأب "إسلام عثمان" الذى صرخ قائلاً: كيف يحدث هذا؟ لقد وصلنا بحمد الله إلى الشفاء الكامل لكن أحد مساعديه ذكره بقول الحق "ولا تقنطوا من رحمة الله" .. استعاد الرجل وعيه وتنبه إلى أنه كاد أن يكفر بقدرة الله وأخبره مؤسسه بقوله: تذكر ما قلت فى الماضى، إننا فى احتياج الى معجزة وحدثت وأنا أعيدها ثانية وأقول إننا نحتاج إلى معجزة وأملى فى الله كبير أن تحدث.

غادرت بئينة المستشفى بين شفقة الأطباء والممرضات اللاتى عاصرنها منذ أعوام وهى جثة هامدة وحتى الآن وبين الدعاء لله بأن يُمن على تلك الشابة الرقيقة بالشفاء، وصلت سيارة الإسعاف الخاصة بالمستشفى إلى منزل الجدة فى بولاق أبى العلا وتنبه من بالحارة إلى ذلك وشاهدوا بئينة ورجال الإسعاف يحملونها ويضعونها على كرسيها المتحرك حيث أقبل كل من فى الحارة يريد أن يقدم يد المساعدة وتدافع كل من عجور والمعلم ووديع وحسنى الذى كان فى انتظار تعميرة لزيارة جاردين سبتى تلك الليلة بعد زواجه من لواحظ كما علم بالحدث سعيد "يا مسهرنى" وصادومه ورزق ولاحظ توفيق أكس هذا التجمع فأسرع إليهم ليقدم يد المساعدة لكن الملاحظ أن كرسي

العجل التي تجلس عليه بثينة رفع وصعدوا به السلم إلى أن أدخلوها باب الشقة وودعوها متمنين لها الشفاء؛ نظرت إليهم شاكرة وهي تردد:
. أشعر أنى مع أهلى أولاد حتى وسعيدة معاكم، لوحت بيدها وابتمامتها الفاتنة تراقفهم وهم يهبطون الدرج.

صفتت وتحررت من جزء كبير من ملابسها بعد أن تحركت الخطوتان التي لا تستطيع إلا سواهما وجلست على السرير وأخذت راضى فى حضنها تقبله وتربت عليه، أخرجت ثديها لتطعمه وهشام يراقب هذا المنظر البديع قائلاً لعمتيه كل سعادتى فى الدنيا عندما أشاهد تلك العلاقة الروحية بينهما بينما سندس وزينب تتحدثان إليهما بشوق وتنتظران إليهما بكل الحب والحنان.

أدرك هشام وبثينة الحقيقة التي لا فكاك منها وهي أنها مستظل قعيدة فراشها أو كرسيها، وأن العلاج الطبيعي لم يأت بتحسن ملحوظ، استسلم كل منهما لقدر الله وماذا يفعلان وما الذى فى مقدورهما بعد كل ما قاله الأطباء .. لقد قال الطب كلمته .. ولكن الله لم يقل كلمته بعد والتي هي كن فيكون سبحانه علام الغيوب القادر على كل شيء.

تهافت الأحباء والأصدقاء لزيارة بثينة وأحضر الأسطى عجور زجاجة عطر من إنتاج حديث وأطلق عليه اسم "ورد عليك" حيث إنه من عشاق الفنان محمود شكوكو وأفاض فى اعتذاره عما حدث وشكا لهشام نتائج ما تسبب عنه تصرفه هذا من توقف الزبائن عن التعامل معه، وعده هشام بأنه فى أوقات فراغه سوف يحضر إلى المحل ويجلس أمامه كي يعلم أهل الحنة بأنه لا دخل لك فيما حدث فشكره الرجل مودعاً.

كما حضر الشيخ حسنى ليرحب بهما وكان يحمل دفترأ معه وسألته المعلم . "إيه اللى فى ايديك ده يا شيخ حسنى؟ فأجابته بسعادة

. نفتر الطلاق يا معلم .. دهش الرجل وتساءل:

. طيب رايح تزور الست العيانه وواخذ الدفتر معاك ليه؟ فاقترب من أذنه محدثاً بصوت خافت.

. احتمال أن ابننا هشام يحتاجه، يمكن عايز يغير زى حالاتي .. سمع من فى المنزل صوت هبده قوية فنظرت سندس لتخبرهم أن المعلم ضرب الشيخ حسنى بالراس وسقط الرجل وأسرع عشاق توصيل المعلومات إلى أم خميس لإخبارها ولكنها تجاهلت ذلك وقالت خلى المنيرة بتاعة "جاره سيقى"! تيجى تفوقه وأضحك هذا الاسم الفكاهى على لواظ الموجودين، أسرع عجور لإفاقة الشيخ حسنى بعطره الميمون دون جدوى حيث قال المعلم:

. النتن جاى للعرايس بدفتر الطلاق .. الراجل واخذ الدفاتر من الحكومة عايز يطلق كل النسوان ويعدين يجوزهم تانى .. اخص عليك راجل عشق، طلب من أم وديع إحضار تعميرة من نوع هان الود عليك، بعد أن أحضرتها قريبها من أنف الشيخ حسنى الذى فتح عينه ولمعت وانفجرت أساريره قائلاً:

. روسيه كمان يا معلم عشان الوليه التانيه، ضحكت النسوة على كلام الرجل ساعد حبشى صديقه حسنى على الوقوف وعاتبه على مثل هذا الفعل وقدم حسنى اعتذاره.

تضاحك الحبيبان على لعبة القط والفأر بين حسنى وحبشى، فحوار وصراخ وضرب بالراس وسقوط على الأرض وإفاقة بتعميرة تنعش حسنى يأخذها متلهفاً ويسرع الخطى لأم خميس بينما هى مشغولة بالتهام حبل المحشى والكفتة التى هى شاغلها الأول، لم يكن الحزن والخصام يوم بينهما سوى دقائق كل منهما يبحث عن الآخر فلو تغيب حسنى عن مهرجان حبشى يرسل فى البحث عنه وإذا كان مشغولاً فى زواج أو طلاق يرجوه أن يسرع

ويحضر ليأخذ حصته ضرباً ثم تعميرة، يقال إن الشيخ حسنى كان أكثر ذكاء من حبشى حيث يقوم بمضايقته فيندفع حبشى بضربة رأس تطيحه أرضاً ثم يعتذر إليه بزجاجة كازوزة وتعميرة من أحدث الأصناف المستوردة، الحياة دواليك بينهما مثل تتابع الليل والنهار

تحدثت بثينة مع زوجها بسعادة ومرح رغم الخبر الذى تلقته من المستشفى من أنها ستظل كسيحة طريحة الفراش معتمدة على الكرسي المتحرك رغم أنها تستطيع السير لعدة خطوات قصيرة ولكن أين حيويتها وشبابها؟ نظر إليها بكل معانى الحب الإنسانى.

. نعمين يا حبيبتي .. أجابته:

. أنا شاعره أنى رجعت صغيره تانى، الحاره والناس والحته حتى حيطان البيت كلها ذكريات جميلة فى حياتى مش بانساها أبداً وبأكون سعيدة، هنا سعادتى ودينيتى الحقيقية وبالأخص صوت البياعين فى الحارة كأنهم عايشين معنا فى البيت، تصور .. بأكون مطمئة خالص .. ياه .. المثل اللى بيقول جنبه من غير ناس ما تنداس .. حقيقى والله .. سامع صوت شباشب الناس وهيه ماشيه فى الشارع .. ولا خالتي سندس وحلاوتها .. جميلة خالص .. يا خسارة مافيش واحد يستحقها ويتمتع بجمالها .. شايف وهيا ماشيه بهدوء وأيديها تتحرك يمين وشمال ووشها المبتسم على طول ، معرفش لما باشوقها بأشعر أنها تبتة فردوس بس على صغير .

ضحك هشام من الوصف الذى وصفت به عمته الذى يحبها كثيراً ولكن النساء لهن وصف آخر غير الرجال، ضمها إلى صدره بقوة فصرخت باستعطاف وتذلل الأنثى، حاسب على، مالك يا واد شديد على كده، انا ما اتحملش شقاوتك دية، هكذا تجاذب المحبان أطراف الأحاديث والذكريات.

كان واضحاً مدى تأثير هذا المكان عليهما والأكثر تأثيراً هم البشر هؤلاء الناس الطيبون العفويون الذين لا يضمرون حقداً ولا ضغينة رغم أصواتهم المرتفعة والتي إذا سمعها شخص غريب على تلك الأحياء يتوقع أن تقوم بينهم مشاجرات تستخدم فيها كل أنواع أسلحة العراك والضرب والقتل ولكن بعد انتهاء الأصوات المرتفعة المتشنجة تسمع الحوار السريع الغاضب ثم يليه خفض فى طبقة الصوت ثم قبلات واعتذارات ثم ضحكات؛ كل هذا يتم فى دقائق معدودة.

عصراً ارتدت بثينة أفخر ثياب الخروج وطلبت من خالتها مساعدتها فى إتمام مكياجها وتمشيط شعرها الطويل المسترسل الذى عاد إلى سابق عهده وهشام ينظر إليها متسائلاً:

. على فىن العزم إن شاء الله؟

. هشام .. عايزاك تقسحنى وأروح الكورنيش زى ما كنا بنعمل قبل كده!!

. بس حتروحي بالكرسى ..

- أيوه عارفه .. أمال حتشيلنى يا ياواد .. مستتيك وبلاش لخمه .. قبلتها خالتها وقامت برقيها قائلة:

. اللهم صلى ع النبى، حلوتك وخفة دمك ما فيش بعد كده، قبلتها قبلة الحب والعطف والحنان التى اشتهرت بها بين أفراد أسرتها خاصة عندما كانت ترسل بها إلى قلب وخذ بثينة، قامت خالتها بمعاونتها حتى باب المنزل وحمل هشام الكرسى ليضعه أمام باب العمارة ثم يكمل مساعدتها، شاهدتم المعلم حبشى أثناء جلوسه فى ديوانه الأميرى مصفقاً.

. الله .. الله عليكى ، والله منورانا يا مزمازىل بثينة، أسرعت زوجته تهمس فى أذنه، أعاد تعبيره بعد تصحيحه ، منورانا يا مودام.

دفع هشام بالكرسى فى الشارع والناس يلقون عليهما بتحياتهم ومودتهم وحبهم الكبير المعطاء الذى لا ينتهى ولا يتوقف بينما بعض السيدات ينظرن إليها بكثير من الثقة مرفق بها بعض من مصمصه الشفاه، توترت قليلاً ولكن هشام أخبرها أن هذا ناتج من الحب والتمنى لها بالشفاء وسوف تعاديين على هذا السلوك، انطلقا فى اتجاه الكورنيش وقد غربت الشمس مودعة هذا اليوم من عمر الزمن وحل محله الليل الرطب ونسائم النيل القادمة من الكورنيش لتذكر أبناء مصر بهذا الشريان الذى يمدهم بالحياة والسعادة فتشاهد أرفصة وحدائق الكورنيش قد زرعت بالبشر وأنه لا مكان لأحد حيث خرج فقراء القاهرة من أحيائها الشعبية لينهلوا من هذه النسائم الجميلة ومن منظره الساحر على قدر استطاعتهم بقروش قليلة يتسامرون ويتضحكون ويأكلون ويشربون كل شىء طبيعى وفى عرف الناس مباح؛ هنا كرم المودة وحُسن العشرة والتعارف السهل البسيط أصبح متوفراً لأن كل هؤلاء إفرار للمجتمع الذى يقول نحن من طبقة واحدة، فقراء القاهرة الكادحين وراء لقمة العيش التى نحصل عليها بشرف وكبرياء ممزوجة بعرق الجهد والكفاح.

اختار هشام جانب الكورنيش ووجه الكرسى جهة النهر كى تشاهد بثينة ما تزخر به مياهه من شباب يتمتع بركوب الفلايك كما كان يفعلان قبل ذلك من سنوات، كان الهواء الرطب القادم من جهة النهر يلاعب خصلات شعرها الناعم فيزيدها سعادة ومتعة، سألتها:

- تحبى أجييلك ترمس؟ وافقت على ذلك .. تركها متجهاً إلى عربة الترمس القريبة منهما وعلى معافة عدة أمتار أقبل رجل كبير السن قارب عمره الستين عاما يرتدى جلبابا قديما وينتعل شبشا يسير بخطى بطيئة ويعرج فى مشيته وشعره أغبر وأشعث ولم يحلق لحيته منذ فترة يحمل فى يده لفاقة؛ توقف أمامها يحدثها بكل أبوة.

. إزاي صحتك يا بنتي؟ رينا يجيب الشفاء، مش عايزه حاجه؟ شكرته بابتسامتها الساحرة المتفائلة، أخرج الرجل من جيبه ورقة مالية من فئة الخمسين قرشا وناولها لها، نظرت إليه وتفرست وجهه.

. مترعليس منى .. والله يا بنتى ما معاي غيرها، كنت ح اركب أتوبيس "١٨" بقرش وأشتري (عشا) لأولادى، أصل أنا ساكن فى إمبابه لكن بكره إن شاء الله ح اقبض أسبوعيتى، أصل أنا شغال عتال فى الوكالة، طولة النهار باكسر فى حديد وحيلى مهدود من الشغل، لكن بكره رينا حيفرجها وحا خد ستة جنيهه الأسبوعية بتاعتى، شوفى ح اجى على طول وحناولك جنيهه، خلاص يا بنتى مش بتكلمى ليه؟ انا عارف أن دى حاجه بسيطه، انا حامشى والا عايزه أساعدك فى حاجه؟

تحدث الرجل الفقير الواقف أمامها بهذا الكلام وهى لا تعرف كيف التصرف أو الإجابة، سكنت وصمتت، فى النهاية ودعها قائلاً:
. السلام عليكم، سار وظل يدعو لها (يارب اشفي كل مريض).

تابعت سيره ونظرت إلى العملة التى تركها معها حيث أقبل هشام وهى على تلك الحالة التى لم يسبق أن تعرضت لها من قبل، انحنى عليها وقدم لها قرطاس الترمس معتذراً بأن تأخر عليها .. اندفعت الدموع من عينيها باكية ولا تستطيع أن تحدثه أو توضح له سبب بكائها، شاهدتهما إحدى النساء الصغيرات القريبة منهما فحضرت مستسرة:

. إيه يا أستاذ مضايق الست ليه؟ أخبرها بأنه ذهب لشراء ترمس وعاد ووجدها دامعة العين، دفعته برفق قليلاً واقتربت منها.

. مالك يا حبيبتي؟ الحلويات بتعيط ليه؟ لازم جعانه، نادت بصوت مرتفع .. يامه .. يامه .. ابعطلى طبق محشى، أسرعت أمها بإرسال طبق محشى

ويجواره بعض المشهيات من باذنجان مخلل وقليل، قدمته لها قائلة:
- بالهنا والشفا ولو عايزه كمان شاورى لى، أصل أمى مافيش زيه انتين فى
مصر فى عمائل المحشى.

أمسكت بثينة بطبق المحشى بيد والعملة باليد الأخرى وبعد قليل أحضرت
تلك السيدة كويين من الشاى قائلة:

. اشربوا بالهنا والشفا، جفت دموعها وهى مازالت تحملق فى وجه هشام الذى لم
يدهش من تصرف أبناء الطبقة الشعبية الرائعة من المصريين ولكنه راغب فى
معرفة سبب بكاها فلا يعتقد أن يكون شخص ما قد تعرض لها بمسوء، فتلك
التصرفات ليست من أخلاق أو السلوكيات السائدة فى تلك الفترة الزمنية
تساءل:

. مالك يا حبيبتى؟ فيه إيه؟ أبرزت له العملة وناولته إياه .. اعترض

. انا معايا فلوس، عادت إليها دموعها فحاولت تجفيفها، تحدثه باكية"

- تصور يا هشام، راجل غلبان ادانى الخمسين قرش وكان بيعتذر أن مش
معاه إلا هيه وأنه حيرجع إمبابه ماشى من فوق الكوبرى وأنه طوال النهار
بيكسر ويشيل حديد فى الوكالة وكمان كان حيشترى عشا لأولاده .. والأهم انه
وعدى بكره ح يناولنى جنيه، تصور ده يحصل، يعنى أنا وصلت حالتى لكده؟
طيب هشام من أثر هذا عليها .. اكملت حديثها:

- يعنى الراجل ماشفش انا لا بسه كويس إزاي؟ هو باين عليا إنى فقيره ولا
شحاتة؟ ابتمم هشام وتهد بعد أن أخرج زفيراً قويا.

- الراجل الطيب شافك ولمحك إنك تستحقى العطف والحب، هو مشفش
شياكك ولا أناقتك لكنه لاحظ إنك قاعده على كرسى متحرك وإنك محتاجه
المساعدة، قدم كل اللى عنده، كل ثروته .. نظرت إليه بدهشة:

- بتقول كل ثروته!!

- ايوه ، كل ثروته؛ اللي كانت حتمكنه من ركوب الأتوبيس بدلا من أنه ح
يمشى كل المشوار بعد يوم عمل متعب، كمان ناولك الفلوس اللي كان حيجيب
بها أكل لأولاده، تضاحكا وهما يتناولان الطعام المهدي إليهما من الجامعين
بجوارهما، قال لها:

. على فكره يا بسبس، كل يوم نيحي هنا، حنلم فلوس كثير، ضحكت تناغشه.
. يا مجنون، حتشحت عليا؟! طلب منها الاحتفاظ بتلك العملة لأنها ح تجلب
لها الحظ كما يعتقد الناس وستجلب الخير أيضا، صدقته وفتحت حقيبتها
ووضعت العملة فى جراب بعيد عن متناول يدها حتى لا تتصرف فيها بعد
فترة فى غمرة نسيان الإنسان لبعض الأشياء.

أقبل بائع المتلجات ينادى على بضاعته والتى وضعها فى جردل يحيط
زجاجاته بقطع من الثلج ينادى بتغيمة جميلة: " كازوزه .. المتلج " طلب منه
هشام عدة زجاجات له ولزوجته وجيرانه الذين قدموا لهما الطعام والذين قدموا
شكرهم على هذا الصنيع، أمضيا فترة سعيدة ثم غادرا المكان عائدين إلى منزل
العمة حيث تركت الصغير فى رعاية سندس وعلقت بثينة قائلة:

- هشام .. أنا شاعره أنى مبسوطه خالص، معرفشى إيه السبب؟ يمكن شوية
العياط والدموع اللي نزلت على خدى بحرقه تكون هى السبب لكنى شاعره
بأنى استريححت قوى زى ما استريححت لما رجعنا لبيت تيتة، كمان حاسه بشعور
جميل وكلى سعادة وشاعره أن رينا مش حينسانا زى ما كان واقف معنا فى
كل المحن اللي قابلتنا.

أيد قولها ودفع بالكرسى حتى وصلا إلي المنزل فقابلتهما العمة سندس
متلهفة، استفسرت منها بثينة عن حال راضى فأخبرتها خالتها بأنها أطعمته
برضعة صناعى وطلبت منها عدم تركه فترة طويلة لأنه رضيع صغير ويحتاج

إلى الرضاعة على فترات متقاربة، اعتذرت لخالتها عن هذا السهو وقصت عليها ما حدث لها على الكورنيش وحب الناس وعطفهم وأسعدها هذا وهي ترى البسمة تضيء وجه بثينة الذي كان يشع نوراً.

مضى أسبوعان من الإجازة التي حصل عليها هشام وزوجته وابنه وهم يتمتعون بدفء العائلة وأبناء الحنة الطيبين، قام هشام وبثينة وراضي الصغير بزيارة لعائلته في مدينة طنطا وأسعدهم هذا ومشاهدة الحفيد، قدم والده هدية نقدية إلى المولود كما قدمت كل من والدته وشقيقتيه هدايا ذهبية.

في إحدى الأمسيات طلبت بثينة من هشام الخروج إلى الكورنيش والجلوس على كازينو الشجرة كسابق عهدهما، ارتدت أحلى ما لديها وتزينت بمساعدة الخالة ودفع هشام بالكرسي وتكرر ماسبق من أبناء الحنة معها سواء ترحيباً أو رثاءً على حال تلك العروس الجميلة التي لا تستطيع المسير، وصلا إلى كازينو الشجرة فشاهدهم الجرسون النوبى الذى تعرف عليهما مقدما تمنياته بأن يمن الله عليها بالشفاء وأسرع فى تلبية ما طلباه منه .. كل شىء حولهما كان بديع وجميل وبائع الترمس مازال كما هو يبيع بضاعته لزيائنه سعيداً برزقه الذى أرسله الله له والراديو كبير الحجم يذيع أجمل الألحان والتي تُسعد القرييين منه ومن بينهم هشام وبثينة وأثناء انشغالهما بأحاديثهما المرحة أقبل مصور فوتوغرافى يلبى طلبات الراغبين فى تسجيل تلك الذكريات بكاميراته فأشارت إليه بثينة فأقبل الرجل مليئاً بطلبهما والتقط لهما بعض المناظر فى أوضاع مختلفة يجيد توزيعها بحكم عمله، طلبا منه الكف عن النقاط المزيد حيث اكتفيا بثلاث صور، لكن الرجل زاد عن ذلك وبرر ذلك بأنه يأخذها خشية فشل المناظر السابقة وسوف يحاسبهما على ثلاثة فقط.

حاسبه هشام وأعطاه وصلاً بتلك الصور ولكن موعد التسليم سوف

يحل بعد سفرهما فطلب منه هشام إذا استطاع أن يرسل بتلك الصور إلى منزل عمته وزوده بالعنوان الذى كان سهلاً ميسراً لأنه يقيم فى شارع بولاق الجديد خلف المنطقة التى تقيم بها عمته سندس.

أثناء جلوسهما تكرر حضور المصور على فترات ومازال يقوم بالتقاط مناظر فجائية لهما بعدها يقدم اعتذاره، تكرر هذا حتى أصابهما الضيق من هذا التصرف فقرر العودة إلى المنزل وأثناء خروجهما من الكازينو شاهدهما الرئيس حسونة ورحب بهما كثيراً وطلب منهما أن يحصلوا على جولة نيلية معه لم يعارضاه وما يمثله لهما من ذكريات سعيدة سابقة فى حياتهما.

عادا إلى منزل الجدة يحملان بين جنباتهما كل سعادة وسرور، أعادت الخالة سندس حديثها السابق إلى بثينة بالألا تتأخر عن موعد رضاعة طفلها الذى بكى كثيراً أثناء غيابها فاحتضنته أمه محاولة تعويضه عن هذا الإهمال والقصور فى حقه.

اتصل هشام بالشيخ خيرالله طالباً منه إرسال السيارة التى أقلتهم حيث إن موعد عودتهم قد اقترب وحدد الموعد وأضاف إليه عنوان تواجدهم بالقاهرة ظلت بثينة الفترة الباقية فى رعاية الخالتين وتلقت بعض زيارات من شقيقتها سحر كما رفض هشام عرضاً من سحر بحضور أمها لزيارة بثينة حيث قال لها يكفيننا ما جلبته لنا من متاعب، أما صديقتها سارة فكانت تحضر يومياً لزيارتها وقد اقترب موعد عودتها إلى العلمين، استغل هشام تلك الفترة فى رعاية عجور والجلوس معه أمام المحل فبدأ بعض زبائنه فى العودة إليه وتشجع الرجل ودعا له بدوام الصحة والستر وأن يسبغ الله نعمته على زوجته ويشفيها مما ألم بها ويبرئ سقمها.

لم ينقطع الشيخ حسنى عن زيارة المعلم حبشى؛ فقد أصبح زوج الاثنين

"جبل المقطم وجاردن سیتی" ولذا فهو فى احتیاج العون والمدد من صديقه.
انتهت الإجازة وحضرت السيارة التى أقلتھما من القاهرة لتعود بهما ثانية
بنفس تجهيزھا السابق برفقة أحد معاونى الشيخ خيرالله حتى يكون فى عونھم
تبادل الثلاثة "هشام وبثينة وراضى" وداع الأحبة من الأهل والأصدقاء مع
أمنياتھم بعودة سالمة وبرجاء مداومة الاتصال بالخطابات.

عادت بهم السيارة من نفس الطريق واشتاقت نفوسھم إلى أبناء البدو
الطيبين المخلصين لھم حيث حصلوا على جرعة حب من أبناء بولاق أبى
العلا والآن يذهبان إلى قوم آخرين مختلفى الطباع مثل اختلاف المكان، بعد
الوصول إلى المنزل كانت زوجة الشيخ خير الله فى استقبالھم وأعدت لھم
الطعام وجھزت المنزل بكل ما يحتاجان إليه، اليوم التالى توجه هشام إلى
عمله واستقبلته كارين بسعادة وأبلغته بأن العمل فى ازدياد مما دفعھا إلى بناء
فرن ثان لحرق منتجات الخزف وبالتالى سيزيد العمل ولم يجد هشام غضاضة
فى ذلك.

سارت الحياة بهما وقد تأقلموا عليها خاصة بثينة التى استطاعت أن
تتأقلم على إنهاء جزء كبير من شئون المنزل وبمساعدة فتاة أحضرتها زوجة
الشيخ لتكون فى خدمتها والتى كانت سنداً قوياً لها خاصة فى رعاية ومراقبة
طفلھا الصغير الذى بدأ واضحا نموه الطبيعى.

مضى عامان على عودتھما من بولاق وطلبت بثينة من هشام أن یقام لها
ممشى لكرسیھا المتحرك من باب المنزل حتى بداية مياه البحر كى تستطیع
التوجه إلى البحر معتمدة على نفسها.

اعتادت بثينة على استخدام الكرسي المتحرك وأصبحت لا تفارقه إلا قليلاً
عند باب الحمام حيث تخطو خطوات قليلة بدونه وتعود بعد ذلك لاستخدامه

بل إنها اعتادت أن تأخذ حمامها وهي جالسة عليه بدلا من انتظار هشام لمساعدتها فى ذلك كما أن الممشى الذى طلبته من هشام قام رجال الشيخ خيرالله بإعداده وساعدها فى أن تصطحب صغيرها وتتزده به أمام مياه البحر وتلاعبه حيث كان يلهو بالمياه قريبا منها بل فى بعض الحالات كانت تغادر الكرسى وتجلس أرضا حيث يداعب الموج سيقانها وأقدامها وتحصل على متعتها بذلك وقد اكتفت بهذا القدر الضئيل وهى التى كانت تعشق السباحة واللهو فى المياه ولكن الآن أصبحت قدرتها وطاقتها وإمكاناتها ضعيفة وبسيطة.

تعاون أبناء القبيلة فى تمهيد طريق مماثل من منزلها حتى مصنع الملابس حيث كانت الفتيات يساعدن بثينة على تصميمات الملابس التى تباع إلى السائحين فى المنتجع الصغير والتى أسسته كارين، لم يمنعها هذا عن ممارسة حياتها ونشاطها بل دفعها هذا لأن اشترى لها هشام جهاز بوتاجاز لتسهيل عملها بعد أن اقترح على كارين تزويد المنتجع به حيث يسهل على السائحين إعداد طعامهم بعيداً عن استخدام موقد الكيروسين الذى كانت تتبعث منه أدخنة لا يتقبلها الضيوف وبهذا أضيف شئ جديد لتسهيل عملها واتبعه بغسالة للملابس بعد أن وصلت الكهرباء إلى مكان إقامة القبيلة ثم جهاز تليفزيون.

تعدى الطفل راضى الثلاثة أعوام من عمره وساعد الهدوء والطقس الرائع النقى من أى تلوث على نموه وزيادة متعته ونشاطه وكان السبب فى هذا قربه من أمه باستمرار وتوجيهها له من حين لآخر أما هشام فقد أثبت نبوغا فى عمله يوما بعد يوم ولهذا أرادت كارين أن تحتفظ به دوماً وخوفاً من أن يتخلى عنها ويبحث عن مكان عمل آخر اقترحت عليه أن يشاركها فى مركز الفنون

فأخبرها الشاب أنه لا يمتلك أموالاً لذلك فأخبرته بأن يشاركها بخبرته والتي تأكدت منها وتوصلاً إلى نسبة مشاركة تعادل ٢٠% من جملة المركز وعرض هشام على بثينة هذا الاقتراح فأسعدا كثيراً حيث سيصبح صاحب عمل وليس موظفاً وهذا يغير كثيراً من نظرتهم للمستقبل كما سيدفع به إلى الإجابة وهذا سيصب في زيادة دخلهما.

أصبح هشام شريكاً في هذا المركز بهذه النسبة الكبيرة وانعكس هذا عليه بعد عدة أشهر في اقتسام الأرباح؛ حيث كان نصيبه فيها كبيراً بالمقارنة براتبه وبثينة أيضاً كانت ممسولة عن مصنع الملابس وأصبحت شريكة لزوجته الشيخ خيرالله بالنصف، كان الزوجان سعيدان وأصبحا أصحاب عمل يدر عليهما خيراً وقيراً وربحاً كما أن سعادتهما أصبحت كاملة ولا يعكرها أى شيء إلا في بعض الأحيان عندما تنتظر بثينة إلى جسدها الهامد فوق الكرسي المتحرك وقد تعدى عمرها الخامسة والعشرين لكن الله في أمره شئوناً، أصبح الزوجان راضيين لهذا الحكم وهذا القدر.

عرضت كارين على كل من زوجة الشيخ وبثينة فكرة تكوين فرقة للفنون الشعبية تعرض بعض فنون المنطقة على السائحين الذين أصبحوا رواداً يقومون بزيارة المنطقة طوال العام على أن تقدم هذه الفرقة ألواناً من الغناء والرقص التعبيري المحترم على غرار فرقة رضا التي ذاع صيتها في تلك الفترة ولاققت استحساناً من الدولة وأصبح زعيم مصر فخوراً بها ويحضر الكثير من احتفالاتها .. تشجعت بثينة لتلك الفكرة خاصة عندما أخبرتها زوجة الشيخ أنه لا مانع من تقديم تلك الرقصات في إطار راق محترم بعيداً عن رذائل الرقص المعروف في ذلك الوقت، بهذا العمل أضيف نشاط آخر إلى بثينة بأن تقوم بتدريب الفتيات الصغيرات على أداء بعض الأغاني أما الرقصات فقد تولتها

سيدة من البدو تجيد هذا الفن وكانت تقوم به فى أفرانهم الخاصة وسط
النساء.

من أجل هذا تم إنشاء الفرقة وإعداد بعض التصميمات كما أعد مصنع
الملابس الزى الخاص لهذا النوع من الفن، كان معروفاً أن يوم الإثنين من كل
أسبوع هو يوم تدريب الفتيات على الغناء والرقص كل هذا عاد بدخل على
الفتيات وبثينة وزوجة الشيخ وقابل هذا استحسانا من السائحين الذين لم يجدوا
فى الماضى أى شىء للترويج عن أنفسهم فى فترة المساء.

ربط راضى الصغير بين الزوجين الحبيين برباط أكثر قوة من الماضى
حيث أصبح هناك هدف مشترك بينهما؛ أنه الصغير راضى الذى حصل من
والديه على كل حبهما وعطفهما ويات واضحاً الهدوء النفسى والفتور الجنى
الغريزى الذى كان يملك بثينة فى مراحل الحب المختلفة مع هشام، حيث
شارك راضى ولو بنسبة فى هذا الحب كما أغدقت عليه بثينة بكل حبهما
وعطفها وأصبح هشام فى بعض الأحيان فى دهشة من هذا الانقلاب المفاجئ
من جهة بثينة حيث سألها ما سبب هذا الفتور فى علاقتنا؟ ابتمت له ابتسامة
ذات مغزى موضحة أن هناك مخلوقاً جديداً، ملاك شرفنا ويريد الحصول على
حقه من حبنى وقبلايتى؛ ينظر إليها هشام ببلاهة غير مصدق أو مدرك ما
تقول متسائلاً: وما المانع أن تعطيه قبلايتك وتعطينى أنا أيضاً ما أريد فتنمى
عليه وهو مازال غير مصدق هذا التحول ومذكراً إياها أنها كثيراً ما طارده
محاولة إغراءه بكل الطرق والآن تتبعدين عنى، تجيب .. ما أردته حصلت
عليه، كنت أريد الطفل الحبيب الذى يشبع كل شىء فى وحصلت عليه أما
رغباتك فى آخر اهتماماتى بعد أن أشعر بأنى أعطيت راضى كل ما يريد
حاول إقناعها بتعديل سلوكها مستكراً تصرفها حياله موضحاً أن رغبات الطفل

تختلف عن رغباته، تؤيد كلامه ولكن الأسبقيات هي التي تتعارض حيث إن متطلباته تسبق رغباتك .. وقف ساكناً يتساءل: أصحيح ما تقولين أو إنك تمزحين معي؟ تجيبه .. ثق إنى لا أمزح بل هي الحقيقة وهي خارج إرادتى .. يقول .. إذا سوف أفضى باقى عمرى أعزب!!.. تضع يدها الرقيقة على فمه وتقول له ليس إلى هذا الحد ولكنك تستطيع الحصول على كل شيء ولكن بعد أن أشعر أن صغيرى حصل على كل احتياجاته؛ تضايق من الإجابة وسكن صاغراً فمن تتحدث عنه هو طفله أيضاً.

الصورة

شعر هشام أن نجمه العاطفى قد أقل وغاب وأن معبودته بثينة قد ابتعدت عنه بقلبها وجسدها ولم تعد تعطيه ما كان يحصل عليه قبل ذلك وأصابته الدهشة لهذا الشعور المتقلب الفجائى وتساءل: هل السبب فى هذا طفلاً نتحى جانباً هامساً ومتسائلاً: ما علاقة طفلى بتلك العلاقة العاطفية الساخنة بينى وبين بثينة؟ لا بد أن شيئاً جديداً طرأ على حياتنا غير سبب ميلاد الطفل، سرح بخياله وعاد يفكر بصوت عال: إن الطفل هو ابني مثل ما هو ابنها ولكن رغم هذا فمازلت أحبها وأتمناها بل وأنظر إليها ليلاً وهى تحتضن الصغير واندھش كيف أنها لا تسمع نداء الجسد الذى لا بد أن يروى من حين لآخر وهى التى كانت متعطشة له دائماً خاصة إننا لم نبلغ السادسة والعشرين وإن الكثيرين فى مثل عمرنا لم يتزوج بع ، سكن قليلاً وقال: قد يكون عاملاً نفعياً لشعورها بالعجز لملازمتها الكرسي طوال هذين العامين، إنه شىء منفر أن يظل الإنسان قابعاً على كرسي يحركه بيده وهى الأنثى التى لا يكتمل جمالها إلا باكتمال استقامة الجسد حيث يظهر جمال كل جزء على حدة وفى النهاية تنتظر إليها كجزء كامل فيبهرك ما أعطاه الله إلى النساء الجميلات من تلك المفاتن جسداً وصوتاً وملمساً، إذا فقد حُرمت بثينة نعمة الجمال الكامل وحُرمت أنا أيضاً ما يحق للزوج من زوجته، ماذا أفعل؟ لا أعتقد أن كل الزوجات بهذه الطريقة وإلا أصبحت كارثة حلت بجميع الأزواج حيث أنه بعد ميلاد كل طفل تفعل الزوجة هذا بزوجها مثل ما تفعله بثينة بى ولهذا سيعم الزواج المتكرر والطلاق المستمر؛ من يقوى من الرجال أن يبقى ساكناً لفترة طويلة محروماً مما حلله الله له، إن هذه الرغبة لا يمكن الحصول عليها من

دكان أو محل بل هي خلقت معي من عند الله وإذا لم يكن الله يريد لها منعها
عنا، إذا هناك خلل ما ولا بد من علاجه.

مضى أسبوعان على نقاشهما معاً وما زالت بثينة كما هي زاهدة في زوجها
موجهة كل حبه لطفلها الذي كانت تلازمه كخياله، لم يحصل هشام على
شيء ما سوى الطعام ونظافة ملابسه ولكن ما يهيمه من زوجته كرجل استمر
شهوراً محروماً منه وهو الشاب الذي كان يشعر بالحنين إليها دائماً فيتألم في
نومه تراوده الكوابيس لشعوره بشيء مهم يرغب في إشباعه ولا يستطيع أن
يستعيز عنه سوى بعلاقته بزوجته، أدرك الشاب أن بعض الرجال الذين
يكررون الزواج أو يقيمون علاقة ما مع بعض النساء أو الفتيات مُحَقَّقون فيما
يفعلون حيث فكر وطبق هذا على نفسه وهو الذي أحبها وأحبته وبعد الزواج
والإنتجاب يحدث هذا التغيير السلبي من جهتها.

في إحدى الأمسيات وبعد أن أضناه السُهد والفكر والتعب والشوق إليها
حادثها بعد خلود الطفل إلى نومه المتقطع كدأب الأطفال، بثينة أريد أن
أحادثك، ابتسمت له في عذوبة رائعة قائلة: إنني مُصغية إليك يا حبيبي الفاتن
الرائع، لم تؤثر تلك الكلمات به حيث شعر أنها تجيد القول ولا تجيد الفعل
بثينة .. فكرت في أن تعودى إلى شقة عمتي برفقة راضى وتظان هناك
وسوف أزوركما في المناسبات والأعياد، ساد الصمت المكان وأطرقت تنظري
إلى الأرض بحزن ثم غلبها البكاء وأجابته عليه بعيون حمراء اللون تملؤها
الدموع، أتفعل هذا معي نظراً لبعدي عنك؟ كأنك تعاقبني على حبي ورعايتي
لابنك وهذه هي النتيجة أن ترسلني إلى منزل الجدة، لا أمانع ولا أرغب بأن
تقوم على زيارتي حتى في المناسبات وليكن ما يكون.

شعر هشام أن هناك سحابة قاتمة قادمة في الأفق وهو مازال مستوتراً بأن

غيرت حبيبته اتجاه قلبها نحو شخص آخر، فليكن ولتخبره وهو رجل لا يقبل أن يأخذ جسداً دون قلب، بل إنه على أتم الاستعداد أن يفصل عنها ملياً رغبتها في أن تعيش مع آخر، إن كبرياءه يحتم عليه فعل ذلك ولكنه يريد لها واضحة حتى لا يظلمها ولن يقبل أن يعيش في هذا البنسيون العائلي وليس له سوى سرير صغير يقضى به ليلته يتقلب على الأجناب مُسهد الفكر ظمآن الجنس، لا .. لن يحدث .. أجاها:

لكِ ما شأني وأنتى مستعد لأن ألبى لكِ كل متطلباتك أنتِ وابننا وسوف أرسل لكِ بكل ما تحتاجين له لتعيشا مُيسرى الحياة ولكِ أن تتمتعى بأهل الحارة فأنتِ تحبينهم .. سكن الاثنان وهدءا .. ابتعدا عن النقاش وغادر هشام المنزل ليلاً حيث كان الطقس شديد البرودة واتجه إلى مركز الفنون ليكمل أعماله المتزايدة.

ظلت بثينة ساكنة والدموع مازالت تتساقط على وجنتيها تتحدث مع نفسها " ماذا أفعل مع هذا الطائش؟ إنه مازال صغيراً يريد منى أن أدله وألاعبه مثل الأطفال! لقد حصل على حقه منى ثم جاء طفلي فأعطيه حقه هو الآخر، ألا يستطيع تحمل بُعدي عنه جسدياً عدة سنوات حتى يكبر راضى؟ إنك إنسان أنانى ولا تقدر تضحيتي، أنا أهتم بابنك وتحتج على هذا، أتريد منى ترك الصغير وأن ألهو معك؛ تهديت قائلة: الرجال أطفال كما تقول بعض نساء القبيلة يغضبون من كل شيء بل ويغارون من أبنائهم لإهتمام أمهاتهم بهم.

عاد هشام من المركز بعد منتصف الليل واتجه إلى سريره وفي الصباح استيقظ وغادر منزله متجهاً إلى المركز دون أن يوقظها كعادته حيث إنها تستيقظ أثناء الليل عدة مرات لتلبية احتياجات الطفل، مضى النهار ولم يعد واستمر هذا حتى منتصف الليل.

شعرت ممز كارين أن الشاب مهتم بعمله خاصة بعد أن أصبح شريكاً لها مضت أيام عدة على هذا الوضع وبثينة حائرة ماذا تفعل وقد أصبحت لا تلتقى بزوجها منذ أيام وخشيت إذ أخبرت زوجة الشيخ أن يُشاع الأمر ويعلم به العامة وأن هناك شيئاً ما بينهما؛ قررت انتظاره حتى عودته بالمساء وظلت جالسة على الكرسي يغالبها النوم من حين لآخر، تعدى الوقت منتصف الليل وجزعت وعقدت العزم إن لم يحضر حتى الصباح فسوف تستفسر من زوجة الشيخ.

لم يعد هشام حتى الصباح فتوجهت كعادتها إلى مصنع الملابس وانتحت جانباً بزوجة الشيخ تخبرها بأن هشام لم يعد لمنزله بالأمس، تركتها لتستوضح الأمر من زوجها وعادت إليها بعد دقائق لتخبرها بأن هشام فى إجازة لمدة أسبوع وسافر أمس إلى القاهرة؛ نزل عليها الخبر كالصاعقة ولم تدرِ ماذا تفعل وماذا أدى بهشام للذهاب المفاجئ إلى القاهرة؟ هل حدث شيء خطير فى العائلة أو أن هذا بسبب الضيق الذى ألم به وما حدث من مناقشات بينهما خلال الأسبوع الماضى؟ ماذا سيقول هشام للأهل فى القاهرة؟ أدى هذا إلى إصابتها إصابة شديدة فى كبرياتها وعواطفها، عادت أدرجها إلى المنزل حزينة لا تستطيع التفكير أو التصرف، ماذا تفعل وهى الكسيحة وفى عنقها طفل صغير، لقد تكالبت عليها الهموم دفعة واحدة.

جلست ليلاً حيث لا ونيس ولا أليف وأصوات الموج تسمعها من على بُعد كما أن وحشة المكان تخيفها وهى تفكر: ماذا نفعل أنا وابنى ونحن لا حول لنا ولا قوة؟ ما هو التصرف لو حدث لنا أى مكروه أو حريق فى المنزل؟ كيف سأنجو بابنى وأنا لا أستطيع السير أو الجرى وهذا المسكين الذى يسقط أثناء سيره، أه يا هشام؛ أخيراً وقتت مع الزمن ضدى، تساقطت الدموع غزيرة حارقة على خدودها الناعمة.

مضى أسبوع وعاد هشام سعيداً مرحباً وألقى عليها السلام بفتور دون اهتمام ولم يراعٍ أو يلاعب طفله وأهملها تماماً وهى مازالت لا تعرف كيف التصرف معه، تنازلت عن كبريائها وسألته عن الخالة سندس وأجابها بعدم اكتراث أنه لم يشاهدها، تعيد السؤال مصطنعة الإهتمام لعدم زيادة التوتر بينهما، أين كنت يا حبيبي؟ يجيب: هذا ليس من شأنك، غادر المنزل ولم يعد إلا منتصف الليل، استمر الحال على هذا المنوال فترة ليست بالقصيرة حتى الطعام لم يعد يتأوله بالمنزل، كان يحضر فقط ليستريح، ازداد التوتر وهى تعلم السبب الرئيسى ولكنها ليست مقتنعة بأنه له حق فى كل هذا.

وصل خطاب إلى هشام من العمه سندس على عنوان مركز الفنون الذى يعمل به، كان الخطاب يحتوى على العديد من الصور الذى التقطها المصور على الكورنيش فى العام السابق ومع تلك الصور بعض كلمات الحب من العمتين سندس وزينب إلى كل من هشام وبثينة كما حمل الخطاب معلومة أخرى، فقد شاهدت العمتان بعض صور تخص بثينة منشورة فى إحدى الجرائد وأحضرها الأسطى عجور كما علمتا من كل من سارة ووديع بأنه كانت هناك مسابقة لأجمل فتيات مصر وقد رشحت بثينة لهذه المسابقة.

هلل أهل الحارة خاصة المعلم ويطانته وحضر الشيخ حسنى وعلم بذلك وطلب من المعلم تعميرة لتلك المناسبة التى لم تحدث فى الحى قبل ذلك كما طلب الشيخ حسنى عنوان الجريدة ليطلعهم على بيانات تؤكد لهم أنه مأذون تلك السيدة الجميلة والتى عقد قرانها على حبيبها هشام على يديه، كما أشار الأسطى عجور بأنه المتسبب فى هذا الحب بينهما لما كان يهديه إلى تلك الجميلة من عطوره التى لا تقاوم وأتت مفعولها حيث وقع هشام فى حبها من

أثر تلك العطور ، هكذا تفاعل أبناء الحارة مع تلك المناسبة رغم عدم وجود كل من هشام وبثينة.

أسعد هذا الخطاب هشام خاصة ما احتواه من صور أعادت إليه ذكريات العام الماضى مع زوجته وشاهد فى الصور المرملة نظراتها الساحرة إليه ودفعه هذا إلى مراجعة النفس وما فعلته معه وما قام به من ردود أفعال تجاه تصرفاتها، استجمع شتات فكره المبعثر نافضا كل ما ابتلعه من ضيق خلال الشهرين الماضيين مراجعا نفسه متسائلاً:

ما العيب فى أن تقوم أم بحب ورعاية طفلها وهى التى حُرمت من هذا العطف والحنان؟ لقد أرادت أن تعوض حُب عائلتها التى افتقدته لقلدة كبتها، أنا الرجل وصاحب القوامة وكيف يكون رد فعلى معانداً لها وهى الحبيبة التى كادت أن تفقد حياتها بسبب حُبها وهيامها بى ثم هاهى المسكينة قعيدة كرسيتها المتحرك لا تستطيع أن تحيا مثل الآخرين رغم ما تظهره من ضحكات وابتهامات، عاد بذاكرته إلى ذلك اليوم حين كانت جالسة فى المطبخ وشاهدت سحلية اعتقدت أنه ثعبان وهى لا حول لها ولا قوة لا تستطيع الدفاع عن نفسها وجاءه خاطر أفزع، ماذا لو قدر الله وشبت النيران قريباً منها؟ هل تستطيع النجاة بنفسها؟ استعاذ بالله من هذا وقرر بينه وبين نفسه أن يعاود حُبّه وحنينه وعطفه عليها.

هذا ما أكده الطبيب الأب حيث قال له بالحرف الواحد فى آخر لقاء بينهما قبل سفره (أوصيك بابنتى ولا تقف مع الزمن ضدها وأحسن عشرتها وقد حالتها واعلم أنها بدون الحب سوف تنهار) ارتجف هشام عندما تذكر قول الطبيب العظيم الذى وضع مهنة الطب المقدسة فى موضعها الصحيح مبتعداً عن ماديات بعض الأطباء، فى تلك اللحظة انقطع التيار الكهربائى وعم الظلام فعاود عمله مستغلاً مصباح الكيروسين.

عاد هشام إلى منزله أحسن حالا مستعداً لأن يبدد هذا الفتور المتبادل وترك الهواجس التي لازمته فترة جانباً من أن حُبها قد همد وطرده شكوكه بأنها قد تكون متعلقة بشخص آخر، استعاذ بالله من الشيطان الذي يجرى من الإنسان مجرى الدم فى العروق، اتجه بحاسته وسمعه تجاه منزله واشتم من مسافة عدة أمتار رائحتها التي يميزها، انتعشت نفسه وتدفقت الدماء إلى قلبه الصافى المحب، دق الباب دقتين موسيقيتين كالعازف على أرغونه فى سيمفونية الحياة الوردية فسمع صوتها "هشام" شعر بكل حواسه تتحرك وأنه سمع أحلى نغمة جميلة لاسمه، قال فى نفسه هذا هو الحب.

دخل عليها ومازالت جالسة على "قدرها" الكرسي الذي يرافقها مثل طفلها كأن الحياة أرادت لها أن يرافقها اثنان لا حول ولا قوة لهما الطفل الذي لا يعرف من الحياة شيئاً والكرسي الجماد الذي لا يستطيع أن يطلق ناقوس الخطر، شعر أنه تحالف مع الزمن ضدها وليس معها ومن يكون غيره السند القوي لها بعد كل تلك الأناة من العذاب المكتوم الذي تحملته، ألقى عليها تحيته حيث كانت جالسة فى ظلام دامس محتضنة وليدها.

سألها: لماذا تجلسين هكذا فى الظلام؟ أجابته بكلمات فاض عليها النغم الحزين والدفين، لقد قطعت الكهرباء منذ ساعتين، أجابها أعلم هذا، وهذا ما دفعنى للحضور مبكراً لأننى لم أستطع أن أقوم بالعمل فى الظلام أو على أضواء مصباح الكيروسين؛ لكن لماذا لم تشعلى لمبة كيروسين؟ أجابت على سؤاله مثل إنسان عاجز أعوزته الدنيا وحكمت عليه بقيد حركته، لم أستطع حيث إن عبوة الجاز فوق الرف وأنا لا أستطيع أن أصل إليها فجلست هكذا لعل الله يرسل لى مدداً من عنده.

شعر بكل الحزن الدفين ويتأنيب الضمير، تحرك لإحضار عبوة

الكيروسين مستعينا باللمس تارة وبإشعال النقاب تارة أخرى، فكر: ماذا يحدث لو لم يكن موجوداً هنا أو تأخر عدة ساعات أخرى؟ هل ستظل تلك المسكينة قيد كرسيها وهي تحمل هذا الملاك على صدرها وتريد إطعامه أو غيار ملابسه التي تحتاج إلى غيار كل فترة قصيرة، حاور نفسه قائلاً: لقد جعلها الله كسيحة على يد شقيقها وجعلها عاجزة على يد زوجها.. سبحان الله.

طفرت من عينيه بعض الدموع الحارقة التي سألت على وجنتيه، استعاد وعيه المفقود للحظات ووجد الكيروسين فملاً لللمبة وأشعلها فأضاءت وأرسلت النور والراحة النفسية لمن يعيش فى الظلام، اقترب منها مقبلاً إياها، بسبس حبيبتى، أرى دموع عينيك الجميلتين .. لماذا يا أحب الناس إلى قلبى؟ قاطعته ومازلت الدموع تجرى فياضة من مُقلتيها، أحبك بعد راضى .. أنا أعلم إنك تحبنى ولكن درجة راضى أولاً، نظر إليها يفكر فى كلماتها، حتى حبها لى وضعته بعد حبها لراضى ابني وابنها .. يا لها من أمومة عظيمة.

أخذ الطفل من يدها وشعر أنه يحتاج إلى نظافة فذهب به إلى الحمام فقام على نظافته وأعادته إلى أمه لتبديل له ملابسه المتسخة بأخرى نظيفة ثم وضعه على السرير برفق بعد أن حصل على جائزته كأب بعدة قبلات خفيفة حتى لا يزعجه؛ ابتسمت والدموع فى عينيها قائلة: لقد وصلت قبلك إلى.

اقترب منها ولكنها طلبت منه مساعدتها للحصول على حمامها لأنها منذ قرابة الثلاث ساعات وهي وراضى مبتلان مما أحدثه بها وهي حبيسة مكانها غير قادرة على تلمس الحمام والمياه فى الظلام وتلك البرودة الشديدة ساعدها بدفع كرسيها وأعد لها المياه الدافئة وانتظرها حتى انتهت من حمامها مازال ينظر إليها معاوداً سؤاله: ماذا سيحدث لهما لو كان مسافراً وقطعت الكهرباء وهي عاجزة عن إنارة الللمبة الكيروسين؟

دفع بالكرسی حتى السریر وعاونها بوضعها فوقه واقترب منها ثانية مقبلاً
إياها، كانت قبلة طويلة مسحت ما علق بقلبيهما من شرور الدنيا والذي
لاحقهما في الشهرين الماضيين، ساعدها في أن تغرد جسدها الذي ظل في
وضعه المقيد ساعات طوال وريت على صدرها وملس على وجهها الدامع
اللامع وقيل عيونها المبتلة من فرط البكاء صمتاً وأنياباً وحرزاً وقهراً لما فعلته
بها الأيام والمنون ثم تحمس السائقين الجميلتين والتي لا تستطيع الاعتماد
عليهما سيراً وحركة ونشاطاً حيث كانت تداعبه بوضع أصابعها الرقيقة بين
خصلات شعر رأسه، قبلت رأسه، نظر إليها يحدثها بالطريقة التي تذكرها
بأبناء البلد الطيبين في حى بولاق.

- مالك يابت .. لسه زعلانه منى؟ انتى عارفه انى لسه مستوتشى! ضحكت
ورفعت وجهه قليلاً لأعلى حتى تتقارب عيونهما معاً.

- أيوه عارفه كده ومسمحاك، قريت وجهه من وجهها وقبلته، نام على السرير
ناظراً إلى السماء دون حركة، تجاذبه اطراف الحديث، سألته، مالك ياواد
ساكت ليه؟ أشار إلى فمه.

- شاعر انى ح أموت، ضحكت وأثار دموع السعادة والبهجة التي لونت عينيها
السوداوين باللون الأحمر.

- يخرب عقلك من بوسه واحدة حتموت؟

- لا لا أصلى شاعر أن البوسه مسممة أو فيها بنج!! ضحكت ودفعته في
كفقه.

- آه منك يا مجرم، تاكل وماتشكرشى، قوم روح غير هدومك، نهض ثم تذكر:

- آه نسيت: الجواب ده جه من عماتى النهارده، فرح قلبها قبل عقلها، يا لها
من سعادة غامرة من أن يأتيها خطاب من الخالنتين الرقيقتين، أمسكت
بالخطاب ونظرت إليه مستفسرة: ٢٥٧

- واد .. الجواب ده ماله مليون كده؟ طلب منها فتح المظروف، فضت المظروف وعاد تيار الكهرباء فأضاءت اللمبات بعد انقطاع وعاد الضوء المبهر ليعيد الحياة إلى الظلام.

جلس هشام أمامها وهي تمسك بخطاب أعز الناس عليها فوقعت بعض الصور من بين ثنايا ورق الخطاب، نظرت إلى الصور صارخة هاتفة الله .. الله .. صورنا يا هشام والله نسيتمهم، نظرت إلى كل صورة بإمعان وخاطبته معقول! عشر صور .. أنا فاكركه إننا دفعنا ثمن ثلاثة .. مش كده؟ أشار إليها بصحة كلامها، قرأت الخطاب وتهلل وجهها لكل كلمة وقبلت صفحات الخطاب من حين لآخر، ضحكت بسعادة ثم صرخت فرحاً عما قيل من نشر صور لها بإحدى الصحف المصرية الشهيرة وترشحها لتصبح من أجمل فتيات مصر عن هذا العام، أمسكت بالخطاب ولم تكمله ونظرت إلى هشام تحدثه:

. مش كان المفروض ينشروا صورتك أنت كمان؟ يجيب عليها:

- مش معقول يا بسبس حادخل مسابقة أجمل شاب فى مصر لا لا محدش بيعمل كده؛ تعارضه:

. لا لا لا مش قصدى .. قصدى تدخل مسابقة أعبط شاب فى مصر!!

أقبل عليها يحتضنها وقبلها سعيداً بحديثها، تكمل قراءة الخطاب ومازالت ضاحكة بصوت مرتفع فأيقظ الطفل من نومه وهشام متسائلاً:

. إيه اللى حصل؟ تشير إلى الخطاب ومازالت الضحكات مستمرة وبكاء الطفل أيضاً وهي لاهية عنه.

. مش معقول الناس فى الحارة! الشيخ حسنى وعجور، شاركها الضحك حاملاً الطفل مهنئاً بكاءه .. تعيد قراءة الخطاب وتحدث هشام عن بعض محتوياته ويجيب عليها بأنه لم يأخذ باله من تلك الكلمات ثم تعيد كلمات مسابقة أجمل فتاة فى مصر .. تنتظر إليه:

- وله يا هشام .. إيه الحكاية دي .. بصحيح ولا خالاتي بيضحكوا معايا
ويسلونى .. يجيب:

. مش معقول حيقولوا حاجه محصلتشى وكمان بيقولوا إن الصفحة اللي منشور
فيها الخبر هي صفحة عن الفن والجمال وشافوا خمس صور لك وفيهم صورة
كبيرة واخده نص الصفحة وده مش ممكن العمات تألفه وخصوصا تعليق
عجور وحسنى .. يعنى الحكايه صحيح مش هزار مع العمات، تعيد تقبيل
الخطاب بسعادة ثم تعيد عليه سؤالا:

. يعنى تفنكر أنهم ح يرشحوا واحده مكسحه عشان تكون من جميلات مصر؟
مش معقول! من قلة اللي بييجروا وماليين الشارع حركة ومشى وجرى
وتقصيع .. يجيب: الله أعلم.

مضت عليهما ليلة سعيدة وعادت وصلة الحب التي خفتت منذ شهر
وأشبعبت بثينة هشام من حبها وجمالها الرائع الذي أشعره بأنه مازال أسعد زوج.

مضت ثلاثة أعوام على الزكسة أو الانكسار العسكرى بل انكسار الشعب
المصرى حيث تجمد طموحه وفقد الرغبة فى الحياة .. فقد توقف كل شىء
وأصبح الناس يسيرون فى الشارع سكارى وما هم بسكارى .. لقد سقط الشعب
المصرى من أعلى أحلام المجد والسعادة والانتصارات المتتالية والمستقبل
المنشود على الأرض الصلبة القاتلة .. توقفت الأنفاس وزاغت الأبصار
وتأهت العقول وتوقف اندفاع الدماء فى الشرايين التي كانت حية نابضة
لتصبح جافة يعلوها الاصفرار .. توقفت الأحاديث الضاحكة وعم النغم والهيم
على الشعب حتى المعلم حبشى شارك فى هذا الحزن بمنع بيع التعميرات حزنا
على الشباب المفقود وضياح الأمل المرتقب .. فى العلمين ازداد بؤس وشقاء

قأطنفه آصاصة الزوجفن هشام وبثفنة وشعرآ بثفنة بحال وطنفا وعجزه فكانآ هف المآال الحف المآفسد لوفنفا .. انفا حواء الففة الفف كانآ آسآعد لاسآقبال الحفا وهف مآفآفة لها ولكن البشر وأقرب الناس إلفها دمروها كما دمرآ قوف الاسآعمار والرفففة مصر .. كانآ باكفة حزفنة وبعآ هفا فف زوجها الرعب والوف فقد حذره أطباء قسم الأمراض النفسفة من فظورة هفا الحزن والألم ولكن ماذا دهاه أن ففعل فالحزن شامل كامل ولا فسآطفع اآآراع انآصارات مزففة على طرفة إذاعة صوت العرب؁ فلفحاول من فهفه أن ففدق عليها من فبه فاصة نحو العضو المصاب الذف أصفح شبه مشلول وهما ساقاها فكان فملس عليها فحنان المآب تارة وحنان الأب تارة أآرى لفشعرها بأن مازآآت بهما الحفا ومازال الأمل المآفد قافما والنصر قادم على هفا المرض العضال.

المسألة

هذه الليلة تلقت خطاب من الخاليتين والأثر المهم فى حياتها والتي أصبحت عاملاً حاسماً ودافعاً قويا لإعادة الحرارة إلى حبها نحو زوجها وشعر كلاهما أن كل شخص يجب عليه التضحية لصالح الطرف الآخر .. من جهة هشام قدر ما تبذله زوجته من مجهود معه ومع ابنه رغم حالتها الصحية التي لا يجب أن يغفلها وما لاحظته وشاهده أمس وهى جالسة فى ظلمة الليل لا حول لها ولا قوة .. أما بثينة فقررت ألا تحرم هذا الزوج من حقه الشرعى الذى كلفه الله له ولا تجعله فى ذيل اهتماماتها فهذا قد يدفعه إلى الخطأ أو إلى النظر خارج المنزل وكيف تحرمه من شىء مقرر له من الخالق وقد كان كريم الخلق وتحمل مرضها وبعد ذلك زواج مع إيقاف التنفيذ لفترة تعدت الشهور الستة وهو السليم المعافى وهى المريضة.

انطلقت عيونها الجميلة مع شعاع شمس هذا الصباح متحدثة بصوت أقرب إلى الهمس: سوف أشبع طفلى كما اننى سوف أشبع حبيبى وزوجى .. لقد شعرت بأشقيائه إلى أمس .. لا يجب علىّ فعل هذا بعد اليوم ولن أقصر فى حقوقه الزوجية، لقد أخطأت ويجب علىّ تصحيح هذا الخطأ وعلىّ أن أنظم كل أمور المنزل .. طفلى وزوجى، إن زوجات كثيرات من حولى لديهن العديد من الأطفال، أعتقد أنهن لا يفعلن ما فعلت وإلا كانت النتيجة محزنة للجميع، هكذا تصالح الحبيبان وتصافيا دون عتاب أو إلقاء الخطأ كل على الآخر.

لم يمض أسبوع على وصول خطاب العميتين إلا ووصل لهما خطاب آخر من وديع إلى هشام ومن سارة إلى حبيبته بثينة وفيه يؤيدان ما سبق

وأن تحدثت به العمتان بل زادا على ذلك إرسال صفحة الجريدة التي تحمل صور بثينة منشورة بها ولاحظت أن صورها كانت منفردة وليس بها هشام تنبه هشام وبثينة أن المصور كان يقترب كل فترة زمنية قصيرة ويلتقط بعض الصور ثم يترك المكان ويعود ثانية مكرراً ما سبق مما دفع إلى ضيقهما من هذا التصرف واضطرهما لترك المكان، كما تبين المقالة التي أرفقت بالصور وصفحة الجريدة ومن حديث المصور الذى استطاع الحصول على تلك الصور الرائعة على حد قول المحرر إنه كمصور شعر بأن تلك السيدة وجه معبر ورائع للجمال المصرى الطبيعى ودفعه هذا لأن يحصل على عدة صور دون إذن صاحبته معتذراً لها عن هذا العمل والذى كان يصب فى صالح الفن الفوتوغرافي حتى علم بالمسابقة فاشترك فيها بمجموعة صور السيدة بثينة وفازت مع أربع سيدات أخريات وسوف تجرى التصفية النهائية لتلك الصور كما كتبت الجريدة وأن باقى صور المتسابقات ستظهر تباعاً تاركين لجمهور القراء اختيار السيدة أو الفتاة الفائزة بلقب ملكة جمال مصر حيث إن السيدة بثينة تشترك وهى مخالفة لطبيعة المسابقة نظراً لأنها تستخدم الكرسى المتحرك وهذه هى المرة الأولى التى يشترك فى المسابقة مثل تلك الحالة والتى تلزم المتسابقات بأن يكون كل شىء ظاهراً أمام اللجنة من حيث الطول ومقاييس الجسم والخصر وياقى الشروط المكتوبة لذا فسوف تترك الجريدة لأبناء مصر أن يتخيروا الأولى من خمس من النساء لتكون ملكة الجمال وتفوز بهذا اللقب الرفيع، تبادل الزوجان النظرات فيما بينهما متسائلين عن ماهية تلك المسابقة كان من الواضح أن السعادة ألمت بهما.

تقاطرت الرسائل من القاهرة سواء من الخاليتين على ابنة شقيقتيها أو من سحر وليلان شقيقتيها أو من الطبيب الأب الذى قال إنه الفائز الأول بتلك

المسابقة؛ لأن ابنته بثينة دخلت تصفية مع أربعة أخريات وهذا يكفيها فخراً ومساعدة حتى إذا لم تغز بالمركز الأول .. كما أن سارة أغدقت بخطاباتها على صديقتها بثينة وأصبح بريد العلمين مشغولاً بتلك الرسائل وكما قال عامل البريد بأنه يحمل أكثر من نصف البريد للمهندس هشام والسيدة بثينة وعلم أهل القبيلة بهذا الخبر سواء من الصحف التي تصلهم بعد عدة أيام أو تناقلها البعض لكن المؤكد أن الخبر انتشر وكأنه أهم ما يشغلهم فقد تناقلت الصحف اسم القبيلة ومنطقة العلمين والتي تقيم بها السيدة المرشحة، لقد أسبغ هذا على نسائها وقتياتها السعادة بأن صديقتهن أصبحت إنسانة مشهورة وعلقت السيدة كارين على هذا بأن الشيء القيم يفرض نفسه على الآخرين حيث أخبرت بثينة عندما حضرت لزيارتها مهنئة على ما وصلت إليه من شهرة بأنك تعيشين في منطقة العلمين التي لم يقدّم بزيارتها أي مسئول من الحكومة بل وتجلسين في منزلك أكثر من الأخريات ورغم هذا أصبحت بشهرة الوزراء بل أكثر من هذا فالجريدة قررت عمل استفتاء مثل ما يحدث في انتخابات رئيس الجمهورية أو الدستور؛ إذا فهذا شيء رائع سوف يستفيد منه أبناء الواحة أحسن استفادة لرفع النشاط الثقافي أولاً ثم الاقتصادي بعد ذلك حيث سيتفاخر أبناؤها بأن إحدى بناتهم أصبحت مشهورة؛ أهنيك يا هشام، ثم نظرت إلى راضى الصغير وقد وضع إصبعه في فمه يمتصها بديلاً عن البزازة، أهنيك على أمك الجميلة قبلته وقبلت بثينة متمنية لها الفوز في المسابقة.

هكذا أصبحت بثينة مشهورة بالمجتمع المصرى وتعاطف معها أبناء الشعب خاصة الفتيات والنساء واللأى شعرن أن واحدة منهن حرمها الله نعمة السير وقد أصبحت ذات شهرة واسعة وأن جمالها الطاغى كان أكثر جاذبية عن الأخريات فاستقطب العيون الفاحصة وكانت تلك استطلاعات الرأى العام

قبل الإعلان عن المسابقة والتي كان واضحاً أنها حصلت على شعبية كبيرة زاد من تلك الشعبية أن إحدى المتسابقات فى حوار مع أحد الصحفيين أشارت إلى أنها ستدلى بصوتها لصالح بثينة ومن أجل هذا فإنها تعلن انسحابها من المسابقة احتراماً لهذا الجمال الإلهي الذى لا يجب أن يشارك أحد فى منافسته زاد هذا من شعبيتها أكثر مما دفع متسابقة أخرى لمهاجمة بثينة قائلة: كيف يسمحون بدخول كسيحة للتسابق فى مسابقة للجمال الذى يعتمد أول ما يعتمد على الكمال فى كل التفاصيل وهى لا تقوى على السير ولا تستطيع إظهار سيقانها مثلى، إننى حزينة لاختيارها معى، كنت أفضل أن أشارك فى مسابقة أية دولة أخرى عن أن أشارك فى مسابقة مع الكميحات والمعوقات .. لذا يجب عليها الانسحاب من المسابقة وأن تشارك فى مسابقة للمعوقات.

أثار هذا النقد الجارح زوية بين المصريين الذين يكرهون الغطرسة والتعالى فوق العباد لهذا قامت الجمعيات النسائية ومجلات المرأة والبرامج النسائية بالإذاعة باستنكار هذا التصريح وطلبوا من الجريدة التى نشرت الخبر أن تعتذر لقرائها عما قالته تلك المتسابقة.

كانت الجريدة أكثر جرأة حيث أعاد الصحفى أخبار وتعليقات الكثير من المشاهير عن رأيهم فى المتسابقات وعن رد فعلهم عما قالته المتسابقة التى تحاملت على بثينة .. وأدلى كل برأيه واستقرت غالبية المشاهير على تأييد اختيار بثينة كما ذكر الكثير من صفاتها التى تدفعهم لهذا الرأى والبعض استنكر ما قالته المتسابقة المتغترسة وهجومها على بثينة ولكن أحدهم قال:

إن بثينة فى الجمال والفتنة الإلهية مثل طه حسين فى الأدب العربى .. فكما أن طه حسين لم يكن له منافس وهو فاقد للبصر فإن بثينة هى الأخرى ليس لها منافس رغم أنها فاقدة للحركة .. اشتعلت الصحافة والمجلات

بالمقالات الملتهبة وكثرت الآراء وكان لشباب الجامعة من الجنسين الرأى
الفصل حيث تعاطفت معها جموع الطلبة والطالبات وقرروا الاشتراك فى
الاستفتاء من أجلها.

أقبل المساء ومازالت بثينة جالسة فى عزلتها ووحدها مثل كل يوم وقبل
حضور هشام إلى المنزل شعرت أنه من الواجب عليها أن تعطى هشام حبيبها
جرعة من الحب وألا تحرمه فترات طويلة منها، استعدت لهذه المناسبة المهمة
فى قلب وعقل حواء، حصلت على حمام وأبدلت ملابسها وأعدت مكياجها التى
تجيد استخدام أدواته وعطرت المنزل وأحضرت بعض الشموع وطلبت من
إحدى الفتيات إحضار بعض الزهور من حديقة الشيخ خيرالله وجلست تنتظر
قدم الحبيب، لم يتبق على حضوره سوى ساعة، بعد عدة دقائق سمعت
طرقات يده على الباب وأدهشها تصرف هذا المحب الولهان الذى ترك عمله
ليحضر إليها مبكراً ليحصل على نصيبه منها، انتابها الضحك محدثة نفسها:
. الواد فاكرنى حاطير، تنبهت على أصوات الطرقات ثم سمعت صوت هشام
مرتفعاً على غير العادة يحدثها:

. بثينة .. معايا ضيوف رجاله وستات، أسرعت بالإجابة طالبة منه ومن حضر
لزيارتهم بالخول لقد قطعوا عليها وحدثها الشديدة منذ الصباح.
- ايوه خليهم يتفضلوا .. أنا جاهزة .. فتح الباب ودخل بعض الرجال ومعهم
سيدة ومعدات تصوير، أقبلت السيدة على بثينة تحييها وتقبلها وهى فى منتهى
السعادة قائلة:

- مبروك ياملكة .. لقد فزت فى مسابقة الجريدة بنسبة كبيرة من الأصوات
واشترك فى هذا الاستفتاء أكثر من مليونين ونصف المليون مواطن، لقد
حصلت على نسبة كبيرة ٧٧% من الأصوات، نحن فى تليفزيون الجمهورية

العربية المتحدة حضرنا لتسجيل لقاء معك فى برنامج مع المشاهير، أقدم لك مجموعة العمل.

عرض كل من المخرجة والمُعد الأسئلة التى ستوجه إلى بثينة للإجابة عليها كما قام مساعد المخرج بإعداد كل الإجراءات اللازمة فى مكان التصوير وتوزيع الكاميرات وخرجت المخرجة مع مساعدتها لتصوير المنطقة الخارجية المحيطة بالمنزل ووصف للمكان وإظهار جمال الطبيعة وقررت المذيعة أن تضيف الجو المحيط بالمنزل فى حديثها بقولها بأن تلك المنطقة ازدادت جمالاً بوجود الملكة بثينة بها .. استمر التصوير لأكثر من أربع ساعات مُرهقة تخللتها راحتان لراحة الكاميرات والمصورين والقائمين على البرنامج استغلتها بثينة فى الإشراف على إطعام طفلها التى جلست ترعاه بعض بنات القبيلة واللائى لهن علاقة بها.

انتهى التصوير وتحدد موعد إذاعة البرنامج مع التقاط بعض الصور التذكارية التى طلبتها المذيعة والمخرجة وطاقم التصوير كما تواجدت بعض قوات الأمن لمرافقة سيارة التلفزيون لتسهيل مهمتهم وتقديم يد العون لهم وتولى الشيخ خير الله تقديم الطعام والمشروبات لهم .. أما خارج المنزل فقد تجمع العديد من أبناء وبنات المنطقة ليتابعوا هذا الحدث المهم وكان من بين الحاضرين رئيس الوحدة المحلية لقرية النخيل والتى تتبعها القبيلة وكان سعيداً لأن يصبح بين قاطنى تلك القرية شخصية مهمة تتحدث عنها وسائل الإعلام. تقرر تغيير اسم القرية من قرية النخيل لتصبح قرية الملكة وهذا بمبادرة من رئيس الوحدة المحلية حيث إن هذا الاسم سيضعها فى دائرة الاهتمام السياحى الداخلى والخارجى .. أذيع البرنامج والذى التفت حوله جموع المصريين للتفيس من خلاله للحدث المولم لكارثة عام ١٩٦٧ وكانت

الحكومة راغبة فى رفع الروح المعنوية للشعب فدفع بها إلى الاهتمام الإعلامى لهذا الحدث الفنى الجميل باختيار سيدة صغيرة السن ملكة جمال لمصر رغم ما بها من عاهة وفسره بعض المحللين على أنه ذكاء سياسى من الأجهزة المسئولة بأن توحى للناس بأن المهزوم عسكريا يمكنه أن يفوز فى النهاية مثل فوز بثينة المهزومة صحياً، وبالفعل أصاب الناس فى الشارع نوع من التحدى كما تحدثت سيدة صغيرة إعاقته ولهذا أعيد بث البرنامج مرات عدة، علق عليه الكثير من المشاهير بالمخالفة لما جرت به العادة لمثل تلك المسابقات التى تكون فى العادة برامج هامشية ولا تأخذ هذا الاهتمام كما حدث فى قصة بثينة خاصة فى تلك الظروف الصعبة التى يمر بها الوطن.

كانت ردود الفعل إيجابية وهتف الناس لتلك السيدة الصغيرة بل حاولت بعض الصحف أن تدعو لاختتاب عام لعلاجها على نفقة الشعب وتعاطف الناس مع تلك الفكرة ولكن أحد الصحفيين حضر لمقابلتها للحصول على رأيها فى هذا ورافقته نفس البعثة التلفزيونية السابقة لتسجيل ردود أفعالها فأشارت بكلمات دقيقة معبرة .. إذا أردتم أن تتبرعوا فليكن التبرع لإزالة آثار الاعتداء الإمبراطلى عن مصر؛ لأن مصر أهم من بثينة بملايين المرات، من أجل هذا أطلب من الشعب أن يتبرع فى إطار الحملة الكريمة التى تقوم بها السيدة العظيمة أم كلثوم .. هكذا دفعت بعشاقها المتعاطفين معها إلى الانضمام إلى طابور المخلصين لمصر والتبرع فى إطار واحد وهو إزالة آثار العدوان كما ربطت بين حالتها الصحية وحالة الوطن، صب كل هذا فى الإطار السياسى والإعلامى الذى أرادته الدولة حتى أصبح الاثنان شيئاً واحداً .. كما نوهت بثينة فى حديثها مع الصحفى نظيف القلب والقلم واللسان بما قام به مخلصو مصر من أطباء مستشفى قصر العينى الذين لم يتأخروا عنها فى أية لحظة

عن القيام بواجبهم الإنسانى الذى وضعهم القدر فى طريقه وقدمت لهم جميعا الشكر مستأنفة فى أن تحدد شخصا واحدا بالإنابة عن الباقين وهو الأستاذ الدكتور/ إسلام عثمان مضيغة إليه لقب أبى الطيب .. مؤكدة أنها سعيدة بأن تلعبه بهذا اللقب الذى يستحقه وهو الذى عاملها وزوجها كأبناء له ويناديهما بهذا اللقب المشرف لهما.

أثار الحديث عاصفة من الحب والتكاتف بينها وبين جماهير المشاهدين وقرأء الصحيفة الذى يكتب لها الصحفى الرقيق مما دفعهم للمساهمة الفعالة وإلى الاندفاع نحو التبرع لهذا العمل الوطنى وأضفى هذا الحديث الحب الجماهيرى الذى يليق بها وغمرت السعادة كل من يعشق الإنكار للذات بأن تضحى شابة قعيدة بمصلحتها لصالح الوطن، أيقن شباب مصر أنهم ليسوا أقل منها وطنية وهي فى مثل عمرهم بأن يحذوا حذوها سواء كمقاتلين على جبهة القتال أو داخل الوطن بالإخلاص فى العمل والبعد عن الشعارات الجوفاء التى لا طائل منها حيث يقول الشاعر:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب
أصبح الحديث الدائر بين الناس فى المقاهى وأثناء العمل وبين السيدات وفى المحادثات التليفونية ما قالته بثينة وتفاخرن بأن إحداهن ألهمت الشعور الإنسانى الوطنى والتي أعطت نموذجا فذاً لمدى الوطنية المصرية التى تتحلى بها بنات مصر، هذا ليس غريباً عنهن، فهن أمهات وزوجات وبنات وأخوات المقاتلين والشهداء وتحملن تضحيات كبيرة بنفس راضية.

أرسل الأب الطيب الذى ذكرت اسمه مقروناً بالشكر والثناء على أطباء مصر متخذة منه الرمز لباقى زملائه .. أرسل برقية رائعة يشكرها فيها على الثناء على ما يقومون به من عمل هو فرض عليهم وواجب إنسانى لا يستحق

الثناء وأن شكرهم الحقيقي هو أن يشعروا بأن كل مريض يستطيعون مساعدته في أن يعود إلى حالته الصحية السليمة أو محاولة التقليل من الآم مرضه وهذا مبتغاهم ومصدر سعادتهم .. كما أخبرها أن دموعه غلبته أمام أسرته وهو يشاهدها وهي تتحدث بطلاقة اللسان المعبر عن نبض وقلب كل المصريين مؤكداً أن الله سيكون معها دائماً وهو بإحساسه الأبوي وليس المهني يشعر بأن معجزة ما ستحدث لها تعيد إليها حالتها الصحية، تعيد البسمة لها ولزوجها وله ولزملائه بإذن الله مكرراً رجاءه بأنه وزملاءه مازالوا رهن إشارتها ويسعه أن يستقبلها في القاهرة في أول زيارة لها، سيكون هذا الاستقبال في منزله وبين أسرته فلا أقل من أن يستقبل الأب ابنته الغائبة عنه في منزله ويكون هناك لقاء عائلي مع أختك حتى تشعرى بمدى ما يكنه لك كل المصريين من حب وإعجاب.

تواترت الأحاديث الإذاعية والتليفزيونية والمقالات في الجرائد عن "الملكة" والبعضُ قص بعض أقاصيص لا تمت للحقيقة بصلة وكان الناس في مصر يعرفونها وأصبحت أشهر من نجوم السينما والغناء، مسئول في وزارة الكهرباء يعلن أنه أصدر تعليماته إلى مرعوسيه بأن يتم تقوية خط الكهرباء لمنطقة العلمين حتى يعيش أهل المنطقة مع الملكة في أنوار وزارة الكهرباء ومن غير المنطقي أن تعيش الملكة التي أحببتها الجماهير في ظل انقطاع للتيار الكهربائي، كما تحدث مسئول بوزارة المواصلات بأنه أعطى تعليماته بتوصيل خط تليفوني إلى مسكن الملكة حتى تستطيع أن تتصل بمن تريد أو تطلب العون في حالات الطوارئ.

أما على مستوى الشعب فقد أصبح الجميع يعرفونها، فهذه الأسرة تؤكد في برنامج على الناصية أن الملكة كانت جارة لهم في السكن، كانت تلعب مع

بناتها وتؤكد الفتيات ذلك وينكرن بعض أماكن الترفيه والزيارات التي كن يتوجهن لزيارتها .. وفتاة أخرى تؤكد بأن الملكة كانت زميلتها أثناء الدراسة بالمرحلة الجامعية وكانت تساعدنا فى نقل المحاضرات عندما تذهب لمقابلة زوجها هشام أثناء فترة الخطوبة.

أما على مستوى المسؤولين .. فقد قررت محافظة الغربية إطلاق اسم الملكة على أحد الميادين التي ستقام حديثاً مع عمل تمثال نصفى لها وهى ابنة المحافظة .. وتؤكد محافظة مطروح بأنهم يعتبرون الملكة ابنة المحافظة وقد أطلق اسمها على أحد أهم بلاجات المحافظة وهو شاطئ الغرام المشهور عن فيلم للسيدة ليلي مراد .. ومسئولو محافظة الإسكندرية يتحدثون بأن الملكة ابنة مصر وهى أيضا ابنة الثغر ولها أملاك بالمنينة وسيضاف اسمها إلى أسماء الشخصيات العظيمة أسوة بسيد درويش وغيرهم ويطالبون محافظة مطروح بالأعتبر الملكة من أبناء محافظتهم فقط ولكنها ابنة جميع محافظات مصر .. أما محافظة القاهرة فتقرر إطلاق اسم الملكة على أحد ميادين مدينة نصر حديثة الإنشاء مؤكدة أن الملكة من بنات المحافظة وأنها كانت تقيم فى حى العتبة وأن والدتها السيدة عائشة مازالت تقيم فى شقتها بل وزاد الأمر وضوحاً بأن المحافظة قررت تكريم أم الملكة بإعطائها شقة فى المساكن الشعبية نظراً لحالتها المالية المتعثرة .. هكذا تسابق الجميع لخطب ود الملكة التى ذاع صيتها.

الكثير من المحلات التجارية والمتخصصة ببيع مستلزمات النساء أطلقت اسم الملكة عليها كما قامت بعض محلات الطعام الشهيرة بإطلاق نفس الاسم ومحلات كوافير السيدات كما ظهرت موديلات ملابس نسائية باسم الملكة. أصبحت الملكة منافساً قوياً لحفلات أم كلثوم واخبار معارك حرب

الاستنزاف والإنسان بطبعه يميل إلى الأخبار المفرحة خاصة أنها بعثت الأمل بهم وأن شعبنا مازال بخير ومازلت أجهزة الدولة تاركة الشعب فى ملهاه حتى لا يلتفت إلى آثار النكسة التى أطاحت بفرحة المصريين وكان هذا الحدث قد أعاد ثانية إلى المصريين طبيعتهم المرحة المتفائلة وهذا مطلب مهم فى مثل تلك الأزمات القومية بأن يجتمع الناس على هدف نبيل ينشدون تحقيقه حتى تعد العدة لإنهاء مشكلة الاحتلال وما ترتب عليها من تهجير أكثر من مليون من أبناء منطقة القناة.

أما فى حى بولاق مهد الحب والروح النبيلة التى أنقذت بثينة من براثن عائلتها فالناس هناك يحتفلون بطريقتهم الخاصة .. الحفلات والتعميرة والانبساط وكانت "تعميرة" الملكة من أهم التعميرات التى خصصها المعلم حبشى لعلية القوم كما علق الشيخ حسنى ياقطة على بلكونة الشقة التى يقيم بها والتى توضح أنه مأذون الملكة عند زواجها وقد كانت عاملا مهما فى أن يُقبل عليه الكثيرون بل وأصبح يكتب فى بطاقات دعوة الفرح أن الشيخ العالم الجليل / حسنى مأذون الملكة هو الذى سيعقد قران كريمة السيد /.....على نجل السيد/.....وهما من كبار موظفى الدولة...

هكذا تدفق الخير على حسنى وأصبح يدخل أحسن أنواع التعميرة ويدفع نقداً دون انتظار أن يفقه المعلم حبشى روسية ثم يصلحه ويسترضيه بتعميره أقل مستوى وساعده هذا على أن يصبح قادراً على صعود المقطم والتمتع بجاردن سيتى .. والله فى خلقه شئون.

قُدرة الله

انشغل الزوجان السعيدان بحياتهما وأصبحا مشغولين بطفلهما وأعمالهما تاركين الآخرين يلهثون حول المعلومات عن الملكة وصلتهم بها .. حضرت زوجة الشيخ خيرالله تخبر بثينة بأن زوجة أخيها فاروق رزقت بفتاة وبلغ عمرها الآن ما يقرب من العام ومن رآها يقول إنها رائعة الجمال وأسعدتها هذا الخبر نظرا لأن أخباره قطعت عنها لفترة طويلة منذ زواجه ونفيه مع زوجته قريبا من واحة الفرافرة.

بعد مغادرة زوجة الشيخ عادت بثينة بذاكرتها إلى الوراء أكثر من خمسة عشر عاما وشقيقتها فاروق يشبعها ضرباً وإهانة وهى صغيرة مما حدا بشقيقتها ليلان إلى أن تهرب بها إلى منزل الجدة (رحمة الله عليك يا أباي). تذكرت والدها الإنسان الضعيف مكتوف الأيدي ولا يستطيع دفع الضرر عنها ولا يملك إلا البكاء ومناشدة فاروق وأمها الكف عن إيذائها، آه يا أخى فاروق إننى أريد أن أراك وأنت تلاعب ابنتك وتقبلها وتحافظ عليها، لقد أصبحت أبا الآن وبعد فوات الأوان سوف تشعر بشعور وأحاسيس الأب ومقدار حبه لأبنائه خاصة أصغرهم وتذكرت قولاً لأحد الحكماء عندما سأله أحد الأصدقاء عن أحب الناس إليه من أبنائه بعد حب الأب والأم فقال: مريضهم حتى يشفى ويعيدهم حتى يعود وصغيرهم حتى يكبر".

اقترب عمر الطفل راضى من الأربعة أعوام ولاحظت بثينة مدى نشاطه ولعبه الزائد الذى يتمتع به الأطفال فى تلك الأعوام ولهذا كانت تخشى عليه من الإصابة أو الضرر وهى القعيدة التى لن تستطيع إنقاذه بسرعة مثل الأسوياء حيث كانت تكفى بالجلوس فى المنزل أو الحوش الذى يقع به

المنزل حتى لا يبتعد عنها كثيراً ولا تستطيع أن تساعد أو تحميه وقت الخطر أحد أيام الخريف وقبل انتصاف النهار أرادت بثينة أن تشاهد مياه البحر وتمتع نظرها بالطبيعة خاصة أنها علمت من الفتيات فى مصنع الملابس أن الأيام الثلاثة المقبلة سوف تهب "توة" عاصفة بحرية قوية فى المنطقة ولا داعى لنزول البحر لهذا كانت منطقة بلاج الملكة فارغة، أرادت أن تمتع عينيها بجمال البحر وأن تستشق الهواء الصافى قبل حلول موعد النوة.

تحركت بكرسيها من خارج حوش المنزل مستغلة المشابهة المخصصة لها وقبل مياه البحر بحوالى خمسين متراً توقفت عن الحركة مكتفية بتلك المسافة ساعد الهواء المنعش فى أن يخلد الصغير على صدر أمه فنام وهى سعيدة قريرة العين تنظر إليه بكل حب وعطف الأمهات، أطلقت عينيها الجميلتين لتسبحا فى مياه البحر الساحر تستعيد ذكريات الماضى وحبها وما كانت تغعله مع هشام عديم الخبرة، تضحك من بعض ما قاله خاصة عندما أخبره وديع بديح القطة، كما تذكرت كل من سارة ابنة البلد الطيبة العشرة وخالتها سندس وزينب .. سرحت وتداخلت الذكريات وقام الطقس الجميل بتخديرها فخلدت إلى نوم جميل ممتع .. لم تع المدة التى غفلت فيها عيناها ولكن أثناء نمامها شاهدت حلماً ورؤيا مفرجة .. فقد شاهدت موجاً مرتفعاً قادماً من جهة البحر يزيد ارتفاعه عن عدة طوابق دافعاً أمامه بعض مراكب الصيد الفارغة ومقبلاً نحوها وابنها راضى يقف على أول خط المياه وتصرخ وتنادى عليه ولكن صوتها احتبس وأنفاسها توقفت، حاولت مغادرة الكرسي لإنقاذه ولكنها لم تستطع واقترب الموج حاملاً الهلاك لابنها .. صرخت وأخيراً خرج صوتها .. وأفأقت على تلك الصرخة؛ لكنها صرخت أكثر من مرة وهى مستيقظة حيث شاهدت فى الحقيقة ما شاهدته أثناء نومها حيث كانت الموجة الجبارة قادمة

دافعة ببعض قوارب الصيد وهادرة بصوت مخيف وابنها راضى ترك صدرها ويلعب قريبا من الماء ومشغول عن صراخها وتنتظر يمينا ويسارا لتبحث عن أحد بجوارها دون جدوى وتطلب العون دون مساعدة وازداد اقتراب الموج المدمر، حاولت الوقوف وترك الكرسي فلم تستطع، ألقت بنفسها أرضا زاحفة صارخة مناشدة الله أن يقف معها وينقذ وليدها، قاومت واستطاعت أن تنهض وتجري عدة خطوات ثم سقطت؛ كررت هذا العمل ما بين السقوط والنهوض وتمزقت أصابعها من الحفر فى الرمال وأخيرا وصلت إلى طفلها فخطفته بأقصى سرعة وقد تمزقت ثيابها وجرحت ساقاها وهى لاهية عن كل ذلك أسرعت تعدو عائدة إلى منزلها ولكن الموج كان أسرع منها فقذف بها ويصغيرها حتى اصطدما بحائط المنزل.

عاد الموج ثانية حاملاً الجميع معه ولكن من حكمة الله ومقدرته أن جذع نخلة كانت بالأرض وتحيط بها الرمال منعت مياه البحر أن تسحبهما معها .. سكن الموج وخمد البحر بعد أن أعلن عن ثورته وبقيت بثينة محتضنة وليدها وفى حماية جذع النخلة ولكنها تنبهت على بكاء الصغير وفتحت عينيها وشاهدت صغيرها يتلوى فى يديها ألما من قبضتها القوية على جسمه الضعيف والدماء تغطى وجهه، جزعت وقامت ناهضة تجرى فى اتجاه منزل الشيخ خيرا لله تسقط مرة ويقوم أخرى حتى وصلت لاهثة الأنفاس مع ضربات قلب شديدة لم تستطع الكلام، طرقت الباب بشدة وفتحت زوجة الشيخ وما أن شاهدتها حتى أطلقت صرخة مكبوتة استطاعت أن تجمع بعض الجيران الذين هبوا لنجدتها، أدخلوا بثينة منزلهم وقامت زوجة الشيخ والنساء بكل ما يستطعن تقديمه من عون لها ولطفلها .. اغتسلا وقدمن لهما ملابس نظيفة صالحة وقدم الشاي وكوب لبن ماعز للطفل الذى أسعده هذا وقام يجرى خلف

الخراف والماعز الصغيرة وكان شيئاً لم يحدث ودفع هذا بأمه إلى أن تشعر بسعادة لطرد أثر هذا الكابوس اللعين الذى تحول إلى حقيقة قاتلة، بعد أن حصلت على قسط من الراحة غلغه سرورها وفرحتها بأن وليدها يتمتع بالصحة استأذنت فى أن تعود لمنزلها فقررت النسوة مرافقتها.

أثناء السير تحدثت النساء وتضحكن حتى يزيلوا عنها أثر هذه الكارثة وقد اقتربن من منزلها فشاهدن الكرسي المتحرك مدمراً؛ فى تلك اللحظة نظرت النسوة إلى بثينة التى سارت معهن أكثر من ثلاثمائة متر وقبلها ذهاباً نفس المسافة وصرخن فرحاً وأطلقن الزغاريد البديوية الجميلة وقامت فتاة صغيرة ترقص فرحاً وطرباً وتتغنى بأغنية "سالمة يا سلامة رحنا ورجعنا بألف سلامة" والنساء يغنين من خلفها مع استمرار إطلاق الزغاريد وأسرت إحدى الفتيات وأحضرت طبله تدق عليها دقاً جميلاً وسألت بثينة .. أتستطيعين الرقص؟ أجابت سؤالها، أستطيع وإن لم أستطع فهذا يوم سعيد على وعلى ابني .. سألتها الفتاة، أى دقة تستطيعين الرقص عليها؟ أجابتها "مقطوعة تمرحنة" دقت الفتاة القطعة الموسيقية وهى من روائع الموسيقىار محمد عبد الوهاب ونهضت بثينة ترقص عليها بين تصفيق وغناء وزغاريد النساء وأقبل العديد من الصبية بينما كانت ابنة الشيخ خيرالله قد توجهت لتبليغ هشام بأن زوجته وراضى فى منزلهم وقصت ما حدث على الجميع حيث حضر هشام والشيخ خيرالله وتبعتهم كارين وبعض العاملين ولم يشاهدوا أحداً بالمنزل بل شاهدوا جمعاً غفيرا وطبلاً وزغاريد قريباً من منزل هشام فأسرعوا يستطلعون الأمر حيث شاهد الجميع عروس البحر كما قالت كارين "عروس بهر" وهى ترقص وتتغنى وهشام ينظر إليها بدهشة ودموع الفرح والشكر لله تغالبه وتقفز من خلالها وهو الذى تركها منذ ساعات قليلة هامة على كرسيها.

نظر إليها الجميع وهم في دهشة حيث جلس هشام أرضاً من شدة الفرح ولم يستطع تحمل الوقوف وظلُّ مسلطاً بصره على زوجته الرشيدة الجميلة التي عادت إلى سابق عهدها وهو يعلم بأنها تغنى وترقص ولكن ليس بهذه البراعة ومازال يشاهدها، شكر الله ومازالت عيونُه دامعة وقلبه خاشعاً، جاءت إحدى الفتيات بابنه راضى فقبله واحتضنه وشاهدتهما بثينة فأقبلت نحوهما رقصاً وغناء ومازال الجميع فرحين مطبلين مهئين على سلامتها وسلامة راضى.

قرر الشيخ خير الله بهذه المناسبة التضحية بجمل يطعم أهل قبيلته على نعمة الله عليهم وشفاء الملكة ولهذا هلت النسوة مرة ثانية.

جلس هشام لا يستطيع التفكير ومازال الاحتفال قائماً وجاءت بثينة فجلست بجواره تلتقط أنفاسها بعد المجهود الذى بذلته بينما أكملت باقى الفتيات الاحتفال وبعد فترة لا تقل عن ساعتين بين سعادة وضحك وتهنئة الصغار قبل الكبار للزوجين استأذنا الجميع للعودة لمنزلهم، هكذا الحياة .. فى الصباح بثينة قرينة الكرسي المتحرك لعامين وهى الآن تسير بخطواتها الرشيدة والتي كان لها وقع السحر على الجميع.

مساء نفس اليوم اتصل هشام بالأب الطبيب ليخبره بما حدث وصرخ الرجل فى سماعه التليفون صرخة الفرحة والإيمان بقدرة الله ولم يتمالك أعصابه وانفعالاته حيث كان يهذى ببعض الكلمات ولكنه عاد لهوئه وأخبر هشام بأنه يتمنى زيارتهم مستفسراً عن إمكانية ذلك وسيكون بصحبته بعض زملائه وعلى رأسهم رئيس قسم الأمراض العصبية، استفسر منه هشام عن العدد الذى سيحضر هل يصل إلى عشرة أشخاص؟ صمت الرجل برهة قائلاً: من المحتمل أن يصلوا إلى خمسة عشر شخصاً حيث أنوى اصطحاب زوجتى وابنتى للتعرف عليكما.

قدم هشام شكره للطبيب موضحاً أنه سوف يُعد العدة ويتصل به تليفونياً ولكن الأب الطبيب طلب منه أن يتم هذا في أيام الخميس والجمعة على أن يغادروا المكان صباح السبت، أسعد هذا هشام وأقاده بأنه سيعمل كل ما في وسعه ليكون مستعداً لاستقبالهم.

في اليوم التالي تقابل هشام مع الشيخ خيرالله وشرح له ما دار في الاتصال التليفونى مع الأب الطبيب ورغبته في زيارتهم وقضاء ليلتين في ضيافتهما تهلل وجه الرجل وغمرت السعادة قلبه وأخبره بأنهم سوف يصبحون مستعدين لهم ويأى عدد، توجه خير الله لمقابلة مسز كارين التى أوضحت له أنه بعد أسبوعين سيكون المنتجع بنصف طاقته وذلك لاقترب موعد احتفالات الكريسماس فى أوروبا وبمكناها استقبال اثنين وعشرين شخصاً فى تلك الأيام أسعد هذا خيرالله واتفق معها أنه سيتحمل تلك النفقات ولكنها اعتذرت لأن المنتجع لم يكن محجوزاً وسألته لماذا يتحمل هذا بمفرده؟ فأجابها لما يشعر به من سعادة بأن الله من على تلك الزوجة الشابة بالشفاء وعادت إليها حياتها وما يكنه هو وأسرته لها ولزوجها هشام .. أسعدها هذا التقدير منه ولكنها أخبرته بأنها هى الأخرى سعيدة مثله وترغب فى المشاركة فرحتهم واستقبال ضيوفهم .. اتفقا على أن تتحمل كارين نفقات الإقامة بينما يتحمل خيرالله نفقات الإعاشة وأسعدهما هذا الاتفاق وعاد إلى هشام ليخبره بما تم بينه وبين كارين فقام راقصاً فرحاً من فرط السعادة ومن حُب الناس لهما.

عاد هشام واتصل بالأب الطبيب يخبره بالموعد والعدد، أثنى الرجل على مجهوده وحصل منه على العنوان وكيفية الوصول حيث سيحضرون بسياراتهم. اتصل هشام بالمذيعة التى أجرت الحديث التليفزيونى مع بثينة قبل ذلك ليخبرها بتلك الزيارة وأسعدها ان تحضر هذا الاحتفال وتأثرت لهذا الخبر

فغلبتها الدموع ووعدت بالحضور وطاقمها المكون من خمسة أشخاص .. كما اتصل بالصحفى المتابع لهما الذى لم يصدق الخبر وطلب منه هشام أن يصطحب معه المصور البارغ الذى التقط لهم الصور على كورنيش النيل وأقاده الصحفى بأن هذا المصور يعتبر من مشاهير المصورين فى الصحافة الآن ويعمل بإحدى المجلات النسائية وسوف يُسعدده أن يصطحبه معه.

اتصل هشام أيضا بوديغ حبشى فى محل عمه ناشد وزف إليه نبأ شفاء بثينة، هتف الشاب ضاحكا بهستيرية قائلاً: إن هذا أسعد يوم فى حياته وحياة سارة وأسرتى ورغم ما سوف يتكده أبى من توزيع تعميمات مجانية إلا أن هذا يستحق الاحتفال كما طلب منه هشام أن يبلغ عمته سندس وزينب بهذا الخبر السار.



لم تسع الفرحة بثينة بعد أن جلست تمسّيح نهضت ثانية لاعتقادها أن هذا الشفاء لن يدوم ولكنها ازدادت نشاطاً يوماً بعد يوم وسارت على شاطئ البحر يتبعها طفلها وتوجهت إلى مصنع الملابس وبجانبها راضى يلهو سعيداً بالقرب منها، دفعها هذا الإحساس الجميل بالشفاء من مرضها إلى التحسن الواضح فى حالتها النفسية فاقتربت من هشام وأسبغت عليه من حباها وأشبعته جسدياً وروحياً، انعكس هذا على الشاب الذى هبطت عليه السعادة بعد أن شعر فى فترة ما من حياته بأن قصة حبهما ذبلت وأصابها الكساح كما أصاب زوجته.

صانع الفخار الماهر استغل هذا الحدث فصمم العديد من التصميمات والتي تظهر شابة جميلة ومعها طفلها الصغير ثم تصميمات لتلك الجميلة وهى ترقص رقصاً بارعاً وعرض هذا على هشام الذى أسعده هذا التصميم فأبدع هو

الآخر رسماً وألواناً مما أبهر السيدة كارين التي أصبحت تمتلك تصميماً جديداً من وحى الواقع التي قررت أن تشترك بعدة قطع منه فى مهرجان الفن فى هولندا كما قررت التقاط بعض صور شخصية لبثينة بعد شفائها مع الحصول على صور أخرى لها وهى ترقص برشاقة وإبداع وطلبت من هشام بأن يحضر صديقه المصور عدة مجموعات من تلك الصور التى التقطها واشترك بها فى المسابقة لأنها سوف ترفق تلك الصور بالمصنوعات الخزفية حتى يشاهد الزائرون أنها حقيقة وليست خيالاً ليكون هذا أكبر دافع لقيامهم بالشراء.

اقترب موعد حفل استقبال مجموعة أطباء قصر العيني ومراقبيهم سواء من التليفزيون أو الصحافة وأثناء هذا وصل خبر وفاة "مستورة الحمقى" واستقبله الناس فى القبيلة كأنه شىء عادى لما تتصف به من تصرفات رعناء ولكن بثينة بكتها رغم أنها لم تشاهدها وحزنت على ابنة شقيقها التى أصبحت يتيمة دون أم وكيف يتصرف شقيقها فى تلك المأساة .. توجهت إلى زوجة الشيخ لتعلم ما حدث وهل أصيبت بمرض وما سبب الوفاة؟ لكن زوجة الشيخ أوضحت لها أن سبب الوفاة انفجار لغم أرضى من مخلفات جيوش الحلفاء التى حاربت فى تلك المنطقة عام ٤٢ والسبب فى الانفجار أن بعض الأغنام ضلت طريق الرعى واتجهت إلى داخل حقل الأغنام التى تعرف مستورة كل شبر فى تلك المنطقة وأسرعت لإنقاذ تلك الأغنام قبل أن يطولها أى اذى ولكنها لم تستطع حيث انفجر لغم بإحداها بعد أن داسته الأغنام بأقدامها وطالت مستورة بعضاً من شظايا الانفجار فحملها زوجها إلى خيمتهم وأقبل بعض البدو بالمنطقة على صوت الانفجار ولكنهم لم يستطيعوا فعل أى شىء لها وأسلمت الروح ولسانها لم يهدأ بمطالبة زوجها فاروق بالمحافظة على ابنتهم وأن يعود بها إلى القبيلة تاركاً هذا المكان الموحش.

استقمرت بثينة من زوجة الشيخ، هل سيحضر فاروق وابنته إلى القبيلة؟ أجابت بأن زعماء القبيلة يتشاورون في الأمر الآن وسوف يعرضون عليك الرأي، هل توافقين على عودة شقيقك وابنته أو يظلا في الصحراء؟ دمعت عيون بثينة قائلة: أرجوك أخبرى الشيخ خير الله أن تسمح القبيلة بعودة أختى وابنته، قبلتها زوجة الشيخ وتعيد على مسامعها عبارات الثناء على رقة قلبها تعهدت بثينة أمام زوجة الشيخ بأنها سوف تتولى رعاية ابنة شقيقها هكذا طويت صفحة من مأساة فاروق وزوجته وأصبح أمامه مستقبل جديد ينتظره داخل القبيلة.

بعد أسبوع حضر فاروق ترافقه ابنته التي حرماها القدر من أمها، فكر هشام فيما حدث لزوجة فاروق وابنته قائلاً بأن القاتل الحقيقي هم من زرعوا تلك الألغام في أرضنا ولم يتحملوا مسئولية إزالتها.

استقبلت بثينة ابنة شقيقها بكل حب ومودة وكان باديا على فاروق آثار العامين اللذين قضاهما في الصحراء وقد كسرت شوكته وأصبح مطأطئ الرأس شبه ذليل وأثر هذا في نفسيته كثيرا حيث ذرفت الدموع الساخنة على حال شقيقها الذي ارتدى على قدميها طالبا منها أن تغفر له سلوكه كما طلب منها أن توافق على أن يتوجه لزيارة أمه التي أصبحت وحيدة الآن إلا من زيارات قصيرة من ليلان أو سحر ولا أحد يقوم علي رعايتها لأن هذا واجبه حيال أمه خاصة بعد أن تقدم بها العمر.

أخيرا عاد فاروق من تجربته الأليمة إلى القاهرة إلى إحدى العمارات بالمساكن الشعبية والتي أهدت محافظة القاهرة أم الملكة شقة عندما اشكت للمحافظ سوء وضعها المادى والصحى، دفع هذا الحادث بثينة إلى أن تنتبه لإهمالها أمها وإنما غير بارة بها رغم ما أصابها كما أنها شعرت بتأنيب

الضمير وشعرت بإحساس بالذنب فليس هكذا يعامل الأبناء آباءهم خاصة بعد أن يضع العمر والصحة والمال، قررت بينها وبين نفسها أن تنهج نهجا آخر بعد ما شعرت به من مأساة شقيقها، الآن ترعى الطفلة وأطلقت عليها اسم فردوس وأعدت لها شهادة ميلاد باسم والديها، حيث لم تكن قد سجلت، هكذا ظهرت فردوس الصغيرة إلى الوجود تعيد اسم الجدة الكبرى وأكد كل من شاهد الطفلة بأنها أخذت ملامح كثيرة من عمته بثينة وأسعدها هذا قائلة: إنه لفخر لى أن تكون ابنة أختى شبيهة لى، قابل هشام هذا الصنيع بسعادة بالغة رغم ضيقه السابق من تصرفات فاروق.

مهرجان الملكة

استعدت قبيلة الشيخ خير الله لحدث مهم؛ الاحتفال الخاص بالملكة بثينة والذي سيقام بقريتهم صباح الخميس .. تقاطرت السيارات نقل الضيوف إلى قرية الملكة واستقبلتهم لافتات ترحب بهم مع وجود عدد من الشباب لتقديم يد المساعدة لأى منهم حيث كانت الوجهة هى منتجع العلمين السياحى وكان فى استقبالهم كل من هشام والسيدة كارين والشيخ خيرالله مرحبين بالضيوف وقامت كارين بتوزيعهم على الأجنحة والغرف للراحة من عناء الطريق.

عصراً أعدت موائد الطعام على الطريقة البدوية، طبالى من الخشب ووسائد يستريحون عليها وصوانى كبيرة الحجم ممتلئة بالأرز المطهو المغطى بقطع من لحم الماعز والأغنام المشوى .. تهافت المدعون على الطعام سعداء بتلك النوعية الجديدة عليهم سواء فى أسلوب التقديم أو طريقة الطهى والإعداد التى لم يألفوها من قبل بالإضافة إلى روعة وجمال المنطقة، فالصحراء جنوباً تتخللها بعض المزروعات من أشجار النخيل والزيتون وفى الشمال يقع البحر الأبيض مباشرة بمياهه الصافية والتى كانت كليوباترا ملكة مصر الفرعونية تأتى لهذا المكان لتستحم وتستجم على بعد عدة كيلومترات وفى منطقتها المسماة باسمها "حمام كليوباترا".

قبل الغروب حضرت بثينة بعد أن تكفلت إحدى السيدات برعاية كل من راضى ابنها وفرديوس ابنة فاروق شقيقها .. توجهت بثينة إلى مجلس الضيوف بالخيمة المعدة لذلك ناصبة قوامها الساحر وقليلاً من المكياج وفستان حديث يظهر بعضاً ما خفى على الآخرين من روعة الخالق فى هاتين المساقين العاجيتين وعلى وجهها ابتسامة السعادة والرضا والصحة والحيوية التى تتمتع بها.

شهق العديد ممن شاهدوها لأول مرة خاصة فى قسم الأمراض الباطنية والذين شاهدوها قبل ذلك وكانت حينها تشبه مومياء قبل تحنيطها وآخرون شاهدوها لأول مرة خاصة زوجة الطبيب وابنته والذين لم يروها قبلاً وكانت تلك أول مرة يرون وجهها الحقيقى وليس الوجه الذى يظهر فى تلك الصور بالجراند أو على شاشة التليفزيون أثناء الحديث بعد فوزها بلقب ملكة جمال مصر .

وقف الجميع مرحبين بها واستقبلها الأب الطبيب مرحباً كما احتضنتها وقبّلها بحرارة زوجة الطبيب وابنتها ثم استأذنت منها بثينة متسائلة: هل يمكننى معانقة أبى؟ ابتمت السيدة مرحبة قائلة: طالما أنه الأب فهذا جائز جداً، اندفعت إليه تحضنه شاكرة حُسن صنيعه معها ومع زوجها طالبة منه استمرارية تلك العلاقة الأبوية التى حُرمت منها صغيرة وكبيرة، وافق على طلبها وعيناه تملؤهما الدموع والسعادة والفرحة تطل منها قائلاً: ابنتى بثينة إننى أحبك كما أحب ابنتى "تسرين" وهذا الزوج العظيم أحبه كما أحب ابني "مصطفى" وابنك راضى أحبه كأنه حفيد لى رغم اننى لم أنل شرفاً أن أكون جداً بعد، لا أستطيع أن أعبر عن مدى فرحتى بمكالمة هشام، كنت مثل الطفل فرحاً ولا أستطيع التصرف، نحن نعلم أنه من الصعوبة بمكان أن يحدث هذا لولا قدرة الله وحكمته وقد ساعدنا أباؤنا وزملاؤنا أطباء قسم الأمراض النفسية فأوضحوا أن الخطر الدايم للوليد راضى جعل الأم فى حالة صراع مع الحياة من أجل ابنها تريد الوصول إليه وإنقاذه ومقاومة الموج، هذا دفع بكل حواسها إلى أن تندفع لمساعدتها فى خوفها وحبها لابنها وفى ذات الوقت تدفقت الدماء التى أدت إلى تمدد الأعصاب وتقويتها فشدت من أوتار الساقين لتجعلها قادرة على السير .. لا بل الجرى بأقصى سرعة لتصل إلى فلذة كبدها

وكان هذا هو الدافع القوي للحياة والذي أزال حالة الخوف الكامن في عقلها الباطن خاصة بعد أن أمنت شر عائلتها بزواجها من هشام وبعد أن زال خطر الشقيق بزواجه ونفيه داخل الصحراء والأهم من كل هذا هؤلاء القوم المخلصون المحبون الذين وقفوا بجانبها وهم مستعدون دائماً لذود عنها.

أيها المادة ما حدث منذ أكثر من شهر ما هو إلا إعجاز إلهي وليس طبي، فقدرت ما محدودة بجوار قدرة الخالق العلى القدير ونحن لم نقابلنا فى أعمالنا طوال ثلاثين عاماً مضت حالة مثل حالة ابنتي بثينة.

دوت عاصفة من التصفيق سواء من زملاء المهنة أو من البدو أو الضيوف الذين كانوا يسمعون منصتين وكان الوفد الإعلامى يسجل كل شىء دقيقة بدقيقة.

قدمت المشروبات وأثناء ذلك تقدمت فرقة الفنون الشعبية لأبناء قرية الملكة بعدة رقصات توضح مجتمع بدو العلمين وأسعد ذلك الضيوف خاصة عندما قامت السيدة كارين فى الفاصل بين الرقصات وأخبرت ضيوفها بأن بثينة هى التى قامت بتكوين وتدريب تلك الفرقة وصممت رقصاتها وهى مريضة ومن فوق الكرسى المتحرك .. صفق الحضور وقامت ثلاث فتيات على مستوى عال من الجمال بتقبيلها وتعريفها بأنفسهن وتبين أنهن المتسابقات المتنافسات فى المسابقة.

وقفت إحداهن تتحدث قائلة: انا وزميلاتى اللاتى كنا نتنافس مع بثينة لقد حضرنا اليوم لنشاهد هذا الجمال المصرى الطبيعى ونبارك لها ونشد من أزرها فنحن لم نقدم لها التهئة يوم فوزها، إنه لأمر عادى أن يفوز هذا أو ذاك ولكننا حضرنا اليوم مع الوفد الإعلامى لنبارك لها استعادة صحتها ثانية ونحن الشابات نعلم مدى حرمان الإتمان من مثل تلك النعمة، نعمة السير على

قدمين صحيحتين .. صفق المدعوون لهن وعلى روجهن العالية حيث لم يمنعهم عدم الفوز عن تهنئة وتقدير المنافسة لهن.

استأذنتهم بثينة بأنه بتلك المناسبة تود الترحيب بهم بنفسها وتبين لهم ولجميع المشاهدين أمام شاشة التليفزيون أو القراء أن الله من عليها بالصحة والسعادة، أشارت لبعض العازفين بالعزف فتتامي لأسماع الضيوف أنغام القطعة الموسيقية "تمرحنة" والتي رقصت عليها الراحلة نعيمة عاكف، بدأت بثينة فى الرقص؛ هذا الرقص الذى أسكن الجميع رجالاً ونساء عرفاناً بنعمة الله عليها بالصحة أولاً ثم برقصها البارح ثانياً حيث قال المخرج لمساعدته "والله كأني أرى وأشاهد الراحلة نعيمة عاكف" .. انتهت الرقصة بين تصفيق وهتاف الجميع حيث أسرع إلىها كارين تقبلها قائلة: جمال رائع عروس بهر" . مما أضحك جميع الضيوف.

أوقدت نيران الشواء حيث أحضر مساعدو الشيخ خيرالله الخراف المذبوحة والمعدة للطهى مسبقاً فقاموا بشيها أمامهم والضيوف جالسون يتسامرون فى شتى الموضوعات وتقدم لهم أكواب الشاي العربي التى تصنع فوق نيران الخشب والتى لها مذاق خاص .. أضفى هذا الجو العام للحفل بالمعادة على الجميع مع تتامى إلى أذانهم أصوات هدير موج البحر انتهت عملية الشواء وقام الحاضرون حاملين أطباقهم الفارغة متجهين لأحد رجال البدو الخبير فى هذا العمل وعلى كل ضيف أن يختار القطعة التى يرغب فى تناولها فيقطعها له ثم يتجه بعد ذلك لبعض أوانى بها أطعمة سواء أرزا أو مشهيات .. استمر هذا السامر أو هذا العرس البدوى حتى انتصف الليل.

اليوم التالى كان مخصصاً لزيارة أنشطة القرية والتجول بها حيث

قام الضيوف بزيارة مركز كارين للفنون وأعجبوا جميعا بما شاهدوه.
ظهوراً توجه الضيوف إلى بلاج الملكة المقام أمام منزل الزوجين هشام
وبثينة وتدافع البعض خاصة من الشباب إلى التمتع بمياهه الفيروزية اللون
والمياه الهادئة وشاهدوا وعاینوا مكان الحادث الذى تعرضت له وأدى فى
النهاية إلى حدوث تلك المعجزة، أثناء ذلك قامت بثينة بشرح ووصف ما قامت
به وعبرت عن هذا بفيض من مشاعرها الذى تأثر بها السامعون.

أعد طعام الغذاء بنفس طريقة الأمس وبعد الانتهاء من تناوله قام
المصور الفوتوغرافي الفنان الذى كان السبب الأول فى إيقاظ تلك الحملة من
الشهرة على مستوى الوطن بإشباع غريزته فى التصوير ولم يفته أيضا أن
تحصل بثينة على بعض اللقطات التى ظهرت بعد ذلك على صدر الصحف
والمجلات وأشاد بها النقاد وأدت إلى زيادة العروض عليها سواء من الإعلانات
أو السينما.

فى المساء أقيم حفل مماثل للأمس ولكن ما زاد عليه هو رقصات الخيل
وكان عرضا بديعا ألهب استحسان الضيوف جميعهم كل هذا صب فى
مصلحة ومنفعة كارين التى لم تتوان عن إظهار جمال القرية خاصة أمام
هؤلاء الضيوف من صفوة المجتمع وما يرافقهم من إعلام وهى التى تعلم أكثر
من الآخرين مدى أهمية الاعلام وكانت تحدث نفسها: إعلان بدون أجر
وبدون ترتيب.

صباح السبت غادر الجميع القرية راجين أن تواتيهم الفرصة لأية إجازة
مقبلة لقضاء عدة أيام بين ربوعها ووعدتهم كارين بأنهم سيلتقون كل رعاية من
أبناء القرية خاصة بثينة وهشام مما أسعد الضيوف.
عادت القرية إلى هدوئها .. أما الضيوف فانصرفوا وكلّ يتحدث مع

الآخر قائلاً: إنه لن ينسى تلك الأيام الجميلة والحدث والحديث الذى قمنا به مع بثينة حيث إن حديثها وشرحها ليوم النوة القاتلة قد أثار شجونهم وأحاسيسهم ومشاعرهم وهم يشاهدون المنطقة وأين كانت تجلس بكرسيها وأين كان الطفل وقت اندفاع الأمواج، وما حدث من صراخ وطلب النجدة دون مجيب أو لعدم وجود أحد بالمنطقة.

بدأ الصديق الصحفى في نشر التحقيق الإخبارى الذى أثار مشاعر الناس كثيراً وتدافع المعجبون والباحثون عن المغامرات إلى التهافت على شراء الجريدة التى أفردت صفحة أسبوعيا لعرض قصة وحياة بثينة وما لاقته وعانته فى حياتها حتى وصلت إلى ماهى عليه الآن، كما كانت صور المصور البارع فى صدر صفحات الجريدة وأعجب بها الناس كثيراً كما عرضت المجلة التى تصدر عن نفس دار الصحيفة صوراً بألوان جميلة لها ولمنزلهما المطل على شاطئ البحر وقد استهوى التصميم والمكان بعض عشاق الهدوء والابتعاد عن الضوضاء فسارعوا لشراء قطع أراضى هناك لبناء فيلات أو شاليهات كل حسب إمكانياته وأدى هذا إلى رواج فى المنطقة وارتفعت الأسعار وزاد الإقبال على منتجات القرية.

شعرت الحكومة بنبض الجماهير وأن تلك القصة المؤلمة والتى انتهت بنجاح وسعادة وفرحة للجميع وأدخلت السرور والبهجة إلى نفوسهم أو كما قال أحدهم إنها عودة الروح .. عودة روح المصريين للتفاؤل والحب والذى يصبح الدافع الأكبر للعمل والقتال أمام العدو .. نجحت هذه الرواية فى تحقيق ما فشلت فيه الأجهزة المسؤولة ولذا تركوها للناس تتعاطف وتتجاوب معها مما ساعد فى عودة الحب للظهور مرة ثانية كما لوحظ إقبال الشباب من الجنسين على علاقات الحب والزواج فظهر هذا على الجنود حيث يعود الشاب المجند

من جبهة القتال فيجد الحبيبة في انتظاره تسمعه أحلي الكلمات دافعة بدماء الشباب إليه ليعود ثانية إلى وحدته العسكرية تشمله السعادة والأمل وأنه على أتم استعداد للدفاع والنود بروحه ليس عن وطنه فقط ولكن أيضا عن حبيبته التي إذا ترك العدو يهزمه فيصل إليها .. هكذا فهمت القيادة السياسية وضربت على هذا الوتر الذي هو قريب من قلب كل إنسان ولا يفهم الجميع الأناشيد التي تتادى بحب الوطن والدفاع عنه بالغالى والنفيس ولكن إذا ترجم هذا الحب إلى شئ ملموس وهو الحب سواء للحبيبة أو الأسرة أو الممتلكات فيكون أسرع فى رد الفعل وأشد قوة ولهذا انهالت الاتصالات على إدارة التليفزيون لإعادة إذاعة احتفالات بثينة أو الملكة.



الوفاء بالوعد

طلبت بثينة من هشام أن يتوجها لزيارة موقع حبيهما الأول ويرفقتهم كل من فريوس وراضى الصغير، فهذا هو موقع الحب والمتعة التي يحيا بها أحباؤهم بحى بولاق أبى العلاء كما ذكرته بوعدهما لعم فخرى هذا الرجل قليل الكلام كبير المقام والذي حصل على وعد منها بعد أن يمين الله عليها بالشفاء أن يشاهد الاثني يلهوان بالدراجة مثل سابق عهدهما .. لقد وعدناه وقد أنعم الله بنعمته علينا فقد آن الأوان أن نفى بهذا الوعد.

استمع إليها هشام بعقل مفتوح وقلب سعيد وطار مع أفكاره فيما نقول حيث إن هذا واقع وقد قدما هذا الوعد وأنه من المهم أن تفى بثينة بوعدها، أخبرها بأننا مقبلون على شهر رمضان المبارك، تساءل: هل نساقر إلى بولاق الآن أم ننتظر حتي نهاية هذا الشهر؟ أجابته: إنه يسعدها أن تقضى هذا الشهر الرائع فى منزل الجدة ولذا فهي تريد النزول قبل رمضان بأسبوع وتعود بعد عيد

الفرط .. هتف هشام قائلاً: إن هذا سوف يطير بعقل كارين .. ضحكت وهي تخبره: أبدا ، إنها لن تشعر بضيق فأنت متفان في عملك ويومياً تعمل أكثر من عشر ساعات .. وافقها الرأي على أن يخبر كارين غداً بما انتواه هو وبثينة، مجرد عرض هشام وافقت كارين على تلك الإجازة.

وصلت الأسرة الصغيرة المكونة من أربعة أشخاص حيث أضيف إليهم ابنة فاروق واستقبلتهم العمّة سندس بسعادة وفرح بالغين خاصة عندما علمت منهما بأنهم سيقضون شهر رمضان معها حيث قالت سيعود الدفاء إلى منزل أمى ثانية وأتأول طعامى مع أحيانى بدلاً من تناوله بمفردى طوال السنوات السابقة مساء حضر المعلم إلى دكانه وشعر بأن شيئاً ما فى منزل الجدة فأرسل بجاسوسته سارة التى أطلقت صرخات السعادة والفرح، أسرعت تطل من الشباك لتعلم المعلم وبطانته بوجود الملكة وهشام بالمنزل حيث هلك الرجل طالباً تطيق الزينة فى الشارع والتى قام بها الأسطى ماهر شقيق مريم زوجته ووصل الخبر إلى الشيخ حسنى حيث حضر دون دفاثره شاكرأ المعلم حبشى أنه أسهم فى الاحتفال بقدوم شهر رمضان وأثار هذا غيظ المعلم قائلاً له:

. راسك الفاضيه عايزة تتشحن زى البطارية وناوله ضربة رأس مما دفع بهشام للنزول ومحاولة إفاقته ولم يستطع وحاول عجور بسحر عطره دون فائدة وعلمت كل من المقطم وجاردن سبتى بما حدث لبعطن فحضرت النسوة وعندما شاهد المعلم أم خميس قادمة مثل الكراكة فى الشارع أسرع بالهرب خوفاً من عاقبة جلوسها فوقه مما دفع بها لأن تفرغ شحنة غضبها فى الأسطى عجور الذى كاد أن يلفظ أنفاسه لولا تدخل هشام وبثينة شخصياً لأصبح من الهالكين .. أما لواحظ "جاردن سبتى" فقد أقسمت برأس أبيها المعلم توفيق الذكر أكبر حانوتى فى المنطقة أن يكفن حبشى هذا الأسبوع ودافعت نساؤه

عنه وقام جدل تطور إلى شجار وجذب الشعور ومعركة نسائية استخدم فيه الصراخ والوعيل وتقطيع الملابس وظهور أشياء تعجب الرجال. انتهت المعركة بظهور المعلم طالبا من حسنى أن يشد حبله حيث لديه تعميرة لوز وصلت له هذا اليوم وسيكافئه بتعميرتين من أجل خاطر عيون نسوانه الحلوين، هكذا عاد الصفاء والعناق بعد الصراخ والوعيل وتقطيع ملابس لواحق.

جلس هشام بداخل منزل الجدة محدثاً كل من عمته وبثينة وهو مازال في دهشة من أبناء الحارة الذين يكون مدخلهم للحب هو العراك والشجار ولا بد من وجود النساء في كل عركة خاصة الشيخ حسنى الذى يأتى ليعكنن مزاج المعلم حبشى بينما عجز يوضح للشيخ حسنى:

. ما هو أنت عارف أن حبشى قبطى، يعنى لازم يا شيخ حسنى تضايقه وتقله عاملها علشان رمضان!! تضاحكوا حين سمعوا المعلم حبشى يقسم بالعدرا أنه سيعلق تلك الأنوار طوال شهر رمضان وأنه سوف يصوم من الصباح حتى المساء، هلل الناس بالحارة ونظرت بثينة إلى هشام قائلة:

. ما فيش حاجه اسمها قبطى ومسلم .. كله فى بعضه .. عايز تحب مصر خدها شروة على بعضها ،بالشارع هلل الناس للمعلم حبشى الذى قرر أن يقيم الأنوار طوال الشهر الفضيل وأن يقوم بالصيام حيث ضحكت نساؤه وهن يخبرن الناس:

. هو حيصوم لأنه بيكون نايم؛ هو عمره راح الكنيسة ، زمجر المعلم لكن دون خرابيش، أقبل عليه عجزو شاكر ما يقوم به وسأله:

. يا ريت يا معلم تبجبح ايدك شويه وتوزع زكاة رمضان بالمرة، نهض المعلم وضربه ضربة رأس قائلاً:

. هو انا فاتحتها تكية يخرب بيتك على بيت حسنى، حاول اولاد الحلال إفاقة

عجور دون جدوى وطرقت فى رأس وديع فكرة فأسرع إلى عجور:

. الحق ياعم عجور، فيه واحد سرق زجاجة ريحة من الدكان، تلك كانت كلمة

السحر فهب عجور خوفاً من سرقة أسرار أبحاثه الطويلة فى تركيبات عطوره

التي لا تباع .. وأسرع إليه المعلم مقدما اعتذاره.

. خلاص يا عجور، حاعمل بوصيتك، وقف عجور فى الشارع قائلاً:

. يا عالم يا خلق ، سمع هووووس .. المعلم حيوزع زكاة رمضان.

هللت جموع المتواجدين ولكن المعلم أوضح:

- أيوه .. وحب .. كل واحد غلبان حديله تعميرة تبسطه طول العيد!!! .. آه

معلوم أنتم برده ولاد حنتى، ضحك هشام قائلاً:

. المعلم منميش التعميرة .. تفتكرى كان بيدفع مصاريف وديع فى المدرسه

قلوس والا تعميرة؟ ضحكت بثينة وهى فى غاية السعادة وأخبرته أنها عادت

إلى مكان الحب ومهما يقال فيه ومهما يكون أقل نوقاً أو تحشماً لكن له مكانة

فى قلبى ولا أنساه أبدا.

لم يتبق على نهاية شهر شعبان إلا ثلاثة أيام قرر فيه الزوجان أن يوفيا

بوعدهما للعلم فخرى حيث لم يشاهدها جالسا كعادته فى الشارع وعلمنا من وديع

أنه مريض لكبير سنه وأنه قليلاً ما ينزل ويجلس كعادته وهذا أعطى رجال

المباحث الفرص المتعددة للقيام بغارات على حبشى، توجهوا لزيارته واستقبلهما

الرجل بكل سرور وسعادة وأخبرهما أنه كان يتابع معجزة شفاء بثينة ثم فوزها

بذلك اللقب التى تتمنى أية سيده أو أنسة أن تفوز به.

استفسر منه هشام عن قيمة هذا اللقب .. أجابه: بأنه لقب يحظى بقبول

لدى كل السيدات وأى سيده تتمنى هذا ومن منا يكره بالأ يكون جميلاً وسيما

معافى وصغير السن .. هل شاهدت مثل هذا؟ لا يوجد، حتى أم خميس تتمنى ذلك!! أضحكهما هذا التشبيه، هنا قالت له بثينة: لقد جئت أطمئن على صحتك وأعرفك بأبنى مازلت عند وعدى الذى قطعتة على نفسى ليلة زفافي أنا وهشام، ابتمم الرجل وأخبرها أنه لم ينس هذا الوعد وطلب منها هذا المطلب فى تلك الليلة حتى يبعث فى نفسها الأمل الذى كان واضحاً أنه بعيد المنال وطالما أن الله من عليك بنعمة الصحة فأنا منتظر تحقيق هذا الوعد أجابت: بعد باكر سنكون أنا وهشام على أهبة الاستعداد وشكراه وانصرفا عائدين إلى منزل الجدة.

مساء نفس اليوم حضرت مذبةة التلفزيون بمفردها فى زيارة تقارب وتعارف بعيداً عن العمل وعرفت منهما بقصة وعدهما لركوب (الدراجة) وأعجبتها الفكرة ليصبح مهرجاناً شعبياً يدفع الشباب إلى ممارسة تلك الرياضة التى ابتعد الكثير عنها بينما مازالت تمارس فى مختلف دول العالم المتقدم لأنها رياضة مهمة، طلبت منهما أن يعدا نفسيهما لأن تكون كاميرات التلفزيون حاضرة هذا الاحتفال وهذا بعد حصولها على تصريح من المسؤولين بذلك.

أعد المعلم حبشى مع توفيق أكس العجلاتى إجراءات المهرجان حيث انضم عدد كبير لهم سواء حبا فى المشاركة مع ابنة حارتهم والحقى أو السير فى ركاب الملكة والحصول على تعميرة من المعلم حبشى الذى شجعهم على ذلك.

صباح اليوم التالى حضرت مذبةة التلفزيون لمقابلة هشام وبثينة فى منزل الجدة وأخبرتهما بأن المسؤولين وافقوا على تصوير هذا الاحتفال الرياضى الاجتماعى وطلبوا من مديرية أمن القاهرة تعديل مسار حركة

السيارات طوال ساعتين فى طريق الكورنيش خوفاً على الناس الذين سيحيطون بالملكة وأخبرتةما أيضا أن الثلاث متسابقات اللاتى حضرن إلى العلمين سوف يتواجدن فى هذا السباق كما اتصل هشام بالصحفى والمصور ليخبرهما بهذا الحدث.

ظهر يوم الاحتفال والذى سوف يبدأ من أمام منزل الجدة متجها إلى كورنيش النيل من أمام كازينو الشجرة وهيئة الكتاب المقابلة له وستكون مسافة الاحتفال من كوبرى أبى العلا حتى كوبرى إمبابة ذهابا وإيابا ثلاثة أشواط وليس بغرض السباق أو السرعة فهو مهرجان احتفالى تسابقت فيه دور الدعاية لإقامة إعلانات على جانبيه.

الجميع على استعداد وسوف يشارك فيه أكبر عدد من شباب وفتيات الحى وعلى رأسهم حبشى ووديع وعجور والشيخ حسنى ولواظ ورينيه ومادلين وسارة وبعد أن استعد الجميع والكاميرات معدة للتصوير والعم فخرى مستند على ذراع أحد أبنائه حضرت أم خميس تريد الاشتراك!! أضحك هذا جموع الحاضرين ولكن بثينة تركت الدراجة وتوجهت للقائها وقبلتها واحتار توفيق أكس من أين يحضر بدراجة تتحمل هذا الثقل خاصة أنها لا تعرف قيادة الدراجات ورغم هذا مازالت مصممة على أن تشارك الملكة، وقفت أمام بداية السباق وعرقلته بجسدها البدين وصوتها العميق الخشن مهددة أى شخص يتحرك بدراجته سوف تدفع به بعيداً، حاول الشيخ حسنى إقناعها دون جدوى ووعدا بتخصيص هذا الأسبوع من أجل تسلق المقطم وأن المعلم حبشى سيزوده بالطاقة التى تمكنه من ذلك لكنها صممت.

حضر عبده الوزان "المعايرجى" وهذا ليس اسمه ولكنها مهنته واقترح أن يحضر التروسيكل الذى يحمل الحديد والموازين والتى يقوم بصنعها فى الورشة

من أجل أم خميس، هتف المعلم بأنها فكرة عظيمة تستحق مكافأة من العيار الثقيل وأسعده هذا وأحضروا التروسيكل، قام الرجال بمعاونة أم خميس فى تسلق التروسيكل وهكذا حُلت مشكلة أم خميس مع تعهد صادومه ورزق بدفع التروسيكل خلف المهرجان.

تحرك الموكب .. فى الأمام دراجة بثينة وخلفها الفتيات الثلاث وهن الأربعة يرتدين أجمل ثيابهن والتي تظهر جمالهن الحقيقي الذى أدهش المشاهدين وجعلهم يوقنون بأن بنات مصر بهذه الروعة والفتنة وهشام خلفهم ثم باقى أهل الحارة وفتيات كثيرات حضرن لهذا المهرجان لأنه يخص إحداهن.

سيارة التصوير التابعة للتلفزيون فى المقدمة أمامهم لتصوير الكادرات الخاصة مع بعض الكاميرات الجانبية والخلفية والتي تظهر باقى المتسابقين والمشاهدين الذين أعجبوا بهذا النوع من الاحتفالات ورغم برودة الطقس إلا أن الجميع حضروا وشاهدوا واشتركوا فى هذه الاحتفالية الكبرى وغطى هذا الاحتفال أيضا عدد من الصحف ومجلات المرأة والمصور الفوتوغرافى الذى كانت تلك المنطقة هى البداية لشهرته وشهرة بثينة.

بعض الميكروفونات تذبذب أغانى مختلفة سواء عاطفية أو وطنية لكن المهم هو الاحتفال وامتصاص ألم الناس الذى قارب صبرهم على النفاذ .. فقد توفى الزعيم جمال عبد الناصر منذ عامين ولم يلح فى الأفق بما يبشر بنهاية لتلك المأساة مع العدو الرياض شرق القناة ثم توالى وعود الرئيس السادات بعام الحسم دون بادرة توضح متى سيكون هذا العام.

انتهى الاحتفال الرسمى ولكن الاحتفال الشعبى مازال حيث عاد أبناء المنطقة إلى حارتهم يشاهدون العم فخرى يجلس كمسابق عهده على كرسيه

وبجواره ابنه وخادمه والفتيات وهشام يدرون من حوله تتبعهم أم خميس يدفعها عدد آخر من الشباب حيث صادومه ورزق أنهكهما دفع التروسيكل بتلك الحمولة وكل من اشترك في هذا الاحتفال قال إن أم خميس كانت أسعد الجميع وقد أطلقت العديد من الزغاريد التي كانت أشبه بصفارة القطار التي يطلقها قبل الدخول إلى المحطة.

همس عجور في أذن الحاج فخرى مستفسراً منه عن مدى إعجابها وسروره بهذا الاحتفال وهتف الرجل بأنه شعر بأن عمره عاد للوراء عشرة أعوام على الأقل ثم أكمل حديثه: والله يا عجور الواحد لو كان صغير كان أجوز التلات بنات الطوين اللي ورا بنتنا بثينة وأسعد هذا عجور وأبلغ تلك الأمانة للشيخ حسنى الذى ترك السباق متوجهاً إلى منزله لإحضار دفتر الجواز لتزويج عم فخرى ثلاث زوجات دفعة واحدة لكن المعلم أمسك به سائلاً إياه إلى أين تذهب تاركاً احتفال الملكة فأخبره بالخبر السعيد والذي أهاج المعلم وترك الاحتفال صائحاً:

. فيه إيه يا رجل يا نتن؟ كل حاجه عندك جواز وطلاق .. وماهى إلا لحظة . وقد سمع الجميع صوت إطلاق مدفع رمضان قبل الموعد وتلفت الجميع ليشاهدوا حسنى ملقى على الأرض من جراء ضربة رأس المعلم ما بين صراخ زوجته، توقف الاحتفال، هنا قال عجور احتفال الحارة بدأ وأضحك هذا الجميع حيث قال الحاج فخرى أكثر من عشرين سنة وأنا أشوف الحكاية بية كل أسبوع تقريبا وحتى لو مكنتش بالشارع أسمعها وأنا فى بيتى .. لم يمتنع الشيخ حسنى عن إثارة المعلم حبشى ولم يتنبه حبشى إلى ملعوب حسنى .. والنتيجة تعميمرتين غرامة وظلوع المقطم وزيارة جاردين سیتی .. خرج هذا التعليق من فم الحاج فخرى بين ضحكات واستحسان الآخرين حيث إنه رجل

عاقل قليل الكلام ولكنه قال: ما هي حكايتهم تخلى الحجر يتكلم.
أمضت الحارة ليلة باردة طقما ولكنها دافئة حباً واحتراماً حيث أبدلت
البيرة بالسودانى واللبن والغالبية من الناس تفرقز اللبن والسودانى والباقى يحتفل
على طريقتهم فى قهوة سعيد يا مسهرنى بتدخين التعميرة خاصة أن الشيخ
حسنى الذى فاز على طيب القلب المعلم حبشى وحصل على تعميرة اليوم
وهى خاصة بالمقطم ويعد يومين تعميره جاردين سیتی وأراد المعلم منعها عنه
حيث إن رمضان قادم ولكن الشيخ حسنى صاحب الحجة أخبره أن الله منحه
فرصة من أذان المغرب حتى قبل الفجر.

مساء اليوم التالى ظهرت الرؤيا وأعلن فضيلة المفتى أن غداً أول أيام
شهر رمضان المبارك وتبادل الناس التهانى من الشبابيك والرجال فى الطرقات
وأسرع الصبية والسيدات لشراء فول السحور، كما احتدمت المعارك بين النساء
وأزواجهن حول مصروف الشهر الفضيل الذى يجب زيادته لأنه شهر الصوم.
أما محطات الإذاعة فهى الأخرى بدأت فى بث أعذب الألحان التى
تنبه إلى حلول هذا الشهر المبارك: فهذا محمد عبد المطلب يغنى .. رمضان
جانا .. أهلا رمضان قولوا معنا .. أهلا رمضان .. أما المطرب خفيف الظل
محمد فوزى يغنى.. بشراك يا صايم .. عند الله .. لك اجر دايم عندالله ..
والثلاثى المرح يشدو .. وحوى يا وحوى ايوحى .. رحى يا شعبان .. ايوحى
وجت يا رمضان .. وسبحة رمضان بتلاته وتلاتين حبايه وغيرهم كثير وامتلأ
الشارع بالناس كلٌ يحمل سلطانية أو طبق لشراء الفول وأصبحت محلات
الفول التى تبيع منتجاتها صباحا هى الأنشطة والزحام ليلاً من حولها وعلق
البعض فوانيس الشهر الفضيل وأضاءت المساجد مآذنها وبعض المحلات
توزع إمساكية شهر رمضان والتى توضح مواقيت الصلاة ومحلات أخرى

عرضت المكسرات والحلوى والخروب والتين والمشمشية وعين الجمل والبندق والزبيب أما المعلم حبشى فشاهد لواحد تسير بخلاعتها المعهودة وأخبرها محذراً:

. من بكرة مافيش كده إلا بعد الفطار .

حضرت سحر لزيرة خالتها بعد أن علمت من الصحافة والتليفزيون بخبر الاحتفال التي قامت به الملكة على كورنيش النيل ورجحت بأن تكون شقيقتها فى منزل الجدة لما لهذا المكان من وقع السحر على قلبها وعقلها والذي يذكرها بكل ما هو جميل فى حياتها واستفسرت بثينة منها عن حال أمها فأخبرتها سحر بأنها وليلان يقومان بما يستطيعان معها ومع فاروق والذي أصبح زاهداً فى الحياة وأطال لحيته ويجلس دون عمل ولا يخرج إلا للصلاة والعبادة أو لشراء بعض احتياجاتهما وأخبرتها أيضا بأن حالة أمهم الصحية متردية ليس لمرض لكن لكبر السن وعدم وجود أحد يقوم بالأعمال المنزلية ويقدم لها يد المساعدة .. استمعت إلى حديث شقيقتها ودموعها تسيل على خديها ونهبها هشام بأن هذا خطر عليها ومن الواجب عليها أن تتحمل وأن غداً لناظره قريب كما زودتها شقيقتها بعنوان والدتها الجديد .

قبل ظهر اليوم التالى توجهت بثينة وهشام إلى عنوان أمها وبعد أن دقت على الباب فتحت أمها الباب تستفهم عن القادم ولم تتبين ملامح ابنتها بوضوح إلا بعد أن احتضنتها بثينة دامعة باكية وشاركتها أمها هذا الشعور ولاحظت أن حالتها سيئة سواء من عدم العناية بنظافة الشقة أو من أثر قلة المال فأخرجت بعضاً من نقودها وأعطتها لأمها بعيداً عن عيون هشام حيث كان مشغولاً بالحديث مع فاروق الذى أضناه الشوق لرؤية ابنته وحينما علم أنها عند خالته سندس فى بولاق انشرح صدره فقد تأكد من إمكانية أن يراها مساء بعد تناول طعام الإفطار .

غادرت بثينة منزل أمها حزينة وسعيدة فى وقت واحد، كان مبعث حزنها هو ما رآته رأى العين من حالتها السيئة هى وفاروق لكن ما أسعدها أنها قدمت مساعدة مالية أسعدت أمها كثيراً وتوجهت بدعائها إلى الله أن ينصرها ويفتح أبواب الرزق أمامها هى وزوجها وابنها خصوصاً بعد أن اطمأنت أمها على حال ابنة فاروق وأخبرتها بثينة بأنها أطلقت اسم جدتها فردوس عليها وأسعد هذا أمها التى كانت تترحم على نينة فردوس وأذرفت الدموع لأنها لم تكن ابنة بارة بها كما هو واجب عليها.

فى منتصف رمضان اصطحب هشام زوجته والطفلين لزيارة أسرته فى طنطا حيث أسعدهم هذا كما تذكر أيام الدراسة الثانوية وما كان يحدث له وأثناء سيره شاهد عيادة الدكتور حمدى صديقه الذى ساندته فى محنة بثينة وقام بزيارته فى منزله فى اليوم التالى بعد عودته من إيطاليا حيث كان سعيداً بهذا اللقاء بعد طول السنين وأخبره أنه كان على اتصال به عن طريق متابعة أخباره من التليفزيون والصحافة.

استمتع الزوجان بأيام شهر رمضان سواء فى الحى والحارة أو فى زيارات لمسجد الحسين ومنطقة خان الخليلى أو مسجد السيدة زينب وغيرها من مساجد أولياء الله الصالحين .. تقابلوا مع الأسرة الكبيرة للعمين أحمد ورجب وزوج العمه زينب على طعام الإفطار الذى جمعهم فى منزل الجدة.

علم هشام من والده أن أعمامه راغبون فى بيع نصيبهم فى أرض إرثهم عن جنته فردوس بالإسكندرية له وقد اتفقوا على السعر وبعد إجازة العيد سوف يلهى هذا الموضوع وسوف يسجله باسمه بحيث تكون القطعة كاملة له ولزوجته بثينة وتخصم من ميراثه بطنطا.

أثناء ذلك اتصل هشام بالأب الطبيب الذى أصر على أن يقوم هو

وبثينة بزيارته فى منزله لتناول طعام الإفطار معاً فى هذا الشهر المبارك وزوده بعنوان المنزل وفى الموعد المحدد توجه الزوجان الشهيران إلى منزل الطبيب حيث استقبلهما بواب العمارة بترحاب نظراً لما تمثله بثينة من شهرة كبيرة وبداخل منزل الطبيب فوجئ الزوجان بعدد كبير من المدعويين وهم من الأطباء الذين لازموا فترة علاجها وسعدوا جميعاً بهما خاصة الأطباء الذين شاهدوا الفارق بين الحاليتين وقد أنعم الله عليها بالصحة والسعادة وبعد أمسية دافئة قدما فيه شكرهما إلى الطبيب الأب غادرا المنزل عائدين إلى منزل الجدة فى حى بولاق أبى العلا.

فى اليوم التالى اتصل الصحفى الرقيق القلب والقلم بمنزل الجدة طالبا من بثينة أن توافق على زيارة لملجأ للأيتام حيث قامت بزيارته مديرة تلك الدار وهى تطلب من بثينة الزيارة مراعاة لظروف الأطفال نزلاء تلك الدار، وافقت بثينة على الفور لما يمثله هذا الصنيع من معانى إنسانية رائعة خاصة أنها لم يسبق أن شاهدت تلك الدور التى ترعى الأطفال اليتامى أو اللقطاء.

فى اليوم المحدد توجهت بثينة برفقة زوجها إلى المكان الذى تقع به دار الأيتام وكان فى استقبالهما مديرة الدار والصحفى النبيل والمصور البار الذى تسبب فى تلك الشهرة .. استقبلتهم مديرة الدار وهى سيدة مثقفة تحمل فى قلبها كل معانى الرحمة والإنسانية وأخبرتهم وهم جلوس فى مكتبها أنها فكرت أكثر من مرة فى تقديم استقالتها من هذا العمل لما تكابده نغمياً حيث يشملها الحزن والألم لما يعانیه هؤلاء الأطفال الصغار الذين حرموا مبكراً من نعمة حنان الأب والأم ثم تراجعت لما يمثله هذا من هروب من المسئولية وأن استمرارها فى عملها سيدفعها إلى زيادة الرعاية والاهتمام بهم .. كان باديا على السيدة مدى ما تمثله من خلق ومعانى نبيلة بالإضافة إلى الوقار والحكمة والهدوء التى تتحلّى بها.

تجولوا فى الدار وكان بادياً على الأطفال ما نوهت عنه المديرية فى مكتبها حيث لاحظوا أن هؤلاء الأطفال غير الأطفال خارج الدار فهم ينظرون إلى القادمين بعيون زائغة خائفة وكل اهتمامهم منصب جهة المشرفة التى ترافقهم فلا إجابة إلا بإشارة منها وأثناء تحدث أى طفل لا ينظر إلى الضيوف بل إلى المشرفة .. الأطفال صامتون لا يلعبون ولا يضحكون .. تتوالى الجولة فى باقى أرجاء الدار حيث قسمت إلى أعمار .. فكل مجموعة متقاربة فى العمر تكون فصلاً أو عنبراً واحداً .. أثناء تناول الطعام ظهرت عدوانية بعضهم وتعديهم على زملائهم دون داع كما عزف بعضهم عن الطعام سواء لرداعته أو لضيق فى نفوسهم.

انتهت الجولة وعاد الضيوف إلى مكتب المديرية وقد فارقتهم الالتماسة التى كانوا يقابلون بها الأطفال بل أن الحزن كان هو السمة المائدة وقد أوضحت لهم المديرية ما يعانى به هؤلاء خاصة ليلاً حيث تزداد حالات البكاء والصراخ وعدم النوم المستقر، قالت إن السبب فى هذا راجع لشعورهم بأنهم مسجونون .. إن هذه الدور بهذا الأسلوب هى بعيدة عن الإنسانية لأن الأسباب مازالت موجودة وتتحصر فى نقطتين مهمتين (عدم تحمل المشرفات لضجيج الأطفال .. فأى إنسان لا يتحمل ثلاثة أو أربعة من أطفاله بينما العدد هنا يقترب من الأربعين وهذا ضغط نفسى كبير ثم السبب الأهم هو حرمانهم من حنان الأب والأم .. إنه شعور قاس) بكت بثينة بكاء شديداً.

غادروا الدار وأثناء وقوفهم أمام الباب الخارجى الحديدى شاهدوا الأطفال بالداخل خلف الباب ينظرون إليهم وعيونهم كلها لموع وحزن وألم، كان مشهداً مؤلماً على الجميع خاصة بثينة.

أمضت بثينة يومين ثم اتصلت بالدكتور أحمد جلال أخصائى الأمراض

النفسية وطلبت اللقاء معه لعرض حالة الأطفال فى دور الرعاية وأجابها إلى رغبتها حيث اتجهت إلى مكتبة وشرحت له كل ملاحظات زيارتها إلى تلك الدار وما تحدثت به المديرية وما شهدته وأرقت بعض الصور التى التقطها المصور الذى كان برفقتهم وأيد الرجل ما جاء بحديث مديرة الدار وما شاهدته وشعرت به بثينة، أوضح لها أن هؤلاء الأطفال ينضمون إلى فئة غير الأسوياء لأن هناك شرخا فى شخصياتهم وهذا الشرخ ناتج من حرمانهم من الحياة العادية التى يحيها الأطفال مع عائلاتهم دون التطرق إلى الناحية المادية حيث تكون الحالة المادية فى مؤخرة تلك الاهتمامات.

إذاً هناك شىء ناقص وغريب .. سيدتى أن هؤلاء الأطفال تتأبهم هواجس ونوبات وكل هذا ينعكس فى سلوكهم والذى نعتبره بأنه غير مبرر ولكننا كمتخصصين نجد أنه مبرر حيث الشعور بالاضطهاد والانزالية عن المجتمع.

وجهت سؤالاً إلى طبييها الذى كان رقيق درب علاجها النفسى أثناء وبعد خروجها من المستشفى .. سيدى الطبيب .. هل لو أخذنا هؤلاء الأطفال ووضعناهم فى رعاية أب وأم .. أى لكل أسرة طفل أو طفلان هل تتحسن حالتهم النفسية بما ينعكس على سلوكهم الحالى والمستقبلى؟

أجاب: لو استطعنا فعل هذا بطريقة تحافظ على مشاعرهم لحققنا نجاحاً لأننا وضعناهم فى الجو النفسى والأمرى الطبيعى.

وجهت سؤالاً آخر .. لو أنشأت دار رعاية مبسطة مثل عمارة سكنية وبها مجموعة من الشقق واستطعت أن أتفق مع بعض العائلات ذات المستوى الاجتماعى والمادى المحدود ولم يرزقوا بالذرية ونكون أسر ويحدث ترابط بين تلك العائلات كان هذه خالة وهذا عم وأن تقوم الأم برعاية الأطفال الذين

منضمهم إليها وترعاهم صحيا وتربويا تحت إشراف متخصصين وتعد لهم الطعام مثلهم مثل أى أسرة .. هل يصبحون أسوياء مقارنة بالآخرين؟ ابتسم الطبيب النابه لهذه الفكرة وأشار إلى أنها أصابت كبد الحقيقة ووصلت إلى الداء الذى ألم بهؤلاء الأطفال.

شكرته على نصائحه وتحليلاته وعقدت العزم على شىء ما .. أقامت بثينة طعام إفطار لكل من الصحفى والمصور بوجود هشام فى منزل الجدة وعرضت عليهم ما نتج من زيارتها إلى الطبيب أحمد جلال وما خرجت به من معلومات طبية، أوضحت كل ما قيل بما فى ذلك فكرتها التى عرضتها على الطبيب وأيدها فيها والتى تقوم على تشجيع بعض العائلات التى حرمت نعمة الإنجاب بأن تتكفل كل أسرة بطفلين ولد وبنات وأن تقدم يد المساعدة لتلك الأسر فى توفير فرص عمل لهم وأن تقوم الأم بواجبها كام وأن يقوم الأب بواجبه كأب، أسعدت الفكرة الجميع خاصة أن العلم قال كلمته على لعنان الطبيب لكن المشكلة ستصبح مادية فى المقام الأول، لكن بثينة التى حرمت من نعمة الأب والأم رغم أنها شاهدتهم وعاصرتهم ولكن هذا الشعور الظمان للحب العائلى لم تشعر به لولا جدتها الرحيمة وخالتيها لعانت مثل هؤلاء المساكين، أخبرتهم أنها تمتلك قطعة أرض سوف تبنيها لتبدأ بها هذا العمل الإنسانى.

لم يعارض هشام زوجته فيما قررتة وهو الذى شاهد وعاصر معها هذا الألم كما أنه أخبرها أنها زكاة عن نفسها وصحتها أن تقوم بمثل هذا العمل بعد مغادرة الضيوف جلست وفتحت حقيبتها تبحث عن شىء ما وقاجأتها العملة الورقية التى نفحها الرجل الطيب أثناء جلوسها على الكورنيش وهى كسيحة، عادت إلى الوراء تتمنى أن تشاهد هذا الرجل طيب القلب لتكافئه على

إنسانيته، حضر هشام وعرضت عليه العملة فقال لها احتفظي بها فهذا فال طيب.

لم تمض عدة أيام إلا وحضر مندوب من تليفزيون الجمهورية العربية المتحدة بخطاب من المدير المالى يخبر بثينة بحقوقها فى بث برامجها على قناة التليفزيون وما تستحقه من إعلانات واكبت إذاعة برامجها والمبلغ المقرر لها بعد خصم الضرائب المستحقة كان كبيراً لم تكن تنتظره أو تعلم عنه شيئاً لقد أرسل الله لها بالمال الذى سوف يساعدها على عمل الخير؛ حيث كان الله سامعاً قلبها ومطلعاً على ضميرها فأرسل إليها بالمال التى تحتاجه.

اليوم التالى توجهت إلى مبنى التليفزيون هناك تسلمت شيكا بمستحققاتها وغادرت المبنى كاسعد ما تكون عاقدة العزم على تنفيذ خطتها متمنية من الله أن يوفقها فيما تريد وتبغى كما شملت السعادة أيضا هشام ومن لا يسعد بعمل الخير، سار كل من هشام وبثينة من مبنى الإذاعة والتليفزيون فى اتجاه بولاق مروراً بمنطقة وكالة البلح والتى كانا يسيران بجوارها مرات عدة أثناء لهوهما وأثناء نمو قصة حبهم العذرية، توقفت ووضعت إصبع السبابه على فمها ونظرت إلى هشام قائلة له:

هشام! أرجو أن تساعدنى فى العثور على الرجل طيب القلب الذى نفحنى خمسين قرشاً منذ ثلاثة أعوام، ضحك من أفكارها وأخبرها بأن هذا مستحيل لأن الوكالة كبيرة ولا نعرف اسمه .. نظرت إليه نظرة الحبيبة وحدثته بطريقتها العفوية التى تؤثر فيه قائلة:

- كده ياوله مش عايز تساعد بسبب حبيبتك؟ انصاع إلى رغبتها ودخلا إلى دهاليز الوكالة مستفسرين عن الأماكن التى يتم تكسير الحديد الخردة بها وتجمع العديد من أبناء الوكالة للترحيب بالملكة واستضافهم أحد التجار

المشهورين الذى أطلق أعوانه للبحث عن الرجل المطلوب .. بعد حوالى نصف ساعة أقبل معاونون وأحضروا ثلاثة رجال تنطبق عليهم الأوصاف التى أدلت بها بثينة .. عمال بسطاء يقومون بالعتالة ويسكنون بحى إمبابة ولكنها لم تجد بينهم الشخص المطلوب .. صرخ المعلم فى أعوانه طالبا منهم إعادة البحث، تقدم إليه أحد الشباب وأخبره باحتمال أن يكون عم بخيت الذى قام بطرده المعلم درويش منذ ساعة .. أمرهم بسرعة البحث عنه .. دقائق وأحضروا الرجل حيث كان جالسا بجوار مطابع جريدة الأهرام يبكى سوء حظه .. شاهدته بثينة مقبلاً يتعثّر فى خطاه من المجهود والألم وكبر السن وعيناه دامعتان .. نهضت ترحب به وهو غير مبالي بها .. تحدثه وتذكره بنفسها .. بعد مجهود تذكرها مقدما اعتذاره لها بأنه جاء فى موعده وانتظرها لكى يعطيها ما وعدها به ولكنه لم يجدها وكررتها عدة مرات ولكنك لم تكونى موجودة يا ابنتي، وعد مني إذا تسلمت عملاً فسوف أوفى بوعدي، تنبه وأعاد نظره إليها مبتسماً مشيراً إليها .. الله أكبر .. ربنا شفاكى .. الله .. الحمد لله .. ربنا يخليك لأبوكى وأمك!! توجهت بالشكر إلى التاجر الهمام واصطحبت الرجل الذى عرفهم بنفسه .. بخيت مسعود:

- سأله هشام عما ألم به اليوم فأخبره بكلام مختصر بأن المعلم طرده من العمل بسبب سوء صحته وعدم قدرته على العمل خاصة أنه صائم الشهر الفضيل .. اصطحابه إلى منزل الجدة هناك قدمت له بثينة مبلغاً كبيراً من المال، رفض بخيت وأنه لا يقبل إحساناً .. نظرت إليه متسائلة: لماذا ياعم بخيت قدمت لى إحساناً؟ نفى هذا موضحاً بأنه قدم هدية بسيطة لابنته ابتسمت ابتسامة رائعة وأخبرته: عم بخيت، هذه هدية من ابنتك التى سبق أن قدمت لها هديتك، أعاد شكره ثانية رافضاً أن يكون بانسا وأنه سوف يعمل

اقترح عليه هشام بأن يعدوا له مشروعاً يعمل به، وافق على هذا واتفقوا على أن يكون هذا المشروع عبارة عن كشك قريب من منزله ليبيع بداخله بعض الأصناف البسيطة والتي تدر عليه دخلاً، كل شيء أصبح ميسراً بعد تدخل المعلم حبشى الذى طلب من أحبابه فى امبابه بإعداد كل ما يخض مشروع الكشك ودفعت بثينة تكلفة كل ما يلزم لهذا، هكذا كافأ الله هذا الإتمان البسيط على عمله الطيب أضعافاً مضاعفة.

أما عائشة فقد قررت أن تحتفظ بحفيدتها ابنة فاروق وهذا عبء بدنى عليها وهى سيدة مسنة وعرضت عليها شقيقتها سندس أن تحضر مع ابنها وحفيدتها لتعيش معها فى منزل الجدة وأسعدها هذا بدلاً من العيش منفردة مع ابنها ولا تستطيع أن تقوم على خدمتهم أما فاروق فمازالت حالة الحزن التى لازمته بعد فراق زوجته فى الحادث المأسوي تغلفه بجو من الألم والضيق ولا يجد عملاً وقال لشقيقتها بثينة إنه لا يجيد أى عمل سوى رعى الأغنام الذى مارسه، عرضت عليه أن يعود ثانية إلى العلمين وتساعدته فى توفير قطيع من الأغنام يعمل ويتكسب منه مثل باقى البدو ولكن المشكلة التى كانت تقابله هى كيف يترك أمه وابنته بمفردهما .. ساعدت الخالة سندس فى حل تلك المشكلة والتى أسعدت فاروق ولهذا قرر أن يعود ثانية إلى قرية الملكة كى تبحث له بثينة عن فرصة عمل فى مجال الرعى.

عاد الزوجان إلى حياتهما التى ألفوها فى قرية الملكة بالعلمين .. وانهمك هشام فى عمله راغباً فى أن يعوض تلك الإجازة الطويلة وبثينة هى الأخرى متعاطفة مع مجهوده كما أنها انشغلت بابنها راضى، تشاور كل من بثينة وهشام ومسز كارين والشيخ خيرالله فى فكرة إنشاء بيت العائلة "بديلا عن اسم الملجأ" .. قرروا أن يطلقوا هذا الاسم عليه وأعجبهم الفكرة وأيدها

المتخصصون والذين أكدوا على نجاحها ومن بينهم الطبيب أحمد جلال ولكن المشكلة التي واجهتهم تنحصر في نقطتين مهمتين وهما: موافقة أجهزة الدولة المختصة والثانية العثور على عائلات متطوعة لهذا العمل.

الحلم والحقيقة

هكذا أصبح الحلم حقيقة وساعدهم الله في مبتغاهم، قامت بثينة بزيارة إلى مكتب سكرتير عام محافظة مطروح بخصوص هذا الشأن مما أدى إلى قيام مديرية الشؤون الاجتماعية بالمحافظة بالتصريح لهم بإنشاء بيت العائلة كما وافقت مديرية الكهرباء وهيئة المواصلات والمجلس المحلي على توصيل المرافق إلى المشروع الاجتماعي المزمع إنشاؤه كما أرسل الصحفي الهمام بأسماء عدد من القراء إلى بثينة والراغبين في التطوع لهذا العمل النبيل.

عرض الشيخ خير الله على بثينة اسم أحد المقاولين من أبناء المنطقة وذى سمعة طيبة في هذا المجال وهو الذى أنشأ وصمم مركز الفنون للسيدة كارين، حضر المقاول ومعه بعض معاونيه لعرض اقتراحاتهم وتصميماتهم بعد أن أخبره خيرالله بالغرض من المشروع، كان أحسن تصميم أعجب بثينة ومسر كارين عبارة عن عمارات سكنية من ثلاثة طوابق وبكل طابق أربع شقق كبيرة المساحة ويحيط بكل عمارة سور ولها حديقة بها بعض الألعاب التي تخص الأطفال الصغار.. حددت التكلفة ولذا طلبت بثينة أن تقام عمارتان في بداية المشروع.. وهذا معناه أربع وعشرون شقة سكنية تسع أربع وعشرين أسرة وبكل أسرة ثلاثة من هؤلاء الأطفال.

لم تمض ستة أشهر إلا وكانت الإنشاءات قد تمت وأجهزة المحافظة أمدتهم بكل المرافق، قامت بثينة ومسر كارين بزيارة سريعة للقاهرة خلالها تم اختيار

أربع وعشرين أسرة بعد تقصى كل شىء عنهم بواسطة الصحفي الذى لم يبخل عليهم بأى خدمة يقدمها لمساعدة هذا العمل الإنسانى النبيل، أعدت العمارات للسكنى والمزودة بكل ما هو مطلوب للإعاشة ثم جاءت مرحلة الاختيار ولأن منطقة مطروح ليس بها هذا النوع من الأمراض الاجتماعية من ترك اليتيم خارج الأسرة أو الأطفال اللقطاء .. بنفس الأسلوب السابق وزيارة خاطفة لدار الأيتام التى تفجرت منها تلك القضية ولقاء مع مديرتها التى أعجبت بها الفكرة وكانت تتابعها على صفحات جريدة الصحفي الوطنى أخبرتهم أنه يمكنها مد يد المساعدة فى ثلاث نقاط محورية (اختيار المشرفات وتدريبهن واشترطت بثينة أن يكن من بنات منطقة العلمين، ثانيا أخذ موافقة الوزارة على نقل بعض الأطفال الأصغر عمراً لتنفيذ التجربة وأخيراً ندبها للعمل معهم عدة أشهر حتى تتأكد أن كل الإجراءات سليمة وتم تطبيقها) اقترح عليهم الصحفي بأنه سيتوجه ببناء لإحدى سيدات المجتمع التى ترغب فى الإشراف على تلك الدار حتى يكون هذا دافعاً للكثير من أبناء تلك الطبقة للتبرع لمساعدة الدار فى النفقات.

مضت أعوام ثلاثة على بداية العمل فى بيت العائلة وكان المشاهد والزائر لهذا البيت الاجتماعى لا يرى فارقاً بينه وبين أية عمارة سكنية فى أية مدينة صغيرة، فكل أسرة تهتم بأطفالها ويتنامى إلي أسماعهم كلمات الأطفال والنداء بابا وماما أو عمى فلان أو خالتي فلانة، كما أن الأطفال يلهون بما تم توفيره من ألعاب بالإضافة إلى أن كل أم كانت تذهب لشراء طعام المنزل وتعدده لأطفالها والأب يتوجه إلى عمله الذى استطاعت كل من بثينة ومسر كارين وهشام توفيره لهم؛ طلبت بثينة من الطبيب الرحيم أحمد جلال الحضور ومشاهدة ومعاينة بيت العائلة وإعطاء تقرير يوضح الفارق بين ما كانوا وبين ما أصبحوا، حضر الطبيب ومكث ثلاثة أيام وقام بالمشاهدة وعمل

الاستقصاءات التى تتم فى مثل تلك الأحوال وكانت النتيجة كما توقع، أطفال أسوياء مثل أقرانهم فى المجتمع.

هكذا نجحت التجربة ووفق الصحفى فى إقناع إحدى سيدات المجتمع المشهود لها بالعمل التطوعى وخدمة الآخرين بأن تتولى إدارة الدار بعد أن طلبت المديرية المنتدبة أن تعود إلى القاهرة حيث أسرتها فى أشد الإحتياج إليها وبعد أن بذلت من الجهد المضى فى دفع هذه الدار إلى نظام راق فى تعامل الأمهات والآباء مع أطفالهم المنتسبين لهم اجتماعياً حيث كانت تكثر من اللقاءات بهم وإعطاؤهم الإرشادات اللازمة لحسن سير الإدارة ومراعاة شعور الصغير مع نبذ كلمة ملجأ أو يتيم مما قد يعلق بأذهانهم ويجعلهم فى حيرة من أمرهم ويشعرهم بأنهم أقل من زملائهم .. وكان هذا هو النبراس الذى سارت عليه إدارة المدرسة الابتدائية، فالإدارة تعلم أن هؤلاء الأطفال مساكين عصف بهم الزمن سواء من حرمانهم من عائلاتهم أو ميلادهم غير الشرعى.

بعد ذلك قررت بثينة استثمار نصيبها فى قطعة الأرض التى تمتلكها فى الإسكندرية والتى كانت معروفة بأرض الملكة ووقفت فى بيعها بمبلغ كبير وبقيت قطعة الأرض التى اشتراها راضى والد هشام من أشقائه، كانت الفكرة التى نبتت فى فكرها هو إنشاء مزرعة لأشجار الزيتون حيث نجح هذا النوع من الزراعات فى تلك المنطقة وتحمل أجواءها الصعبة وندرة المياه بها خاصة صيفاً، عاونها فى ذلك الشيخ خيرالله حيث قامت بشراء قطعة مساحتها خمسون فدانا بمعاونة محافظة مطروح فى سرعة تسجيلها لتبدأ عملاً آخر للتنمية بغرض فتح آفاق عمل جديدة أمام شباب المنطقة خصوصاً أبناء بيت العائلة بعد أن يشبوا ويكبروا ويصبحوا مواطنين قادرين على العمل والإنتاج.

كان واضحاً للجميع ما تتميز به تلك الزوجة الشابة من حب وعطف

على الضعفاء أما عن علاقتها بزوجها فقد تطورت وأصبحت أشد حُباً وأكثر مما سبق فقد رزقا على التوالى بطفلتين جميلتين .. الأولى أطلق عليها اسم سندس والثانية أطلق عليها اسم زينب وهكذا أصبح فى منزل الزوجين كل من راضى وسندس وزينب ولحقت بهم فردوس ابنة فاروق والذى تولى الإشراف على مزرعة الملكة لإنتاج الزيتون كما صاحبها كل من الجدتين عائشة وسندس بعد أن تركتا بولاق أبى العلا لتجتمع عائلتهم فى قرية الملكة ولهذا السبب أقام هشام منزلا آخر بجوار منزلهم تعيش فيه كل من عائشة وابنها فاروق والحفيدة ويرفقتهم الخالة سندس وتحسنت الحالة الصحية للأُم عائشة وغادرتها الأفكار السيئة.

أوشك عام ١٩٧٣ على الرحيل وفيه انتصرت مصر على إسرائيل فى حرب رمضان المجيدة مما نفع الشعب إلى الانفراج النفسى .. فأخبار المعارك والانتصارات التى انتظرها الشعب المصرى ما يزيد عن السنوات الست حتى وصل إلى مرحلة اليأس وهاهو يستعيد وعيه وروحه الجميلة فخرجت المواهب والإبداعات من ألحان وأغان جميلة "على الربابة باغنى ويسم الله للمجموعة وغيرها من إنتاج عقول وقلوب فنانى مصر .. بعد أن خطط الشعب المصرى بقيادته الحكيمة لمستقبله مستخدماً قلمه الماهر البتار الجيش فى تمطير تلك الأسطورة الرائعة من انتصارات الحروب فى العصر الحديث .. أخيرا عادت الروح والأمل وقد كلف هذا الشعب المصرى الكثير من التضحيات البشرية والمادية تحملها بكل صبر .

أما عن المعلم حبشى فلم يرغب فى أن يبتعد عن الحدث والتعبير عن حبه له ومشاركته فيه فقد أجزل العطاء بالتعميرات المجانية ومنها تعميرة "ارفع العلم يا شيخ حسنى" وأضحك هذا أبناء الحى فهم يعلمون أن الشيخ حسنى

واضع علمه فى بلكوته لإعلام الآخرين بتواجهه كما أن سعيد "يا مسهرنى" أخبر المعلم حبشى بأن سبب انتصار الجيش على العدو هو أن القيادة المصرية العسكرية استوردت أطناناً من عطر عجور وقامت برشه على الجيش الاسرائيلى قبل العبور ووجد الجيش المصرى بعد عبوره أن جميع الإسرائيليين فى حالة إغماء من عطر عجور الفواح واحتج عجور على هذا مصمماً بأن يقذف سعيد يا مسهرنى بزجاجة عطر تجيب أجله واسترضاه المعلم حبشى وأخبره بأن تعميرة باكر سوف تحمل اسمه "عجور" وحن الرجل لهذا وكيف يكون موقفه بين الأوساط العالمية المهتمة بعالم العطور!!

مازالت وفود الزوار من دول أوروبا الغربية تتهاقت على منطقة الملكة وهم سعداء بما تحويه هذه المنطقة من بلاج رائع ومركز فنون كارين ومصنع الملابس ومصانع منتجات النخيل من عبوات تصنع من الخوص ومنتجات البلح فى صورة عبوات عجوّة بالإضافة إلى حفلات السمى التى تقوم بها فرقة الفنون الشعبية من أهالى المنطقة خاصة بعد تدخل قصر ثقافة مرسى مطروح بمدهم بمدربين وفنيين لهذا العمل وهم متخصصون فى تلك الفنون فزاد الإبداع وتنوع وتطور.

انتهى أحد أصدقاء "مسز كارين" من إقامة شبكة رى حديثه للرى بالتنقيط للتغلب على مصاعب رى مزرعة الملكة وقام بالتجارب الأولية التى أذهلت الجميع خاصة بثينة التى شاهدت ورأت كيف يمكن رى عشرة فدادين من الأرض فى عدة ساعات بكل سهولة ولا تحتاج سوى لمجهود بسيط فى إدارة ماكينة المياه وفتح محابس كل قطعة كما قسمها هذا الخبير.

بعد مضى ما يقارب الشهر على هذا الحدث الجديد شعرت خلالها بثينة وفاروق والعاملون كيف يمكن رى الأرض فى خمسة أيام ربا محكما ومقننا

دون مجهود يذكر مع حساب التكلفة التى خفضت إلى ما يقارب ٩٠% من التكلفة السابقة وترعرت النباتات بمرور الوقت وبعد عام تلاحظ زيادة فى معدل الإنبات والنمو بل وبدأت بعض أشجار الزيتون فى إنتاج بشاير الثمار .

أدى تركيب شبكة الري بالتنقيط إلى تشجيع بثينة بزيادة المساحة وقامت بإضافة خمسين فداناً أخرى للمساحة السابقة مع التركيز على زراعة أصناف الزيتون المنتجة للزيت أكثر من أصناف النخيل، وقف الخلق ينظرون جميعاً كيف تبنى قواعد المجد بعقلها والجميع ينتظر النتيجة ولا يغامر أحد منهم حيث إنهم معشر البدو يعلمون ماهى الصحراء دون مياه.

توالت منجزات هذا المشروع خاصة بعد أن انتشر هذا النوع من الري وأدى هذا إلى تكالب الناس على شراء الأراضى والمغامرة فى مجال الزراعة الصحراوية وسبقتهم بثينة حيث وصلت المساحة التى تتحكم فيها وسجلتها بعقود رسمية إلى ما يقارب المائتى فدان تم زراعة مائة فدان منها خمسون فى حيز الإنتاج وتعطى عائداً.

بعد أن أصبحت الخمسين فداناً التالية تبشر بإنتاجها تم توريد هذا الإنتاج إلى التجار وكان عائده مجزياً لكنها لاحظت أن هناك مشكلة فى الأفق تتلخص فى عدم مقدرة مصانع عصر الزيتون فى استقبال الإنتاج الذى بدأ يزداد وأدى هذا إلى انخفاض أسعاره وبالتالي قد يودى إلى خسارة لهذا فكرت ومعها زوجها هشام فى إنشاء مصنع لهذا النوع من الإنتاج حيث ازدادت المساحات المنزرعة كما أن الوعى الطبى فى الغذاء بدأ يركز على استخدام هذا النوع من الزيوت لما له من أهمية فى معالجة الإنسان من أمراض القلب والتي يسببها الكولسترول الضار الكامن فى الدهون الحيوانية الأخرى كما أوصى أطباء التغذية بأهمية الاعتماد على زيت الزيتون رغم ارتفاع سعره

بالمقارنة بالزيوت الأخرى لأنه يقلل من الكولسترول الضار ويزيد من الكولسترول المفيد.

لهذا قامت بثينة بجمع كل مدخراتها ومدخرات خالتيها سندس وزينب لإنشاء مصنع كبير تم افتتاحه على مراحل بناء على الإمكانيات المادية ووفرة الزيتون وانتهت منه وأصبح مصنع الملكة لإنتاج زيت زيتون المائدة جاهزاً لإنتاج زيت فاخر ذى حموضة منخفضة ومذاق طيب لأن العصر يتم على البارد مما جعله يتفوق على الزيوت المستوردة من إسبانيا واليونان.

صمم المصنع على أحدث المواصفات العالمية وزود بصهاريج لتخزين تلك الزيوت حتى تعبأ وتطرح فى الأسواق ولهذا فكرت كارين مع بثينة فى إضافة جزء إلى المصنع للتعبئة آلياً حتى يتم الإنتاج ويوزع فوراً كما دخلوا سوق شراء إنتاج المزارع من أصحابها والذين أسعدهم هذا حيث يتوجه أحد الخبراء من البدر لتسعير المزرعة للحصول على إنتاجها بعد الاتفاق مع المنتج فينقل الزيتون إلى المصنع ويعصر وينقى ويحول إلى الصهاريج ثم بعدها إلى مصنع التعبئة ليحضر التجار والموزعون لشراء هذا الإنتاج وعرضه داخل أسواق الجمهورية أما عن مخلفات العصر فقد تم إنشاء مصنع لتحويلها إلى أعلاف للتسمين وأسمدة عضوية لرفع خصوبة أراضى المنطقة والتقليل من استخدام الأسمدة المعدنية المكلفة والتي تضر الإنسان.

أصبحت بثينة وزوجها يمتلكان مساحة مائتى فدان من أحسن مزارع الزيتون فى المنطقة والمصنع يعمل لحسابهم وحساب الآخرين بالإضافة إلى مصنع التعبئة، أصبح زيت زيتون الملكة من أشهر زيوت المنطقة واقترب من شهرة زيت زيتون واحة سيوة العريق والذي له شهرة عالمية وتزايدت المكاسب التى حصدها كل من هشام وبثينة أما كارين وسندس وزينب فكانت نسبتهم أقل حسب حصة مشاركتهن.

أضيفت عدة عمارات أخرى لمشروع البيت العائلى على نفقة بثينة وبدعم من السيدة الرائعة المديرية صاحبة الأعمال الخيرية والتي رفضت ذكر اسمها لوسائل الإعلام لرفضها الطبل والزمر ولكنها طامعة فى أكثر من هذا إنها طامعة فى ثواب الله .. حصلت على هذا الثواب ومعها بثينة فى اندماج أول فوج من أطفال بيت العائلة مع المجتمع بعد أن نمت أجسادهم وعقولهم وأصبحوا فتية وفتيات يانعات ومستعدين لتكوين أسر، احتقلوا مع آبائهم وأمهاتهم الروحانيين بحفلات الخطبة والزواج وشاركهم الاحتفال كل أبناء قرية الملكة بهذه المناسبة كما طلبت بثينة من الطبيب العالم الدكتور أحمد جلال أن يعاودهم لإعطائهم خلاصة التجربة فى الجيل الأول، خلص الرجل ومساعدوه إلى نجاح التجربة حيث قال كلمة صغيرة هى اللب والخالصة أيها السادة لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتكافل ثم ذكر حديث رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال: "أنا وكافل اليتيم يوم القيامة هكذا" حيث أشار بأصبعين السبابة والوسطى، أى أن كل إنسان يكفل اليتيم سيكون رفيقا ولصيقا لنبى الرحمة يوم القيامة، يا لها من مكافأة لا تعلق عليها أى مكافأة من أوسمة وقلادات دنيوية أو رضا حاكم.

مساء أحد أيام شهر يونيو شديد الحرارة وهشام وبثينة وابنه وبناته الاثنتان على بلاج الملكة قبل الغروب وقد ارتدى ملابس الاستحمام معهم كما أصبح راضى شاباً يافعاً وبلغ عمره الآن السابعة عشرة وسندس الثانية عشرة وزينب العاشرة وهم يلهون على البلاج بينما جلست بثينة على أحد كراسى البلاج الخيزران مادة ساقية أمامها ويجوارها منضدة من نفس نوع الكرسى طلبت من خادمتها إحضار مشروب لها وأسرعت الخادمة لتلبية رغبة سيدتها نظرت إلى الراديو المجاور لها وقالت بصوت مسموع، ما أجملك من اختراع

سأرى ماتحويه لى من مفاجأة أرجو أن تكون سعيدة، أدارت مفتاح الجهاز
فسمعت المذيع يقدم أغنية الفنانة شادية "أحبك" ..

. هتقت .. ياه .. أحبك يا شادية ، لقد امتلأ قلبى بالحيوية والطاقة وأصبح مثل
البطارية الفارغة بعد أن سُحنت بطاقة كهربائية فعدت تضىء

أحبك واضحى لحبك يا أعز الحبايب
طول عمرى ما اكابر واقول وانت حاضر
واقول وانت غايب
أحبك أحبك أنا...أنا....أحبك

لم تنتبه بثينة بأن ابنتها تقفان بجوارها وهى تغنى الأغنية مع المطربة
الرائعة شادية بل لم تنتبه لخادمتها التى أحضرت المشروب الذى طلبته
منها .. لقد طارت مع الأغنية وألحانها وقبل هذا وذاك مع الحبيب الذى نبهتها
إليها حبيبته شادية .. أليس هذا القابع أمامها يلهو فى مياه البحر مع ابنه ..
لقد تأكدت بثينة أن مشاعل الحب فى قلبها مازالت مضيئة وأنها تستطيع أن
تغرق هشام فى بحر حبها، شعرت وهى جالسة بأنها مثل ريشة رقيقة تطير فى
الهواء من غير جناحين وتذكرت أغنية ريشة فى هوا التى يغنيها المطرب رائع
الصوت سعد عبد الوهاب مع مجموعة الطالبات الجميلات فى المدرسة
وتذكرت تلك الأيام الخوالى التى كانت الرقة والرومانسية ملتحة ومتغللة فى
وجدان الشعب المصرى.

فى المساء دفعها الشوق إلى الماضى وذكرياته بأن عرضت رغبتها على
هشام فى أن تعيد هذه الأيام الجميلة، تفرس وجهها مستفسراً عما تقول وهى
تبدى رغبتها ثانية بقولها:

. هشام .. عايزين نحب بعض زى ما كنا أيام زمان؟ دُهِش الرجل من حديثها وأجابها:

- يعنى إيه نحب بعض زى أيام زمان؟ ما إحنا مع بعض على طول ومعانا أولادنا ومامتك وخالتك وفاروق أخوك وشغلنا مش مخلص عندنا وقت .. فكرى ببقى إيه ناقصك يا بسبس يا حبيبتي؟ ارتعشت قليلاً فها هو يناديها بكلمة الحب السابقة .. بسبس .. صممت قليلاً حيث كان يراجع بعض أوراقه.

- بسبس .. ياه على الكلمة دية .. إنها ساحرة وجميلة وفكراها زى ما يكون مبارح .. من ثلاثين سنة .. يوم ما كنا قاعدين فى الشارع على الرصيف ومعانا وديع وسارة وفضلنا نفكر فى أسم دلج بثينة .. يخرب عقلك يا وديع .. كان يوم .. صحيح مكنتش عارفه ساعتها قيمة الكلمة لكن بعد كده لما كان هشام يندهنى بيها كانت بتأثر على قلبى وعقلى وكانت بتودينى يمين وشمال خصوصاً فى مرحلة المراهقة .. الواد لما كان بيقولها كنت بادوخ وامسك نفسى .. ضحكت قليلاً متسائلة: ولو ممسكتش نفسى هوه كان فاهم أى حاجه!! يخرب عقلك يا هشام .. عبطه ده اللى خلانى أموت فيه أكثر وأرمى نفسى عليه .. قطع تفكيرها صوت هشام يعيد لقبها الساحر.

. باقول إيه يا بسبس .. إيه رأيك لو أخذنا إجازة أسبوع ونروح بيت الجدة فى بولاق ونقضى المده هناك ونشوف الحبايب .. تتذكر آه .. يكمل حديثه .. ياه على الحبايب يابت .. فاكده الأيام الجميلة الحلوة واللى عشناها .. تجيبه وهى فرحة وسعيدة.

- موافقه .. عايزين إجازة عرسان لوحدنا ونخلى خالتى تشرف على الخدامه وتخلى بالها من العيال .. إيه رأيك؟
.. موافق ..

حصل هشام على إجازة لمدة أسبوع وكلف عددا من مساعديه المهندسين الذين انضموا على فترات لاحقة إلى العمل بالاهتمام ومراعاة ظروف المسيدة كارين الصحية حيث تعدى عمرها السابعة والخمسين عاماً كما تولى فاروق الإشراف على عزبة الملكة وابن الشيخ خيرالله تسلم الإشراف علي المصنع بعد مرض الشيخ منذ عدة أعوام أما الخالة سندس التي تعدى عمرها الخامسة والخمسين عاماً فهي ما زالت تتمتع بصحة جيدة وسوف تنتقل إلى منزل بثينة فترة غيابها للإشراف مع الخادمة على الأبناء.

أنا لك على طول

عام ١٩٨٦ وبعد أن تحررت ارض سيناء بالكامل سواء بالحرب أو باتفاقية السلام مع العدو سواء ارتضى ووافق الشعب على هذه الاتفاقية أو عارضها لكن الحقيقة أن مصر أصبحت فى مرحلة سلام مع العدو.

وصل الزوجان إلى منزل الجدة فى بولاق أبى العلا حيث كانت العمه زينب تنتظرهما ومعها ابنها أحمد الطالب بالجامعة وكلفت إحدى السيدات بنظافة الشقة وإعدادها لاستقبال العيال كما كانت تقول منذ الصغر وحتى الآن وكان يعنى هذا التصغير فى أعمارهما الكثير من معانى البهجة والراحة النفسية لها حيث تشعر بأنها مازالت فتاة يانعة تعيش فى هذا المنزل مع شقيقتها ووالدتها وهذان الصغيران يلهوان بجوارها وهى ترعاها.

لقد تغير كل شىء وكان الزمن كفيلاً بذلك فقد مرض المعلم حبشى منذ عامين بعد خروجه من السجن بعد قضاء عدة أعوام لما قام به من تجارة ممنوعة فآثر هذا على صحته كثيراً كما توفى عجور وأغلق المحل .. أما عن أم خميس فقد توفيت منذ عدة أشهر نظراً لتخمة إصابتها بعد أن التهمت فرددتين كوارع عجالي وأصابها بضيق فى التنفس لم تنفع معها أنفاس الشيخ حسنى كما أطلقت منه لواحظ حيث عايرته بأنه راجل خرع مثل زوجها الأول ممش ولم يعد فى حاجة إلى تعميرات فأم خميس توفاه الله وبالتالي توقف صعوده المقطم ولواظظ انفصلت عنه وبقي وحيداً مع ابنه خميس المدرس وزوجته وطفليه .. سعيد أبو النوم "يا مسهرنى" هو الآخر أصابه العجز أما الحاج فخرى فقد توفاه الله منذ عدة أعوام.

شعرت بثينة بوحشة المكان وأصابها اليأس والقنوط ولم تعد تلك الدار

هى دار الذكريات الجميلة فالبشر غير البشر وقد تكالب الناس على الماديات كما اشتكى وديع بأن بعض الناس بدعوا يفرقون بين المصريين بأن هذا مسلم وهذا مسيحي وكأننا شعبان مختلفان وترحم على أيام زمان عندما كان يحضر الشيخ حسنى لوالده معتقداً بأنه راغب في الزواج أو الطلاق وأنه يستطيع ذلك ولم يضع فى خلدته وفكره أنه على ديانة مخالفة وكل ما يعلمه الشيخ حسنى أنه ابن الحتة مصرى ابن مصرى وهذا يكفى .. تتهد وديع قائلاً:

- فىن الأيام الحلوة، فىن أيام التعميرة التى كانت الحكومة ساخطة عليها .. كارثة، الكيف المنتشر دلوقتى "البودرة" كوكايين وهيروين .. كارثة .. ترحم على أيام زمان وما كان يحدث.

كما استقل وديع عن عمه ناشد فى تجارة الحبوب وهو سعيد بتلك التجارة التى تدر عليه دخلاً كبيراً يجعله يحيا ويعيش فى بحبوحة من العيش .. كما أن ابنه دميان فى نهاية المرحلة الجامعية وابنته ميشيل فى ثانوية نوتردام. شعرت بثينة أنها لا تستطيع العيش فى هذا المكان، حاول هشام إقناعها بأن عبق المكان يكفى مؤقتاً ولكنها أخبرته أن عبق الزمان راح وانتهى وأن الناس هم أهم شىء فى حياتها.

حاول أن يسرى عنها فاصطحبها إلى كازينو الشجرة وكادا أن يتعرضا لأكثر من حادثة لكثرة السيارات ورعونة السائقين وقلة الذوق وعدم مراعاة شعور الآخرين، جلسا فى الكازينو وهما فى دهشة من سوء خدمة الجرسون الذى حضر بزى أفضل ممن سبقه ولكنه بخلق أقل كثيراً من الشاب النوبى المهذب، تركوا الكازينو بعد أن دفعا مبلغاً كبيراً لا يقارن بما قدم لهما، توجهوا إلى مرسى القلايك يسألون عن الرئيس حسونة وشاهدها جالساً فاردأ ساقيه من آلام الروماتيزم التى أصابته بكساح لا يستطيع معه الحركة بسهولة وذكروه

بأنفسهما وأسعفته ذاكرته وأسعده حضورهما وأنهما بخير واستقر من بثينة عن سبب اختفائها من التلفزيون ولم تعد تظهر لها أحاديث كسابق عهدها، طلب من ابنه عثمان أن يصطحب أصدقاءه فى نزهة نيلية، أقلهما الابن المخالف فى تصرفاته عن أسلوب الأب وأزعج سمعهم بأغان هابطة من المنتشرة حالياً لهدم أذان المستمعين، طلبت منه بثينة إنهاء الرحلة، حادثهما بطريقة فظة وبأنهما سوف يدفعان الأجرة كأنهما تجولا وإلا؟! سأله هشام وماذا وإلا؟ أخبره بأنه سيقلى بهما فى النيل وسيدفعون له صاغرين، غادرا الفلوكة ناعين هذا الجيل الفاسد والذى تم قذفه بقنبلة من قنابل سوء الأخلاق وكثرة العيوب وضاعت الأصالة والحضارة.

فى اليوم التالى توجهنا إلى منزل الأب الطيب ولكنهما لم يجداه وأخبرهما البواب بأنه لا يعرف مكانه وحادثهما وهو جالس على كرسي يطالع الجريدة وغير مبال بصاحب المكان أو ضيوفه، توجهنا إلى مستشفى قصر العيني لعلهما يعثران على أحد من تلاميذه يخبرهما بعنوانه وهالهما سوء معاملة الأطباء والموظفين للمرضى المساكين أمامهم وقوفاً منذ الصباح بغرض العرض والكشف واستطاعا الوصول لمكتب رئيس القسم الذى دخلوه بعد إقناع الحارس الخصوصى على الباب بأنهما أقارب له، عنفهما الطيب على هذا التطفل وأبديا له الاعتذار وأنهما قدما للمسؤال عن الأب الطيب إسلام عثمان .. نظر إليهما قائلاً:

.. ده زمانه راح .. أنتم فاكرينه حيفضل مخلل فى المكتب ده!!

اغرورقت عيون بثينة من تلك الإهانة على أبيها الروحى الطيب تاركة هذا المكان الموحش راغبة فى العودة إلى العلمين شاكرة ربها أنها بعيدة عن هؤلاء القوم.

تحدث هشام: لقد أصبحت مثل أهل الكهف الذين استيقظوا بعد أكثر من ثلاثمائة عام وشاهدوا أناسا آخرين قلم يستطيعوا التكيف معهم فعادوا إلى كهفهم وقد رحمهم الله بفضله فأماتهم.

توجه هشام وبثينة إلى طنطا لزيارة عائلته وشقيقاته وسعدوا بهما كثيراً وكانت تلك أول زيارة قام بها هشام بعد آخر زيارة قام بها بعد وفاة جده لوالدته مستر فريد أويل ولحقه بثلاثة أشهر صديقه الحميم الخواجة قلدس يونان ولاحظ أن والده متوعك الصحة ولا يستطيع أن يقضى يومه فى عمله كما كان فى السابق .. لقد ولى الشباب كما ولت عادات وتقاليد الشعب المصرى يتساءل: أ يحدث هذا فى عقدين من الزمان تتغير فيهما التقاليد والطباع والعادات والقيم إلى الأسوأ ولو كانت للأفضل لكان هذا شسناً يُسعد الجميع.

إنتهت الإجازة بزيارة قبر الجدة وقراءة الفاتحة على روحها وفى المساء قاما بزيارة للمعلم حبشى فى منزله وأسعدته تلك الزيارة وتحدث معهم مازحاً ومؤكداً لهما أنه مازال بصحة وعافية وأنه سيقوم من مكانه زى الحصان بينما زوجته حزينة على ما آل عليه حاله، بعد تلك الزيارة القصيرة عادا إلى منزل الجدة والتي كانت بثينة كارهة له بسبب ما ألم بالحارة من تغيير فى سلوك الناس أدى إلى تغير فى الموقع والمكان.

استعدا للعودة إلى العلمين وفى صباح اليوم التالى وأثناء تناول هشام طعام إفطاره كان يتصفح إحدى صحف الصباح فقرأ نعيًا بوفاة الأب الطبيب وانتابه الضيق فأخبر بثينة التى ذرفت الدموع الغزيرة مقررة تأجيل العودة إلى العلمين حتى يقوما بواجب العزاء .. توجه الزوجان لتأدية واجب العزاء وتذكرتها السيدة زوجته كما تذكرتها ابنته وعدد من السيدات اللاتي كن يتابعن حالتها وما لحق بها بعد ذلك من المنافسة لمسابقة ملكة الجمال.

تقابل هشام أثناء العزاء مع الطبيب أحمد جلال والذي تقاعد من عمله بسبب عدم قدرته على القيام به لكبر السن وأخبره بما تعرض له الأب الطبيب على أيدى بعض مساعديه وتلاميذه من إنكار للجميل بسبب التكاليف على المال والمناصب حتى أصبح لا يقام له وزن سواء لعلمه وخبرته أو لعمره وكبر سنه والذي تعدى في تلك الفترة السبعين عاما .. كما لحق بالمهنة الكثير من قلة الضمير والبعد عن أخلاقياتها السابقة وأصبح الدفع قبل العلاج ولا علاج لمن لا مال معه والقادر يهرع إليه الأطباء يتسولون خدمته ورضاه ليحصلوا على بغيتهم .. تحسر الرجل على دماثة خلق زملائه أمثال الأب الطبيب .. غادر هشام سرداق العزاء في حالة نفسية سيئة مما سمعه من زميل ورفيق كفاح الأب الطبيب وكيفية تنكر طلابه له بعد الشيوخة وتركه المنصب.

وصل الزوجان إلى العلمين وإلى قرية النخيل "الملكة سابقا" وقد غلفهما الحزن عما أصاب سكان القاهرة من سوء خلق وتبلد وعدم إحساس وضياع الرومانسية الحقيقية وتدهور في النوق العام .. كان باديا أن وراء كل هذا مخططاً مرسوماً ينفذ بدقة كل شهر وكل يوم لنصل في نهاية تلك الفترة إلى تدمير الروح المصرية التي هي سند المصريين في السراء والضراء .. كان واضحاً أن الدولة غافلة عما يجري.

اندمج هشام وبثينة في أحوالهما نظراً لما ألم بهما لما شاهداه أو سمعاه أثناء زيارتهما تلك إلى القاهرة .. حدثته بعد تلك الزيارة الحزينة .. هشام لقد تدمر حلمي الصغير والتي تفتحت عليه عيناي، كان مؤيدا لما تقول فما شاهداه كان إنذاراً بأن مصر في هذا العهد قد انحدرت إلى الأسفل سلوكيا على الأقل، كانت دعواتهما إلى الله ألا تصل تلك الأويئة الاجتماعية إلى العلمين وياقلى الوطن.

لقد استطاعت الإدارات الحكومية المتعاقبة منذ فترة الانفتاح الاقتصادي فى مصر عام ١٩٧٧ إلى إفساد الذوق العام المصرى .. فإذا فتحت الراديو لا تسمع إلا كل ما هو سيئ ورتدىء وأصوات لا تعرف كيف اختيرت وكلمات لا تعرف من أين أتت وألحان هى عبارة عن ورشة حدادة مختلفة الدرجات فى الإزعاج أما فى مجال الفن السينمائى والتلفزيونى فكل عيوب الدنيا واضحة من الموضوعات التى تعرض حتى الممثلين الذين يعوضون إقلاهم الفنى بالعرى فى أجساد السيدات والألفاظ النابية وخاصة فى مسارح القطاع الخاص لأحد فناني الكوميديا المشهورين الذى استباح لنفسه التحدث بألفاظ نابية رديئة ولم يخش الله فى شباب هذا الجيل مندفعاً لإفساد أذواق المصريين.

قرر هشام وبثينة أن ينهجا خطوات أهل الكهف وأن يظلا فى العلمين حتى يختارهم الله إلي جواره تاركين كل ذكرى جميلة أسعدتهما وأسعدوا بها حيث تغير الإنسان فغير المكان وهما لا يستطيعان تقبل هذا الوضع الجديد .. الحياة تسمير بهما بجلوها ومرها ولكن الحلو كان أكثر إيجابية فحياتهما أحسن ودائماً إلى الإمام وبرغم أن الإدارة المحلية ألغت اسم قرية الملكة وأعدت الاسم القديم لتصبح قرية النخيل.

إنتاج زيتون مزارع الملكة انتشر انتشاراً واسعاً وأصبح لهذا المصنع حصة تصدر إلى هولندا وهذا بمساعدة ممز كارين التى كانت السنون والأعوام قد أثرت بها ولولا ما تتمتع به المنطقة من هواء نقى وصحى لهاجمتها الأمراض.

انعكست آثار زيارة القاهرة على سلوك بثينة وتصرفاتها .. فقد ثلاثت ابتسامتها وضحكاتها وخدمت علاقة حبها مع زوجها وأصبحت أكثر زهداً للناس وتجلس فى أوقات كثيرة صامتة دون حركة وشعر هشام أن هذا نذير

سيئٌ وسيحدث لها مثل ما حدث لها سابقاً وجلس يفكر كيف يخرج زوجته من تلك الحالة ويتجنب الأضرار التي قد تحدث لها تدريجياً .. لقد كان في السابق يكافئها بزيارة حى بولاق ولكن الآن كيف يكافئها خاصة أنه مكانها المفضل والذي كان يخرجها من دوامة الضيق، ذاك الحى أصبح المتمسبب فى تلك الآلام التي تعاني منها الآن.

اصطحبها فى سيارته الحديثة يقودها متجها إلى مدينة الإسكندرية حيث كان الطقس شتوياً بارداً والعواصف الباردة تلتفح الوجوه، هناك أقاما بأحد فنادق المدينة المعروفة لهما حيث تتعامل معه كارين لحجوزات لزيائن المنتجع .. جلس هشام خلف زجاج الحجرة وبرققة بثينة يشاهدان الآثار الناجمة عن هطول الأمطار خارج الفندق .. كان باديا أنها أمطار شديدة وقد خلت الشوارع من المارة .. نظر إليها بكل حب وخوف فى آن واحد .. خوف من هذا المجهول الذى قد يهاجمها لما ألم بالناس من تغير أثر فى المكان.

الدفاية المشتعلة أمامهما تدفع بالدماء فى عروقهما كما أن الضوء الناتج من اشتعال الغاز بها انعكس على أجسادهما فأضاءها بوهج مختلف الألوان وهشام يداعبها وهى التى كانت تداعبة أضعاف مداعبته لها وهى الصامتة منذ خروجهما من العلمين فلم تتحدث سوى بكلمتين فقط.

وضع هشام أطباقاً صغيرة على الترابيزة ممثلة بالسودانى واللب والفسق ولامس أصابع يدها التى أصبحت باردة لقلّة تدفق الدماء بداخلها كما أن نظرات عيونها الجميلة أصبحت أقل لمعانا .. قبل يدها فتنبهت وسحبتهأ بهدوء على غير عاداتها اقترب منها فكانت باردة ولم يتبادلها حبا بحب ولم تقابل كلماته بمثلها لقد أصبحت جمدا جميلا متحركا لا يعترف بالمبتدأ وبالتالي ليس له خبر .. أصبحت بثينة رد فعل وهى دائما التى كانت السبابة والبادئة لكل عمل وكل حديث.

تركها وذهب إلى الحجرة الأخرى فتنبتهت لهذا التصرف وفكرت كيف
التصرف؟ هل تظل جالسة أو تلحق به؟ سمعته يغنى أغنية تحبها وتعشقها:

يا ورد مين يشتريك وللحبيب يهديك
يهدى إليه الأمل والهوى والقبل

يا وردى

انتعشت لسماع الأغنية التى تذكرها بأول يوم جاء فيه هشام لزيارتها
وهى مريضة وعلى فراش الموت .. لقد كانت دافعة لها وساعدتها ودفعت
بدماء الحياة إليها لأن تحيا بإذن ربها وتعود لتكمل حياتها وتتزوج وتتجب
ثلاثة أبناء هم فى أشد الحاجة إليها، دمعت عيونها الجميلة .. متسائلة: ماذا
لو قدر الله مماتى فمن سيحنو على أطفالى؟ هل ستحضر سيدة أخرى تأخذ
زوجى وتتفرد به .. لا لا لا .. لا يجب .. تحركت إلى الحجرة الأخرى والتى
كان هشام يشدو فيها بأغنيته المنعشة لقلبها وعقلها .. شاهدته جالسا على
السرير فارداً ساقيه أمامه .. جلست بجواره واضعة يدها حول خصره تقبله
قبلات خفيفة مؤثرة منعشة وتلاعب شعر رأسه الذى بدا يهاجمه الشيب
وضعت رأسها على صدره تطالبه بأن يواصل غناؤه حيث إن صوت غناؤه
نقلها إلى الذكريات الجميلة .. نفذ رغبتها وتغنى:

انا لك على طول خليك ليا واسعدنى يوم وطل عليا
وخذ الاتنين وأسأل فيا من أول يوم راح منى النوم
ابعتلى سلام قول اى كلام من قلبك أو من ورا قلبك

أثناء غناء هشام اندفعت دماء الحب فى شرايينه بثينة وعروقها التى

وصلت إلى أعلى حالات الانفعال فطلبت منه إغلاق نور الحجرة وراحا في نوم عميق مجددين شهر عمل آخر دافعاً لدماء الحياة طارداً لدموع الحزن والألم.

صباح اليوم التالي بعد تناول الطعام أوضح لها أن ما رأيته وشاهدته في بولاق هو شيء طبيعي لأنها سنة الحياة في التطور والرقى، جدتي فردوس فارقت الحياة لأن هذا هو نظام الكون الذي وضعه الله وأنا وأنت سنفارق تلك الحياة ويأتى أبناؤنا ليغيروا ما كنا نقوم به سواء فى أسلوب حياتنا أو نشاطنا الاقتصادي وهذا ما فعله أبى فى وكالة جدى فريد اويل حيث أضاف أشياء وألغى أشياء أخرى وهكذا، لو تركنا القديم كما هو لكننا نركب الجمال والحмир والبغال كمسابق عهد البشرية ولا توجد حنفيات مياه فى المنازل وكان المساقه يحضرون لنا الماء .. إنه التطور؛ تجيب عليه:

أوافقك الراى يا هشام يا حبيبي على التطور لكن البشر لم يتطوروا .. إذا تطور البشر تطورت الحياة بمعدل أسرع وإلى الأرفع والأرقى .. ألم تلاحظ معى كيف كان رئيس قسم الباطنة يتحدث بقصر العيني عن أبى الطيب .. لقد حزنت حزناً شديداً وكان لهذا أكبر الألم النفسى وشعرت به فى تلك الزيارة وترك جرحاً غائراً فى قلبى ونفسى لما أكنه من حب لهذا العالم ولحسن خلقه من إنكار أحد طلابه له بهذا القول.

بثينة حبيبتى كل ما تقولينه صحيح ولكن هذا ليس وليد اليوم لقد ظهر منذ بدأت البشرية وإلا لماذا نجد الخير والشر والمكافأة والعقاب، إنها حياة مستمرة نشاهد شخصاً مثل هذا الطيب ثم نشاهد آخر مثل الأب الطيب وله من تلاميذه من يسبرون على نهجه أما الآخر فقد سار على نهج طيب بنفس خلقه .. ألا تلاحظى معى كيف كان ملوك مصر الفراعنة يتصرفون بعد أن

يتسلم كل ملك زمام الأمور فى البلد .. يرفع اسم الملك السابق عن الإثشاءات التى أقيمت من معابد وتمائيل ومسلات ويضع اسمه وبعد عدة سنوات يأتى أحد أبنائه بعد وفاته ويفعل ما فعله والده وهكذا .. إذأ ما نراه يحدث الآن هو وليد إرث قديم وقد نكون فى مصر دون سائر البشر الذين أصابتنا تلك اللعنة نظراً لما وصلنا إليه من شهرة وتقدم فى العصر القديم ولهذا السبب نتهافت على الشهرة والإعلام ونرغب فى كتابة اللافتات والتى تهنى السيد الوزير المحافظ اللواء بعيد شم النسيم وهكذا .. ضحكت بثينة وهى سابعة فى أحلامها وما زالت نائمة على صدره.

فى اليوم الثالث توجهنا إلى منطقة الإبراهيمية حيث قطعة الأرض المتبقية ومساحتها ستمائة متر أما القطعة المباعة فأقيم مكانها عمارة سكنية ضخمة وتعرف أحد الأشخاص على الملكة وحضر مرحبا بها وبهشام مستفسراً إن كانوا راغبين فى بيع القطعة المتبقية حيث ارتفعت الأسعار ارتفاعاً كبيراً .. شكره هشام مخبراً إياه بأنه سوف يقوم ببناء فيلا على تلك الأرض ليحضر ويستقر بها لأن أبنائه سيلتحقون بالجامعة بعد عامين.

أسعد هذا الخبر الذى تحدث به هشام إلى السمسار بثينة بتفكيره فى بناء فيلا، نظرت إليه مستفصرة؛ هل نويت أن تقيم فيلا على قطعة الأرض كما سبق وأن ذكرت؟ نظر إليها قائلاً: إن هذا هو سبب مجيئى إلى هنا اليوم حيث خطر فى ذهنى خاطر مساء أمس وأنت تتأمين بجوارى وأراك مازلت عروس البحر .. تقاطعه قبل أن يكمل .. هل تتذكر أغنية عبد الوهاب "يا عروس البحر يا حلم الخيالى"؟ ضحك من حديثها لكنها طالبتّه بأن يقوم بغنائها فاتجها إلى سيارتهما اتقاء برودة ذلك اليوم واطربها بتلك الأغنية الجميلة والتى كانت تسمعها ملقبة برأسها للخلف ناظرة إلى مقف السيارة طائرة بأحلامها

وهى تركب الفلوكة مع هشام منذ أكثر من عشرين عاماً قبل أن يسافر إلى البعثة التعليمية إلى إيطاليا .. انتهى من أغنيته حيث مالت ناحيته وطالبت به بأن يصطحبها إلى الفندق المقيمين به، وصلا إلى الفندق وقد غمرها إحساس وشعور قوى جهة هشام والذي أسعده هذا وتأكد أنه مازال معشوقها وحببيها الذى مازالت تحبه وتمناه كما أصابها هى الأخرى حالة من الرومانسية الحاملة بأن زوجها مازال يعشقها ولم تهاجمها سلبيات السنين والكبر والتي تصيب الكثير من السيدات بعد سن الأربعين .. فهى مازالت بثينة الجميلة الرقيقة المحبوبة المرغوبة من زوجها.

أثناء العودة من الإسكندرية إلى العلمين أكمل لها هشام ما كان يقصه عليها من فكرته فى إقامة مسكن لهما على هيئة فيلا يقطنون بها بعد أن يلتحق راضى بالجامعة، استقرت منه بأن راضى لم يتبق له سوى نصف هذا العام والعام القادم وهل يستطيع الانتهاء من إقامتها فى تلك الفترة .. أجاب بأنه لا داعى للعجلة كما أنه ينتظر أن ينهى والده بيع نصيبه فى أرضه الزراعية بالجميزة حيث طلبا منه العمان "سيد وشعبان" ومن إخوتهم استلام أرضهم فقد تقدم بهما العمر ولا يستطيعان الإشراف على الأرض ذات المساحة الكبيرة والتي تضاعفت منذ وفاة جدى حسن أبو صديق وأنها عدة شهور ويبيع والدى نصيبه ويعطينى وأخوتى حقنا كما أنتى أخبرته بتلك الفكرة فى زيارتنا الأخيرة.

طلبت منه إيقاف السيارة على الكورنيش وألقت ببصرها جهة البحر التى تعودت عليه قرابة الثمانية عشر عاماً منذ عمل هشام فى قرية النخيل بالعلمين .. إنها شغوفة بالبحر رغم ما يمثله لها من ذكريات مأساة خطر الموجة التى كادت أن تقضى عليها وعلى راضى وهو طفل صغير حيث

قالت: سيظل البحر كما هو ولن يقوم أحد بالبناء عليه وسيظل متنفسا لك يا إسكندرية يا من جمعت بين الحضارات الفرعونية واليونانية والرومانية ولهذا خرجت بهذا البهاء والرونق، منتظلين هكذا مهما حضر الغزاة من بحرى وقبلى بتصرفاتهم المخالفة لكِ والمناهضة لجمالك ومستكونين أنت المدرسة الدائمة لتعليم المصريين والبشرية الرقى والحضارة، هشام حبيبى شيد لى فيلا فى هذا المكان ولتكن لها حديقة جميلة وأنا راغبة فى أن أقضى ما تبقى لى من عمر فى هذا المكان الساحر ولك أن تظل فى العلمين تمارس عملك أما بخصوص عملى فإن الشيخ بدير ابن الشيخ خيرالله سوف يشرف على مصنع الزيوت وهو على مستوى المسؤولية وفاروق أخى هداه الله وأصبح مخلصاً فى عمله محبا للناس قريبا من الله فى السر والعلن ويدير المزرعة .. أما مصنع الملابس فتشرف عليه زوجة خير الله وسأظل هنا مع أبنائى وبناتى أقوم بالإشراف عليهم وأرعاهم فى تلك البقعة الرائعة من أرض مصر.

استمع إليها وهو ساكن هادئ وسعيد بأن تلك الزيارة أتت مفعولها وأخرجتها من حالة الانكسار النفسى التى لحقت بها بعد زيارة بولاق أبى العلا .. كما أن فكرة بناء فيلا فى هذا المكان الراقى هو استبدال للمكان القديم الذى أصابها بالصدمة .. كل هذا أخبره به الدكتور أحمد جلال فى اتصال به بعد عودتهما من زيارة بولاق وما طرأ عليها من تغيرات وتطورات سلبية .. فكل ما قام به هشام كان من اقتراحه ولهذا نفذه وقد كانت نتائجه باهرة ولم يتبقى سوى الشق الأخير ببناء الفيلا التى شغلته وأسعدتها وكما قال الدكتور أحمد جلال .. افعل شيئا جديدا يشغلها عن القديم الذى تحطم مع ذكرياتها ولهذا فأقم لها تمثالا جديداً تبدأ حياتها حوله تاركة الماضى التى حطمتها يد الإهمال والتسيب الحكومى .. بدا واضحا حُسن خطة الطبيب التى كانت صائبة فى

نتيجتها والتي لاحظها هشام حتى بعد عودتهما كما لاحظت خالتها سندس أن تلك الزيارة أثمرت وأبنت وأنها تبدو كما كانت دائما الزهرة المتفتحة الجميلة .. أصبحت عين هشام على الإسكندرية وانحصر تفكيره فى مركز الفنون وكيف سيعمهم فيه أما فكرة أن يتركها مع أطفالها بمفردها فهذا غير وارد فى خياله لمسببين مهمين .. الأول أنه لا يستطيع الافتراق عنها فقد أصبحت بثينة شيفاً حيواً ومهماً بالنسبة له حتى بعد زواج دام عشرين عاما .. والثانى خوفه عليها حيث أن شعورها الحمسى رقيق لدرجة كبيرة ومن الممكن خدشه بسهولة وما يترتب على هذا من كارثة صحية فى هذا العمر الزمنى والذي تعدى الأربعين عاما وهو الذى عانى الأمرين لما حدث لها من جراء هذا .. إذاً فوجوده بجوارها مهم لكليهما كما أن وجود الأب بجوار أبنائه يمثل أهمية كبرى فى العلاقة الأسرية لذا فتركيزه سينصب على وضعه فى مركز الفنون وسيبحثه مع مسز كارين.

فى جلسة عمل بين هشام وكارين عرض عليها رغبته فى العيش فى الإسكندرية برفقة عائلته حيث سيلتحق راضى بعد عام ونصف بجامعة ثم تليه شقيقاته وهو راغب فى التعرف على وجهة نظرها فى مشاركته معها فى المركز .. كانت السيدة تستمع لحديثه هادئة ساكنة، بعد عشرين عاما خبرة فى التعامل معه عرفت خباياه وميزاته وصدق أقواله وأفعاله .. أجابت استفساراته واقتراحاته بأنها تقدر هذا وأنها لا تستطيع أن تقف عقبة أمام مستقبل أبنائه وطلبت فى المقابل شيئين مهمين (أولهما أن يُعد ثلاثة من أكفأ المهندسين الذين انضموا إلى المركز فى الفترة السابقة بحيث يصبحون قادرين على القيام بإعمالهم خير قيام قبل الانتقال إلى الإسكندرية .. وثانيهما هو أن ينشئ فى مبنى المزمع إقامته لعائلته معرضاً لمركز الفنون بحيث يكون هناك معرض

دائم في الإسكندرية يخدم المصريين والأجانب).. طالبها بمهلة للتفكير في هذا الأمر، حدث نفسه أن كارين مازالت كما هي تعشق التجارة ولا تدع فرصة تقوتها ولهذا قرر الموافقة على شرطيتها رغم أن في مقدوره عدم الموافقة وبيع حصته في المركز لكن المركز له من الآثار الكبرى على الفن في مصر كما أنه فتح أبواب الخير للكثير من المصريين الذين يعملون فيه بالإضافة إلى أن كارين منذ البداية قدمت يد المساندة والمساعدة له ولزوجته ولهذا فهو يريد الاحتفاظ بعلاقته معها وأن يقابل الإخلاص والوفاء بمثله.

أخبرها هشام أنه وافق على رأيها وأنه سوف يؤجر هذا المعرض للمركز حسب القيمة الإيجابية المتعارف عليها في هذا المكا ، وافقته الرأي، هكذا توسعت دائرة عمل مركز الفنون كما استعدت بثينة للانتقال إلى الإسكندرية مقررة اصطحاب أمها وخالتها معها وفردوس ابنة فاروق.

حصل هشام على نصيبه من الأرض الزراعية التي يمتلكها والده في القرية وأصبح مشغولا مع المقاول الذي تقرر أن يقوم بإنشاء الفيلا .. الحياة تسير بهما وقد قارب المبنى على الانتهاء ولم يتبق إلا تشطيبات بسيطة ولكن الأم عائشة مرضت وفشل الطب في علاجها وصعدت روحها إلى ربها تاركة بثينة في حزن وألم.

انتقلت بثينة بعائلتها إلى الفيلا بحى الإبراهيمية بمدينة الإسكندرية وتبارت هي وخالتها في انتقاء أثاث الفيلا وساعدتهما الفتيات (فردوس ومنسند وزينب) في كل هذا وأثناء انشغالهما بشراء أثاث الفيلا ظهرت نتيجة الثانوية العامة ووفق الله راضى بالنجاح وحصوله على مجموع أهله للالتحاق بكلية العلوم جامعة الإسكندرية راغبا في الالتحاق بقسم علوم البحار حيث عشق البحر منذ بداية حياته فأصبح صديقا له وعرف عنه ومنه الكثير فكان تواقاً

لصقل حبه بالدراسة .. الفيلا مقامة على مساحة ثلاثمائة متر والباقي حديقة الدور الأراضى منها خصص للمعرض والدخول إليه من الشارع الخلفى الموازى لشارع البحر أما باب الفيلا الرئيسى من جهة البحر وله سلام للصعود للدورين الأول والثانى العلوى .. أما سطح الفيلا فقد أبدعت بثينة فى إنشاء روف جارن على أحسن ما يكون وأصبح هذا المكان تسليية ثلاثتهم الخالة سندس وبثينة وهشام.

فى إحدى أمميات الخريف وقبل غروب شمس ذلك اليوم توجهت الخالة إلى السوق بصحبة الفتيات وبرقة راضى الذى يقود الميارة وجلس هشام وبثينة فى الرووف وقد طال بهما العمر حتى بلغا الخمسين عاما ..

طال بصرهما مياه البحر مع تمتعهما بنسمات الخريف الرطبة وهدوء الإسكندرية بعد أن غادرها غزاة الجنوب مثل كل عام، نظر إلى زوجته هذا المخلوق البديع الذى تعرف عليها منذ ما يزيد عن ثلاثين عاما منذ أحضرتها شقيقته ليلان هريا من شقيقها الطائش فاروق، طوال تلك الفترة وأنا أرى بثينة تزداد جمالاً وأثوثة حتى بعد عودتها من زواجها الفاشل وهى شبه ميتة، بدأت فى التحسن يوماً بعد يوم ولكن أهم شيء لفت انتباهه أن جمالها لم يذبل رغم ما عانتها سواء من حالة الإصابة الأولى أو الثانية عندما ضربها فاروق وتسبب فى كساحها فلم تفقد روحها وهذا الشيء غير المنظور مثل الكهرياء التى لا تستطيع الإمساك به ولكنك تشعر بتأثيره.

مازال هشام ينظر إليها ومعدداً مفاتنها وهى أمامه فاردة ساقها ترتدى سروالاً قصيراً "شورت" ويلوزة نصف كم حيث لن يراها أحد إلا لو نظر من جهة الكورنيش وهذا صعب، نظر إلى هاتين الساقين اللتين مازالتا بجمالهما وحيويتيهما بعد طول تلك السنوات أما عيناها السوداوان اللامعتان فهما السحر

والتي كان يتمتع بالنظر إليهما قبل سفره وأثناء الدراسة أما ملامح وجهها سواء لونها الأبيض الذى يميل إلى الاحمرار قليلاً أو أسنانها البيضاء المترصعة بهندسة إلهية وشعرها الطويل وأصابعها الطويلة الرقيقة الناعمة .. و شفيتها سكت قليلاً ثم ابتسم متهدأ .. ومصمص شفثيه فتبتهت إليه وهى التى سرحت بعيونها جهة البحر .. تسأله:

ما بك ياهشام؟ أراك تنظر إلىّ كأنك ترانى لأول مرة .. أجابها بصحة رأيها مؤكداً في حديثه بأنه فى كل مرة يختلى بها ناظراً إليها يراها لأول مرة .. ضحكت قائلة:

. كفاياك شقاوة يا وله .. صممت قليلا:

. كبرت على كلمة وله .. أقولك يا حاج .. ضحكا وهو يطالبها باستمرار منادته بنفس كلماتها السابقة، توافقه على هذا حيث تشبعتها تلك الكلمات ذات الذكرى والمغزى، نظرت إليه بكل دلال وطلبت منه أن يغنى بصوته أى أغنية من التى كانا يستمعان إليها معاً فى بداية تعارفهما خاصة أيام المرحلة الجامعية .. سكت قليلا ليتذكر ماهى الأغنية المناسبة ثم قبلها قائلاً: اسمعى يا بسبستى .. تصيح طربا من ذكريات تلك الأيام:

اللى تشوفه عينيا	لازم تشوفه عينيك
وتحن دايمـا ليا	ساعة ما احن اليك
عازيك تحقق ظنى	واعيش معاك متهنى
وان جيت فى يوم تشغلنى	طاوعنى وابعد عنى

ياللى نويت تشغلنى

صرخت بسعادة وصفقت كالأطفال وأخذت بيده وتوجها إلى حجرتهما.

تواصل حياتهما على هذا النهج حيث يشرفان على المعرض مع مراعاة أبنائهم كما كان لوجود الخالة سندس أطيّب الأثر النفسى لما لديها من إمكانات خاصة بها من إظهار للبهجة والسعادة والحركة والنشاط. تقدم راضى فى دراسته والفتيات الثلاث مجتهدات فى مدارسهن وترعاهن فردوس فهى تعتبر الأخت الكبرى لهن ولم تفرق بثينة بينها وبين كل من سندس وزينب .. الثلاثه بناتها وتعطينهن من رعايتها وحبها بالتساوى مما جعل الفتيات فى حالة من المحبة المتبادلة ولا يحدث أى حرج من تصرف أو قول من أى واحدة للأخرى.

استعدت فردوس ابنة فاروق للالتحاق بالجامعة هذا العام وقالت ربة الجمال كلمتها، ما أروعها من فتاة وسبحان خالق الكون فلم تترك أى شىء من مواصفات عمتها بثينة إلا وقد وهبه الله لها، الجمال والأنوثة والشكل المتطابق وخفة الظل والمرح والذكاء وحبها للناس ومشاعرها الرقيقة .. نظر الثلاثه سندس وبثينة وهشام لها غير مصنقين ما يرون أو يسمعون .. إنها نسخة طبق الأصل من عمتها وأسعد هذا بثينة حيث كانت تشعر بحب نحو الجميع وتلك المسكينة التى حرمت نعمة الأمومة وهى صغيرة لكن الله بعث لها بالأم البديلة والتى كانت خير عون لها.

مرت الأعوام والمنون وبنات بثينة الواحدة تلو الأخرى يلتحقن بالجامعة وراضى أصبح معيداً فى كليته وفردوس على وشك التخرج والحياة تسمير بهم هادئة وديعة حيث كانت كل الأمور على ما يرام مع ازدياد الدخل من الاستثمارات سواء فى المزرعة أو مصنع الزيوت أو الملابس أو مركز كارين للفنون أو المعرض.

تخرجت فردوس هذا العام فى كلية الفنون الجميلة مثل هشام زوج عمتهما والتحقت بمركز كارين للفنون لتتقنى أثره وتتولى القيادة مع كارين التى أصبحت غير قادرة على الإدارة مفضلة أن تعيش باقى حياتها للاستجمام والراحة حتى تقابل ربهما وعرض عليها هشام أن تلحق بهم فى الإسكندرية لتكون قريبة منهم وتحت رعايتهم وأسعدها هذا كثيراً حيث أعد الدور الثانى لإقامتها وكانت رفيقة رائعة وهى تشعر أنها بين أهلها .. أما عن فاروق فكانت سعادته لا توصف بأن حضرت ابنته لتقيم معه بعد أن أصبحت مهندسة وسوف تتولى الإشراف على مركز كارين والذى أصبح ذائع الصيت.

أخبر راضى والديه بأن رئيس القسم بالكلية سوف يلبى دعوته بزيارتهم فى الفيلا بعد صلاة الجمعة وطلب من عائلته الاستعداد لهذا اللقاء خاصة أن أستاذه رجل مُعزّز بنفسه وأنه لم يلب تلك الدعوة إلا بعد أن وافق على أن يلبى أية رغبة له كمكافأة لما قام به فى قسم علوم البحار بالكلية، عرض عليه راضى تناول العشاء مع أسرته وأجاب الرجل مُرحباً بتلبية رغبة مساعده وتلميذه والذى سبق أن أعطى موافقته على ما يطلبه المساعد منه.

فى الموعد المحدد كانت كل إجراءات استقبال الضيف قد أعدت وحضر الرجل فى مواعده وتقابل مع راضى ووالده وذُهِش هشام بمجرد أن شاهد هذا الضيف لكنه أسر ملاحظاته فى نفسه .. جاءت بثينة لترحب بالأستاذ حيث قدمه ابنها راضى .. الأستاذ الدكتور محمود السيد .. والدتى .. هتف الاثنان لمجرد أن شاهدا بعضهما البعض حيث كان الأستاذ أسرع فى سعادته بمشاهدة بثينة حيث قال .. الملكة!! .. يا لها من سعادة أن أرى وأشاهد الملكة والتى كانت مثل أساطير الأحلام .. نشاهدك على شاشة التلفزيون أو على صفحات الجرائد والمجلات .. استمر الرجل فى مديحه لشخص بثينة ثم نظر

إلى هشام وراضى معتذراً عن اندماجه فى هذا الشتاء موضحاً أن الملكة شخصية عامة ولهذا يحق للناس أن يمتدحوها.

بادر الاثنان إلى تقديم الشكر له .. تبادل كلّ من بثينة وهشام النظرات تشجعت بثينة متمائلة عن اسمه ثانية وأخبرها بتواضع العلماء .. محمود السيد. أوضحت له استقماراً بمسؤال .. سيدى الأستاذ .. هل تعرف العالم الجليل الأستاذ الدكتور إسلام عثمان؟ صمت قليلاً وأجابها .. الله يرحمه .. آه أعرفه .. أسعدتها الإجابة .. تكمل الحديث .. هل كان يباشر علاجك؟ يجيب عليها: فى بعض الحالات ولكنه استمر فى علاج زوجتي لفترة طويلة .. تكمل حديثها .. لا بأس على زوجتك وهل هى بخير الآن؟ .. يجيب بسعادة .. الحمد لله هى بخير وسوف أستسمحك يا مولاتي "ضحك الجميع" ؛ يكمل .. بأن تحضر زوجتي وابنتاي لزيارتك فهن من اشد المعجبات بك" أخبرته أن هذا مثار سعادتها .. ثم أكملت حديثها .. الحقيقة أريد أن أخبرك بأنك شديد الشبه بهذا الطبيب الإنسان رغم اختلاف الأسماء .. ابتسم قائلاً: يوجد مثل أو حكمة تقول "كادت المرأة أن تلد أباها" نظرت إليه مستوضحة وهى تقول أريد توضيحاً لما تقول .. أجابها بأن والدتي هى شقيقة هذا العالم وأنه خالى الذى أجله واحترمه .. صدرت منها صرختها العالية عندما تكون مسرورة، اعتذرت عن هذا ولكنه أجابها لا داعي لاعتذار المشاهير، أن جميع المصريين يعلمون حالتك الصحية والمعيشية وزوجك وكل شىء ولك الحق علينا مثل ما نحن لنا الحق فيك.

أمضى الأستاذ أمسية رائعة مع الأسرة خاصة أن الخالة سندس عندما شاهدهت شهقت معتقدة أن الطبيب العالم عاد للحياة مرة أخرى وانتهت الأمسية بمغادرته القيل على وعد بتحديد موعد لزيارة أسرته إلى الملكة كما أخبرها قبل

الغداء ، جلست بثينة فى حجرتها سعيدة بهذا اللقاء وهى تخبر هشام قائلة هشام يا حبيبى، لقد شاهدت أبى الطيب للمرة الثانية .. ضحك لمذاقتها وأخبرها بأنه ابن أخته وهو فى مثل عمرنا، أجابت:

- عارفه يا وله .. شعر أن بثينة فى حالتها النفسية التى يتمناها فهذه الكلمة تعطى له هذا الإيحاء وهى ترجمة لحالتها النفسية .. تتحدث قائلة: هشام إن هذا الأستاذ مثل الصورة .. إلا تعلم أننا نشاهد الصور فنذكر الأشخاص ونحن نعلم أنها صور غير ناطقة ونعلم أن أصحاب تلك الصور إما أنهم غادروا الحياة أو سافروا مبتعدين ولكننا نرغب فى مشاهدة تلك الصور حتى نستعيد ذكرياتهم الجميلة .. هذا هو وضع الدكتور محمود.

فى اليوم التالى جلست بثينة وهشام فى فراندة الفيلا ويرفقتها سندس وكارين يتناولون إقطارهم ويشربوا الشاى كعادتهم، نادت عليه بصوتها الهامس الذى يشبه الأصوات الهائمة التى تداعب خيال الإنسان أثناء الغفوة، هشام .. هشام .. انتبه إليها .. خير يابسبس .. إذا لقد اتصل هشام بها روحيا وعلم أنها تطلب شيئا ما يسعدها.

- شوف يا وله .. أمبارح لما شفت الدكتور محمود شعرت أنى شفت بابا الطيب الله يرحمه .. عارف إيه ناقصنى يا وله .. يجيبها . إيه ناقصك يا بسبوسة قلبى؟

- ناقصنى أروح أعيش فى عوامة أو شقة على النيل كام يوم وما أخرجنى منها وما اسبيشى الفرانده طوال النهار والليل وأفضل قاعدة فيها أشوف النيل والقوارب واللنشات بكده أكون رجعت كثير "للمود" .. استفسر .. إيه حكاية المود دى؟ اعتذرت بأن الأمور تداخلت من التعبيرات الجديدة على الأذن قصدى حالتى النفسية تكون رايقه خالص، وعدها هشام فى بداية فصل الربيع أن يحقق لها رغبتها.

توالت الزيارات بين الدكتور محمود السيد وعائلته وبين أسرة مساعده فى القسم المعيد راضى هشام وأسعد هذا الأسرتين ولاحظت بثينة مدى الإعجاب المتبادل بين ابنها وابنة أستاذة وفتحتة فى هذا وأبدى رغبته فى أن يتقدم لها .. وسألته أمام والده:

. أنت استويت يا راضى؟ نظر الشاب إلى أمه بدهشة قائلاً:

. إيه اللى بتقوليه يا ماما هو أنا صينية بطاطس!! ضحكت وشاركتها خالتها سندس الضحك وهما يخبرانه أنهما كانا يعرفان شخصاً كلما سمع سيرة الزواج يخبرهما أنه لم يستو بعد، ضحك الشاب معلقاً:

. أكيد كان بيشتغل طبّاخ والا سفرجى!! ولكن هشام قال:

. احتمال يا إبنى كان فقير وما كانشى معاه فلوس، علق ابنه

- ويمكن يا بابا كانت العروس غوله وبيهرب منها، ضحك هشام وأخبره أن مقاله عين الحقيقة وأن العروس كانت وسائل الدعاية والإعلان يأخذون صورتها ويضعونها على علب المطهرات المضادة للحشرات حتى تخاف مما بداخل العلبة لمجرد أن تشاهد الحشرات صورة العروس، تضاحكوا جميعاً وبعد أن خلا المكان للحبيبين سألته بثينة:

. صورتى كانت موجودة على علب مطهرات الحشرات؟ .. آه منك .. اقترب منها وتتحسس جسدها قائلاً:

. لسه جميلة يا بثينة .. شوفى عمرك كام دلوقتى لكنك لسه جميلة .. تدفع بيده بعيداً عن جسدها.

- عمرى وصل فىن .. عرفنى .. كلهم ٣٥ سنة .. يعنى مش حاجه كبيرة .. ضحك وأخبرها بأنه تعدى الأربعين وأنهما فى عمر واحد فتخبره أن عمر النساء غير عمر الرجال .. اندهش من حديثها فتعيد عليه .. مش فيه فرق

بين الفجل والياسمين .. فيؤيد كلامها .. فتقول له وإحنا زى الياسمين والرجاله زى الفجل .. وكل الستات عمرهم مش بيزيد عن ٣٩ سنة .. عاد للخلف حتى يعطى مساحة أكبر ليشاهد هذا الجمال الفاتن والذى أنعم به الله عليه لأن يكون هو الإنسان الوحيد الذى حصل على هذا النعيم .. اخبرها:

. أنا مش فاهم حاجة؟ تغنى له أغنية شادية لىالى العمر معدودة" فيطرب لها وهو مازال صامتاً ثم يقوم ويطفىء ضوء الحجرة لينام سعيداً بتلك الليلة.

بات واضحاً أن بثينة بدأت تستعيد عبق الزمان الذى ولى وانتهى باستبداله بأشخاص آخرين وقد يكون هناك خلاف وهذا ما نفعله فى حياتنا .. بعد انتهاء موسم المشمش يمكننا أن نتناول عصير المشمش .. إنه ليس بنفس الجمال ولكنه أقرب الشبه به وهذا ما حدث بعد لقائها بالدكتور محمود السيد .. كانت فى حاجة لتجديد علاقتها بالنيل .. هذا النيل الذى شبت عليه ولم تكمل التاسعة من عمرها بعد خلال إجازات الصيف وهى تحوم حوله بدراجتها حتى إذا شبت هى وهشام معاً وأصبحاً شباباً يافعاً كان النيل هو مصدر الإلهام والغذاء الروحى لهما سواء وقوفاً على الكورنيش الرائع أو التمتع بركوب فلوكة تسبح فى مياهه الفضية، شعرت أنها والنيل لا انفصال بينهما وأنه يجب عليها أن تعيد هذا الوصال من حين لآخر مع هذا النهر الذى وهب الحياة لمصر كلها ولكنه وهبها أيضاً السعادة بالإضافة إلى الحرية ولن تتسى طوال عمرها أنها إلتقت مع الرجل العجوز رقيق الحال على شاطئ النيل والذى فحها خمسين قرشاً هى كل ما يملك لقوت أسرته لذلك المساء عطفاً وحباً لشابة فى عمر بناته وجدها كسيحة وملازمة كرسيتها المتحرك .. إنه سليل النيل ولا يفعل مثل هذا إلا من ارتوى من النيل ولكن أى إنسان يشرب من مياه غير النيل فدائماً يشعر بالعطش ولكن شربة ماء واحدة من مياه العذبة تروى الإنسان طوال النهار . ٣٤

اتصل هشام بصديقة وديع وأخبره بما طلبته منه بثينة وضحك الرجل ولكن سارة أيدت كلام صديقتها، طلب وديع من هشام أن يمهله عدة أيام حتى يتدبر الأمر .. اتصل وديع فى نهاية الأسبوع وأخبر هشام أنه عثر على عوامة رائعة فى الجهة المقابلة من مسرح البالون .. أى جهة الجزيرة أو حى الزمالك وقربا من حديقة الأسماك، اتفق الصديقان على موعد تأجيرها ولفترة أسبوع ولكن هشام عرض على وديع رغبته فى أن يقيم عرضا غنائيا موسيقيا مماثل للذى قام به المطرب عبدالحليم حافظ مع الفنانة إيمان، اضحك هذا الصديق قائلاً أمازلتكم عرايس؟ اتركنى أرتب أوراقى، هكذا حصل هشام من وديع على وعد بأن ينفذ كل ما طلبته بثينة لإسعادها

يوم السبت الذى يسبق يوم شم النسيم بيومين، انتقل كل من هشام وبثينة للسكنى والإقامة فى العوامة ومجرد أن شاهدتها بثينة حتى هتفت صارخة سعيدة مما دفع بعض جيران العوامة بإلقاء نظرة من العوامات الخاصة بهم للتعرف على من أزعجهم فإذا بإحداهن تتعرف عليها وهتفت:

- الله إنها الملكة .. بثينة ملكة جمال مصر .. إنها جارتنا وأسرعت السيدات والغتيات إليها للترحيب بها وكل منهن تنثنى على جمالها وفتنتها التى مازالت محتفظة بسحرها كسابق عهدهن بها، أشيع فى المنطقة أن الملكة بثينة تقيم فى المنطقة مما أدى إلى رواج فى إيجار العوامات بقيمة أعلى من المعتاد.

لقد رتب وديع كل شىء مع الرئيس حسونة المراكبى الذى أحضر أحد الشباب من بلدته ويعمل فى نادى اليخت على نظافة ورعاية ملابس وقوارب الرياضيين بعد عودتهم من التدريب بالقوارب، عرض الشاب على فريق التجديف المساهمة فى احتفال سيقام أمام العوامة وحدد رقمها وأنه إحتفال خاص بالملكة .. أتذكرونها؟ أجمعوا على أنهم مازالوا يتذكرونها وواقفوا على

الاشتراك فى هذا الاحتفال الذى سيقام مساء الأحد ليلة شم النسيم، أسرع الشاب ليخبر الرئيس حسونة بما اتفق عليه مع الفريق وأسعده هذا الخبر واجتمعوا مع وديع وهشام من أجل هذا الغرض، بداخل العوامة سكن مع بثينة كل من خالتيها سندس وزينب وصديقتها سارة وبنات بثينة الاثنتين.

مساء الأحد حضر فريق التجديف وفى كل قارب عازف موسيقى هاو من معهد الموسيقى قسم الدراسات الحرة أما هشام فاستعد بأغنيته ومعه "ميجافون" وأحضر الرئيس حسونة لنش شقيقه آدم وعليه عدد من المدعويين وهم المعلم حبشى ومريم زوجته ورينيه ومادلين شقيقته كما حضر الشيخ حمنى وسعيد يا مسهرنى وصادومه ورزق وتوفيق اكس وشقيقه شنكل وسعيد ساكسفون ابن المرحوم على ترمبيته صاحب فرقة "على باب حارتنا للأفراح".

الثامنة مساء والهدوء يلف المنطقة والناس تستعد لسماع حفل عيد الربيع فى الإذاعة والتلفزيون من باقة من نجوم غير لامعة مثل السابقين من أمثال فريد وعبدالطيم الذين غادروا الحياة بعد أن أمتعوا هذا الجيل، اقتربت قوارب كل المدعويين وأضاء الرئيس حسونة المكان بينما كان الأسطى "ماهر قمص" نسيب المعلم حبشى جرجس قد أعد ماكينة إضاءة صغيرة فعم الضوء المنطقة بأسرها وتنبه بعض سكان العوامات إلى هذا الضوء فخرجوا يستطلعون الخبر ومنهم بثينة وأحباؤها بالداخل، صرخت حين شاهدتهن وصفقت راغبة بأن تهبط إلى لنش حسونة ولكن هشام أخبرها أن تظل فى مكانها وأشار سعيد ساكسفون إلى الفرقة التى عزفت لحن الأغنية:

واسعدنى يوم وظل على
من أول يوم راح منى النوم

أنا لك على طول خليك ليينا
وخذ الاثنتين واسأل فىا

ابعت لى سلام قول اى كلام من قلبك أو من ورا قلبك
 مش يبقى حرام اسهر وتنام وتقوتتى أقامسى نار حبك
 انا ... انا لك على طووول
 النيل والليل والشوق والميل بعنوا لى وجيت أسأل عنك
 اشتقت إليك وحشتتى عنيك مش عارف اهرب فين منهم
 أنا.... أنا لك على طووول خليك ليا

أثناء غناء هشام استرجعت بثينة شبابها بالرقص على أنغام تلك
 الأغنية التى تعيد إليها حيويتها وشبابها فى فراندة العوامة بين تصفيق من
 معها والمشجعين من الرجال فوق اللنش وأسعد هذا المعلم حبشى الذى طلب
 من صادومه تجهيز تعميرتين ملوكى من نوع تحت السجر يا وهيبة مما
 اضحك الجميع فترحم الشيخ حسنى على أم خميس التى كانت السبب فى
 نشاط التعميرات بالحارة وتضاحكوا على أيام زمان لما كانت الدنيا حلوه وراقيه.
 انتهى الحفل وبلغت بثينة قمة النشوة والسعادة بين أبناء الحارة والنيل
 وأغنيتها المفضلة .. اليوم التالى قضوه فى العوامة يشاهدون قوافل مراكب
 النيل تحمل المتزهين إلى القناطر الخيرية، مساء اليوم التالى جلس وديع
 وهشام وسارة أمام المحل بعد أن قام كل من وديع وصادومه بنظافة وكنس
 ورش الماء بالحارة مثل أيام المعلم، بعد قليل شاهدوا ليلان مقبلة وممسكة فى
 يدها بثينة فوققوا وسألها هشام:

- هيه .. اوعى تقولى إن فاروق ضربها؟ ضحكوا على ذكريات أربعين عاما
 مضت ولكن ليلان أخبرته أنها أحضرتها لحبيبها مثل ما أحضرتها منذ أربعين
 عاما .. تصافح الجميع وغادرتهم ليلان إلى سيارتها الملاكى الجديدة.

وقف الجميع أمام المحل، جميع الأصدقاء، تساءلت مارة:
 هشام، أراك مازلت تعشق بثينة وأنه لشيء رائع حقاً ولكن سؤالي عن هذا
 الحب المتجدد؟ هل هو الوفاء؟ .. أم الإخلاص؟ أشعر أنكما تعزفان لحن
 الوفاء للمحبين كل يوم وكل لحظة، إن البعض يلومون الرجال المخلصين
 لحبهم الأول ولزوجاتهم .. ألا تغضب أن تكون من هؤلاء الملوّمين؟
 ضحك هشام ومازال الأربعة وقوفاً وأمسك بيد بثينة بكلتا يديه، فى تلك اللحظة
 شاهدتهم وديع فأشار إلى "سعيد ساكسفون" الذى أسرع بإحضار آتته وتبعه
 زملاؤه بينما هشام مازال ممسكاً بيد بثينة يدقق النظر بعيونها الجميلة وغنى
 لها ولأهل الحارة:

إن أتيت الروض يوماً..... لا تلمنى

فمن العطر انتشيت

أو جنبيت الورد غفواً..... لا تلمنى

فعلى الشوك مشيت

لا لا .. لا تلمنى

إن ملأت الأفق شداً..... لا تلمنى

فى فمى لحن الوفاء

أو عشقت البدر يوماً..... لا تلمنى

فأنا أهوى الضياء

لا لا... لا تلمنى

أنا للأقدار عبداً..... لا تلمنى

كيف سارت بى حياتى

جئت من طين ولكن..... لا تلمنى

فمن الأضواء ذاتي.....لا لا ..لا تلمنى

ودع كل من هشام وبثينة الأصدقاء ودخل الزوجان إلى الشقة .. منزل الجدة
ليستعيدا ذكريات أيام مضت ولكن نكراها الجميلة مازالت باقية وسمع كل من
وديح وسارة وهما مازالا فى الشارع أمام المحل صوت بثينة تحدث هشام:
. اسمع يا وله .. انا لك على طول ومنتساشى .. خليك ليا !!
هكذا تنتهى ملحمة "بثينة" أو تكاد .. لتتسج حولها خيوطاً لبدايات لملاحم
أخرى لجيل جديد من أبناء مصر الطيبين العظماء ليسيروا خطوات واثقة على
طريق المستقبل لأمننا مصر.. التى فى خاطرنا وفى دماننا ..

تمت

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق الرسمية

٢٠٠٨/١٤٨٣٩

مؤلفات الكاتب:

- * الناس والحرب .. الطبعة الثانية مايو ٢٠٠٩
- * رسالة إلى الرئيس .. الطبعة الثانية يونيو ٢٠١٠
- * مصر التسي .. الطبعة الرابعة نوفمبر ٢٠١٣
- * نص نقل .. الطبعة الثانية يوليو ٢٠٠٩
- * مسافر زاده الخيال... الطبعة الثانية سبتمبر ٢٠١٢
- * حورية بين النخيل .. الطبعة الثالثة نوفمبر ٢٠١٣
- * الحب والحرمين .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- * همسات مصرية
- * صوت الملاك
- * بنت الباشا .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- * يثينه
- * رحلة الألف يوم عابد المصري
- * لقاء في الطائرة
- * العصفور وأنا .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- * رجاله ورق للبيع .. ملهاة
- * أيام من عمري .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- * نور العيون فهد الليل